ترجمات ناشري

المرأة اللغز

ترجمة : أمل عمر بسيم الرفاعي

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.
نشر إلكترونيا في صفر ، ١٤٣٤/ ديسمبر ، ٢٠١٢.

يمنع منعا باتاً نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

تصميم الغلاف و الإخراج الفني: هالة الغامدي

محتــويات الكتــاب

المقــدّمــة ٤

قصة أمومة : ٧

للكاتبة ليليكا ناكوس ـ قصة تصوّر نموذج المرأة العطوف التي تُحركها مشاعر الأمومة والحنان قبل كل شيء آخر

قصة بين الدروب إلى الجنان : ١١

للكاتب ترومان كابوت ـ قصة طريفة تصوّر نموذج المرأة التي تبحث عن الزواج من أي رجل حتى لو كان ذلك في لائحة النعوات أو في المقابر...

قصة من يهتم : ٢٥

للكاتبة سانتا راما راو ـ قصة تصوّر نموذج المرأة التي تبحث عن الأمان والحماية في كنف أي رجل دون أن تأخذ العاطفة بعين الاعتبار.

قصة حب ريفية: ٤٧

للكاتبة جين ستافورد ـ قصة أوردت فيها الكاتبة تحليلاً للمشكلات التي تتعرّض لها المرأة في الزواج غير المتكافئ من ناحية السن.

قصة المعطف: ٦١

للكاتبة سالي بينسون ـ قصّة مؤثرة صوّرت فيها الكاتبة نموذج الزوجة الأنانية وانعكاس ذلك على حياتها الزوجية.

قصة المرأة الرخامية : ٦٥

للكاتب روبرت بار ـ قصّة مؤثرة جداً صوّر فيها الكاتب نموذجاً لشابة جعلتها عاطفتها تقع في شِرك رجل يقودها إلى الوقوع في خطأ يحطم حياتها.

قصة زواج على الطريقة العصرية : ٣

للكاتبة كاترين مانسفيلد ـ قصة صوّرت فيها الكاتبة نموذج المرأة في الزواج العصري، وهي المرأة التي تضع متطلباتها الاجتماعية في المرتبة الأولى. ٧١

قصة زوجة مُتفانية : ٨٢

للكاتب تيموثي شي آرثر صوّر فيها الكاتب نموذج المرأة المتفانية التي تقف إلى جانب زوجها والتي تتخلى عن كل وسائل الرفاهية لأجله.

مقالة لدي جميع الحقوق التي أرغب بها ٨٩

مقالة الأمومة والأنوثة. ٩١

وهي من أشهر المقالات التي كتبها التي خصصّها الكاتب للدفاع عن حق المرأة بالمشاركة في العمل السياسي والاجتماعي.

مقالة زوجات يعتمدن على أنفسهن. ٩٤

قصة الشبهة : ٩٦

للكاتبة دروثي سيرس ـ قصة صوّرت فيها الكاتبة نموذج المرأة ذات الميول الإجرامية.

قصة الرؤية : ١١٢

للكاتب رابندراناس طاغور ـ قصة صوّر فيها الكاتب نموذج الزوجة المخلصة التي تُضحي ببصرها لكي لا تجرح مشاعر زوجها.

قصة الصواب والخطأ : ١٣٢

للكاتب تيموثي شي آرثر ـ قصة صوّر فيها الكاتب نموذج الزوجة المُتمردة التي تعتبر الرجل متسلطاً مما يؤدي إلى ضياع العائلة.

السيرة الذاتية للكتّاب ١٤٤

السيرة الذاتية للمترجمة أمل الرفاعي ١٥٤

المقدّمة

المرأة اللغز ..

هل تُعتبر المرأة مخلوقاً غامضاً ؟ أم أنها مخلوقة مُعقّدة يَصعب فهمها؟ أم أنها مخلوقة رقيقة تحمل بداخلها مجموعة من الأحاسيس المُتناقضة ؟... فهي تارة الأم العطوف والزوجة المُتفانية التي تجعل من التضحية والغيرية والإيثار شعاراً لحياتها. ... وهي تارة أخرى المرأة اللعوب التي يدفعها غرورها بجمالها وبأنوثتها إلى التصرّف بالأسلوب الذي يُرضي غرورها فقط ، مما يجعلها تسعى للاستمتاع بكل ما في الحياة من متع و من مباهج، حتى لو كان ذلك على حساب مُعاناة من حولها وعلى حساب واجباتها العائلية...

وقد تكون أحياناً امرأة مُتمردة ترفض ما تعتبره تسلطاً من الرجل عليها في مجتمع ذكوري... لكنها قد تصبح في أحيان أخر ى امرأة ضعيفة مُستكينة تبحث عن الأمان في كنف أي رجل مما يجعلها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك إلى المكر أو إلى الأساليب الملتوية بعيداً عن المشاعر وعن الأحاسيس التي يُفترض أن تكون لها الأولوية في أي ارتباط سليم...

وقد نشاهد فيها أحياناً نموذجاً لامرأة مُكافحة أو لامرأة مسحوقة قد تتقبل أحياناً الإذلال والإهانة في سبيل إسعاد من حولها ... بينما تُصبح في أحيان أخرى امرأة ذات ميول إجرامية تدفعها إما العاطفة الجامحة أو الخيانة أو الرغبة في الانتقام إلى ارتكاب أبشع الجرائم... لكن الأخطر من ذلك كله عندما يؤدي اندفاع المرأة بعاطفتها أحياناً إلى أن تقع في شِرك رجل قد يُغرّر بها أو قد يدفعها إلى الاشتراك في جريمة تُدمر حياتها بالكامل...

كان تحليل شخصية المرأة على ما يبدو الشغل الشاغل للرجل على مرّ العصور ، لكن تحليل الرجل لشخصية المرأة قد يكون انطلق في كثير من الأحيان مما مرّ به من تجارب شخصية تسببت له بالمُعاناة أو ربما كان ذلك أيضاً انطلاقاً من رؤية اقتصرت على جانب واحد من الجوانب المتعددة لشخصية المرأة ...

لذا كان بعض كتّاب العصر الماضي ، وكذلك البعض من كتّاب عصرنا الحالي، قد اعتبر المرأة لغزاً غامضاً ... كما اعتبرها البعض الآخر من جنس أو من مرتبة أقلّ رفعة من الرجل من الناحيتين الفكرية والجسدية .، وهو ما كان قد أشار إليه الكاتب *فون إيكس* في مقالته التي كانت بعنوان :

The Mental and Moral Inferiority of the Female Sex

لكن مثل هذا التوصيف الجائر للمرأة كان قد أثار بالطبع حفيظة المرأة، وبذلك جاء الردّ من قبل العديد من الكاتبات وكذلك من الكتّاب في عدة مقالات كانت منها مقالة للكاتبة *فرجينيا وولف* التي بيّنت فيها بأن ما كُتب عن المرأة يُعتبر أكبر إساءة لبنات جنسها وبأن للمرأة مكانتها الكبيرة في المجتمع، وبأن المرأة

بشكل عام والمرأة الأديبة بشكل خاص قد أثبتت كل جدارة في مختلف المجالات ،. وأوردت الأمثلة على ذلك بالإنتاج الأدبي المُتميّز للعديد من الأديبات ومنهن *شارلوت برونتي* ،*جين أوستون* و*فاني بورني* و*الكاتبة الهندية سانتا راما راو* وغيرهن ممن الكاتبات اللواتي حصلن على أرفع الجوائز الأدبية مثل جائزتي نوبل و جائزة بوليتز في الآداب واللواتي حقّقن شهرة عالمية تُضاهي ما حققه الرجل من شهرة ،. وكذلك بعض الكتّاب الآخرين أمثال الكاتب *توماس هيغنسون* الذي دافع عن حقوق المرأة في عدة مقلات وقد أوردت ثلاث منها في هذه المجموعة القصصية.

كان الكثيرون أيضاً قد اعتبروا أن المرأة لا تصلح للعمل في المجال السياسي لعدم تحلّيها بما يسمى بالحِنكة السياسية وبأن عليها أن تتفرغ لواجباتها العائلية فقط ،. وبأنها لا تصلح أيضاً لشغل المناصب القضائية لما تتصف به من إحساس مرهف قد يجعلها تندفع بعواطفها وتَحيد عن إحقاق الحق الخ... لكن المرأة استطاعت أن تُثبت أهليتها وكفاءتها في العمل وفي مختلف المجالات السياسية والقضائية والدبلوماسية والتربوية والاجتماعية. ونحن نشاهد الآن العديد من السيدات اللواتي تقلّدن أرفع المناصب السياسية وممن أصبحن قاضيات،. كما أن المرأة قد أثبتت أيضاً جدارتها في مجال العمل الدبلوماسي لما تتميز بطبيعتها من سلوك راقٍ ومن لطف في التعامل...

ولابد أن نشير أيضاً إلى أن دور المرأة في المجال الأكاديمي وفي الجامعات وفي المؤسسات التعليمية، هذا عدا عن دورها الفعّال في مجال الأعمال الإنسانية وفي أعمال الإغاثة وفي مؤسسات حماية حقوق الإنسان وغيرها من مختلف الأعمال الخيرية... **HmHM**

هذا ما يُثبت بأن المرأة، مهما اختلفت طباعها، لها مكانتها الكبيرة في المجتمع، وبأنها تعتبر بالفعل نصف المجتمع. وبأنها استطاعت في عصرنا الحالي بالذات ، وبعد تحررها من الكثير من قيود العصور الماضية ،أن تُثبت دورها الفعّال في مجتمعات كانت تعتبرها أقل مرتبة من الرجل...

كما أن التاريخ قد أثبت على مرّ العصور أهمية الدور الذي قد تلعبه المرأة في دفع الرجل نحو تحقيق النجاح،. وبذلك لم يكن تعبير "*وراء كل رجل عظيم امرأة* " قد أطلق عَبثاً على المرأة...

وكذلك ما قيل بأن "*المرأة التي تهزّ المهد بيمينها قد تهزّ العرش بشمالها* ".

كما لابدّ أن نشير إلى قول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

وأخيراً ، فلو تركنا جانباً كل ما أوردناه، يكفينا أن نعود إلى ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة من تكريم للمرأة . فقد أنعم الله تعالى على المرأة وكرّمها في الكثير من الآيات واعتبرها أهلاً لمشاركة الرجل في الرأي وفي المشورة وفق ما ورد في الآية الكريمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

كما كرّم الله تعالى المرأة المسلمة بأن منحها الحق في حضانة أطفالها كما منحها الحق في الميراث، واعتبرها بمساواة الرجل في الثواب و في العقاب أيضاً في حال ارتكاب المعصية وذلك في الآية التي وردت في سورة النور الخ...

كما أن المرأة كانت حتى في فجر الإسلام قد شاركت في الغزوات وكانت سنداً للرجل بأن شاركته في المجالس الدينية والمجالس العلمية الخ..

وكل منا لابدّ أن اطلع على الأحاديث الشريفة التي أوصى به الرسول الكريم بالمرأة والتي اعتبر فيها أن البرّ بالأم بمثابة الجهاد ، كما أوصى بحسن معاملة المرأة.

لذا فإن المجتمع المثالي هو المجتمع الذي يسود فيه التعاون بين الرجل والمرأة في كافة المجالات، دون أن نُغفل بالطبع ضرورة حرص المرأة على أداء واجباتها التي تستند إلى طبيعتها الأنثوية وإلى أمومتها، وهو ما يتطلب منها أن تعطي الأولوية دوماً لاهتمامها بعائلتها ، وبألا تُهمل هذا الواجب المقدس على حساب أي من طموحاتها...

يسرني أن أضع بين أيديكم هذه المجموعة الجديدة من أشهر القصص العالمية التي صوّر فيها كتاب من العصر الماضي الأوجه المتعددة لشخصية المرأة وكذلك بعض المقالات التي دافع فيها الكتّاب عن الحقوق السياسية للمرأة وتتناول هذه القصص والمقالات :

المرأة الأم العطوف ـ المرأة في بحثها عن الأمان في كنف الرجل ـ المرأة التي يتملكها الغرور والأنانية ـ المرأة المُتمردة ـ المرأة الماكرة ـ المرأة العصرية ـ مشاكل المرأة في الزواج غير المتكافئ ـ المرأة ذات الميول الإجرامية...

مع أمنياتي لكم بقراءة ممتعة.

أمل عمر بسيم الرفاعي

أمومة
Maternity
للكاتبة ليليكا ناكوس

كانت فترة تزيد عن الشهر قد مرّت على تواجدهم في مدينة مرسيليا. وبذلك كان مخيم اللاجئين الأرمن في ضواحي المدينة قد بدأ يصبح أشبه بقرية صغيرة. استقر اللاجئون بالوضع الذي أُتيح لهم: الأكثر غنىً منهم تحت الخيم، واستقر الآخرون تحت الأسقف المُهدّمة.، لكن غالبية اللاجئين، الذين لم يجدوا ما هو أفضل، كانوا قد التجؤوا تحت بعض البسط التي ثُبتت من جوانبها الأربع بواسطة العصي. إلا أنهم مع ذلك كانوا يعتبرون أنفسهم من المحظوظين، لأنه كان بإمكانهم أن يعثروا على ملاءة تم تثبيتها على الجوانب بحيث تحميهم من العيون المُتطفّلة...

كان كل منهم قد شعر بذلك بأنه أصبح تقريباً في مسكنه الخاص. وجد الرجال ما يقومون به من أعمال مهما كان نوعها بحيث لا يكون عليهم مهما كانت الظروف أن يتضوّروا من الجوع، كما وجد أولادهم بذلك ما يأكلونه من قوت...

لكن الوحيد من بين جميع هؤلاء، الذي لم يكن بإمكانه القيام بأي شيء كان ميخائيل. كان ميخائيل يأكل ما يتفضّل عليه به جيرانه من قوت، وكان ذلك يكفيه لأنه كان رجلاً ضخماً، قوّي البنية، صحيح البدن لم يتجاوز بعد سن الرابعة عشر... ولكن كيف سيكون بإمكانه حتى التفكير بالبحث عن عمل و هو يحمل على ظهره عبء طفل حديث الولادة؟... فهذا الطفل منذ ولادته، التي تسبب بوفاة والدته، يصرخ مُعلناً عن جوعه من الصباح حتى المساء... ومن الذي سوف يسوف يتقبّل خدمات ميخائيل في الوقت الذي طرده فيه مواطنو بلده الأصلي من أحيائهم، فلم يكن بإمكانهم أن يحتملوا ذلك العويل المتواصل الذي كان يقضّ مضاجعهم ليلاً؟ وحتى أن ميخائيل ذاته كان يشعر بالدوار من ذلك الصراخ. كان يشعر بأن رأسه فارغة ، وكان يهيم على وجهه أشبه بروح ضائعة، يكاد يموت من قلّة النوم ومن شدة التعب، وهو يسحب معه باستمرار ذلك الحِمل الذي كان يكاد يتسبب له بالصمم، ذلك الطفل الذي كان قد ولد لسوء طالعه ولسوء طالع ميخائيل، والذي كان قد اختار أسوأ فترة للظهور في هذا العالم...

كان الجميع يسمعون صراخه بتوتر، فقد كان لديهم ما يكفيهم من العديد من المشكلات، لذا كانوا يتمنون له الموت إشفاقاً عليه.

لكن ذلك لم يحدث... لأن ذلك الطفل الحديث الولادة كان يُكافح بيأس لكي يعيش وكان يصرخ بصوت أعلى فأعلى مُعلناً عن جوعه. كانت النسوة تَصّمن آذانهن مذهولات، وكان ميخائيل يتنقّل من مكان لآخر أشبه بشخص مخمور .، لم يكن لديه فلساً واحداً كي يشتري به بعض الحليب لذلك الطفل ، كما لم يكن

في المخيم ولا حتى امرأة واحدة في وضع يُتيح لها إرضاع طفله. وهذا بحدّ ذاته ما يكفي لقيادة أي شخص إلى الجنون ...

وكان ميخائيل ذات يوم بعد أن استنفذ قدرته على الاحتمال، قد ذهب إلى الجهة الأخرى حيث يقع المكان الذي يُقيم فيه اللاجئون الأناضوليون الذين كانوا قد فرّوا هم أيضاً من المجازر التي ارتكبها الأتراك في آسيا الصغرى. كان قد قيل له بأن في ذلك المخيم، إحدى الأمهات المُرضعات التي قد تشعر بالشفقة على طفله. توجّه ميخائيل إلى هناك يملؤه الأمل. كان مُخيمهم شبيهاً بالمخيم الذي كان فيه، له ذات مظاهر البؤس. كانت النسوة العجائز مُستلقيات على الأرض على فُرش من القش، وكان الأولاد الحفاة الأقدام يلعبون حول المستنقعات القذرة...

عندما اقترب ميخائيل من مخيمهم، نهضت عدة عجائز لكي تسألنه عما يريده، لكن ميخائيل استمر في سيره، ولم يتوقف إلا عندما وصل إلى أمام مدخل خيمة مفتوحة، كانت تبدو على أحد جدرانها أيقونة العذراء مريم، وكان قد سمع من داخلها صوت بكاء طفل. قال ميخائيل باللغة اليونانية:

"أرجوكِ باسم العذراء المقدسة التي تبدو أيقونتها على جدارك، أن ترأفي بحال هذا الطفل اليتيم، وأن تُعطيه بعض الحليب، أنا أرمني فقير الحال..."

لدى سماعها نداء ميخائيل خرجت من الخيمة امرأة سمراء جميلة تحمل بين يديها طفلاً كان يمتص الحليب من صدر أمه بمنتهى السعادة بعينين نصف مُغمضتين.

قالت المرأة لميخائيل:

"دعني أرى الطفل، هل هو صبي أم فتاة؟"

خفق قلب ميخائيل فرحاً، كما اقترب بعض الجوار كي يشاهدوا مايحدث. ساعدوا ميخائيل على إنزال الكيس الذي كان يحمل بداخله الطفل فوق كتفه، وانحنوا بفضول كي ينظروا إلى ذلك الطفل الشقيق، ثم سحب ميخائيل الغطاء عن الطفل.

أطلقت النسوة حينئذ عدة صرخات لهول ما رأينه ... لم يكن قد تبقى من ذلك الطفل أي شيء يُشبه الآدميين. كان الطفل عبارة عن مسخ!... كان الرأس قد أصبح ضخماً، بينما ظلّ الجسد ضئيلاً بشكل لا يصدّق كما كان قد تغضّن بكامله. وبما أن ذلك الطفل كان حتى ذلك الوقت يمتص إبهامه فقط، فقد انتفخ ذلك الإبهام بحيث لم يعد فمه يتسع له. كان شكله مُفزعاً!... حتى أن ميخائيل ذاته كان عندما نظر إليه قد تراجع لشدة الفزع.

قالت إحدى العجائز :

"أيتها العذراء المقدسة ! لكن هذا الطفل عبارة عن مصاص دماء، إنه مصاص دماء حقيقي!... فحتى لو كان لدي بعض الحليب فلن تكون لدي الشجاعة لكي أقوم بإرضاعه."

وقالت امرأة أخرى وهي تُصلّب على صدرها :

"هذا مسيح دجال حقيقي! يبدو وكأنه ابن حقيقي لأحد الأتراك!"

ثم جاءت عجوز شمطاء أخرى كانت قد صرخت عندما شاهدت الطفل الوليد وقالت :

"هذا هو الشيطان بعينه!..."

ثم التفتت إلى ميخائيل وهي تصيح:

"اذهب من هنا، يا ابن الشقاء... إياك أن تضع قدمك هنا مرة أخرى، لأنك سوف تجلب لنا سوء الطالع!.."

ثم قام الجميع معاً بطرد ميخائيل من المخيم وهم يُهدّدونه...

غادر ميخائيل المكان بعينيين ممتلئتين بالدموع، وهو يحمل على مِنكبه ذلك الطفل الصغير الذي استمر في عويله لشدة الجوع. لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئاً. يبدو أنه قد حُكم على ذلك الطفل بالموت جوعاً.

شعر ميخائيل بالوحدة وبالضياع، وسَرت في ظهره قشعريرة من مجرد التفكير بأنه يحمل على ظهره مثل ذلك المسخ. كان الطقس لا يزال شديد الحرارة، لذا التجأ ميخائيل إلى ظلّ إحدى المظلات الخشبية، وامتدت أمام ناظريه تلك البلدة المترامية الأطراف التي نبذته...

ثم دقت الساعة في مكان ما مُعلنةً الثانية عشرة. ذكّره ذلك الصوت بأنه لم يكن قد أكل شيئاً منذ الأمس، وبأن عليه الآن أن يهيم على وجهه في الشوارع وحول مصاطب المقاهي، لكي يسلب نصف رغيف تبقّى في أحد الأطباق، أو لكي ينبش في المزابل بحثاً عمّا أنِف عن أكله أحد الكلاب...

أحسّ ميخائيل فجأة بأن الحياة قد أصبحت بالنسبة إليه عبارة عن كابوس مرعب، مما جعله يضع يديه على وجهه ويُجهش بالبكاء بيأس وحُرقة.

وكان عندما رفع رأسه قد وجد أمامه رجلاً. كان ذلك الرجل يُحدق به بصمت . تذكّر ميخائيل ذلك الرجل فهو الرجل الصيني الذي كان قد جاء عدة مرات إلى المخيم لكي يبيع الأحاجي الورقية والتعاويذ، التي لم يكن يشتريها منه أحد على كافة الأحوال. كان المقيمون في المخيم كثيراً ما يسخرون منه بسبب لون بشرته ولشكل عينيه نصف المُغمضتين، وكان الأولاد يُطاردونه وهم يصيحون: "

لي لينك، الصيني التَتن!"

وجد ميخائيل بأن ذلك الرجل كان ينظر إليه بوداعة، وبأنه كان يُحرّك شفتيه كما لو أنه يريد أن يقول له شيئاً. إلى أن قال الرجل الصيني أخيراً:

"لايجوز أن تبكي، أيها الرجل..."

ثم أضاف بحياء "تعال معي..."

وكان ما أجاب به ميخائيل هو أن هزّ رأسه فقط بالرفض، وكان يرغب بالهرب منه، لأنه كان قد سمع الكثير

مما كان يُروى من أمور مُروّعة عن أولائك الشرقيين! وحتى أن المقيمين في المخيم كانوا قد تجاوزوا ذلك بأن قالوا بأن لهم عادات تُشبه عادات اليهود، مثل سرقتهم للأطفال المسحيين لكي يقتلونهم ويشربون دمائهم!...

لكن الرجل الصيني ظلّ في مكانه ولم يتزحزح، وبذلك نهض ميخائيل الذي كان في ذروة الشقاء وتبعه. فما هو الأكثر شناعة مما قد يُصيبه بأكثر مما كان فيه؟...

كان ميخائيل وهما يتوجهان نحو الأمام، قد تعثّر لشدة ما كان فيه من إرهاق وكاد يقع على الأرض مع الطفل.، وبذلك دنا منه الرجل الصيني، وأخذ بين ذراعيه الطفل وضمّه إلى صدره بحنان.

وبعد أن اجتاز الرجلان عدة أزّقة فارغة، اتجه الرجل الصيني إلى زقاق صغير قادهما إلى ما يُشبه الكوخ الخشبي، تُحيط به حديقة صغيرة. توقف الرجل الصيني أمام الباب وصفق بيديه مرتين، حينئذ أومضت بعض الأضواء الخافتة في المكان، ثم فُتح الباب وأطلّت منه امرأة ضئيلة الحجم . احمر وجه المرأة عندما شاهدت الرجلان ثم أشرق وجهها من جديد بابتسامة سعيدة، وانحنت أمامهما انحناءة تهذيب صغيرة. كان ميخائيل لايزال واقفاً أمام الباب مُتردداً في الدخول، قال له الرجل الصيني:

"لا تخف، ادخل، هذه زوجتي."

دخل ميخائيل إلى الغرفة التي كانت تبدو كبيرة الحجم، تقسمها في منتصفها إلى قسمين ستارة ورقية مُلوّنة. كان كل ما في الغرفة يتّسم بالنظافة وبالترتيب، على الرغم من مظاهر الفقر التي تبدو على المكان. لاحظ ميخائيل في أحد زوايا الغرفة مهداً صغيراً مصنوعاً من أغصان الأشجار.

قالت المرأة الشابة وهي تهّز رأسها باتجاه واحد وتبتسم "هذا طفلي، هو صغير الحجم جداً لكنه جميل جداً، تعال لكي انظر إليه."

اقترب ميخائيل ونظر إلى ذلك الطفل بصمت وإعجاب. طفل مُكتنز، ل كان يبدو وكأنه قد خرج لتوه من ظلمة رحِم أمه، كان ينام بهدوء أشبه بملاك صغير عليه غطاء من قماش مُقصّب ذهبي اللون .

نادى الزوج زوجته بعد ذلك ، ودعاها إلى الجلوس على حصير مصنوع من القش، ثم كان دون أن يتفوّه بكلمة واحدة، قد وضع ذلك الطفل الذي كان يتضوّر من الجوع في حجرها، ثم انحنى أمامها انحناءة كبيرة. انحنت المرأة نحو الطفل بدهشة وسحبت الغطاء الذي كان الطفل مُلتفاً به، وبدا لها ذلك الطفل بكل ما فيه من هيكل عظمي مُرعب لمِسخ حقيقي...

أطلقت المرأة حينئذ صرخة، لكنها لم تكن صرخة فزع وإنما كانت صرخة تنمّ عن الكثير من الإشفاق، ثم ضمّت الطفل إلى صدرها وأعطته ثديها، وكانت بحركة متواضعة قد غطت بطرف ثوبها ثديها المنتفخ بالحليب، بينما بدأ ذلك الطفل البائس يمتصّ منه الحليب بنَهم .

بين الدروب إلى الجنة
Among the paths to Eden
للكاتب ترومان كابوت

كان السيد أيفور بيلي في أحد أيام السبت من شهر آذار (مارس)، ومع بدء هبوب الرياح اللطيفة وإبحار الغيوم، قد اشترى من بائع الزهور في بروكلين، عدداً كبيراً من زهور النرجس الجميلة، وحملها معه في البداية في قطار الأنفاق ، ثم سيراً على الأقدام، متوجّهاً إلى مقبرة واسعة تقع في منطقة كوينز، وهو المكان الذي لم يكن قد زاره منذ مواراته زوجته التراب في الخريف الماضي...

لم تكن عودة السيد أيفور إلى تلك المقبرة نابعة من مشاعره، فالسيدة بيلي، التي استمر زواجه بها لمدة سبعة وعشرين عاماً، والتي كانت قد أنجبت له خلالها ابنتين، هما الآن راشدتين ومتزوجتين، كانت امرأة مُتقلبة الطباع كما كان أكثرها الطباع مُتعباً، ولم تكن لديه أيضاً الرغبة في تجديد تلك العلاقة غير المريحة حتى من الناحية الروحية. لا... لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. لكن الشتاء القاسي كان قد انتهى، وكان أيفور بيلي يشعر بالحاجة إلى التريّض في الهواء الطلق، وإلى نزهة من شأنها أن تشدّ من عزيمته في ذلك الطقس الذي يُبشّر بربيع جميل.، وبالإضافة إلى ذلك فسوف تكون هناك أيضاً فائدة من تلك الزيارة، حيث سيكون من اللطيف أن يروي لابنتيه كيف قام بزيارة قبر والدتهما.، وقد يساهم ذلك بشكل خاص، بتهدئة ابنته الكبرى بعض الشيء التي كانت تتحسّس، على ما يبدو، من تقبّله فكرة العيش بمفرده بكل رضى .

لم تكن المقبرة بالمكان المريح الجميل، وإنما هي في الواقع مكان مُخيف جداً: يارادات من الأحجار الرمادية اللون، تتناثر فوق سفح غير مُظلّل تنتشر فيها بعض الأعشاب المتفرقة. هناك فيها إطلالة خلفية على أفق سماء مانهاتن، تُعطي لذلك المكان بعض الجمالية بما يُشبه اللوحة، تلوح من وراء تلك الأضرحة، وكأنها شاهدة ضريح شاهقة تُكّرم بها تلك الجماعة الساكنة الفانية ممن كانوا من زمن بعيد من المواطنين...

جعل المشهد المجاور السيد بيلي، الذي يعمل بوظيفة محاسب ضريبي ،والذي كان على استعداد للاستمتاع بالسخرية من كل شيء مهما كان في ذلك من الساديّة، جعله يبتسم أو أنه كان قد جعله في الحقيقة يضحك ضحكة خافتة ويقول :

" آه يا ربّ السماء!.. "

كان في دَلالة ذلك المشهد ما جعله أيضاً يرتعش، وبذلك تبدّدت بهجة تلك النزهة التي قادته إلى السير في طرقات تلك المقبرة المفروشة بالحصى الصلبة. تباطأ ثم توقف عن السير وأخذ يُفكّر :

"كان علي أن أصطحب حفيدي مورتي اليوم إلى حديقة الحيوانات." رغم أن مورتي حفيده هذا كان لايزال

في الثالثة من عمره فقط... لكن لا... سوف يكون من الحماقة ألا يستمر الآن في سيره حاقداً... ولِم عليه أيضاً أن يبدد باقة الزهور؟ وكان مزيج من شعور نبيل ومن الرغبة بالاقتصاد قد جعلاه يستعيد نشاطه. استمر في السير وكان يتنفس بصعوبة لما كان فيه من استعجال، إلى أن توقف أخيراً أمام القبر.

انحنى السيد أيفور لكي يضع باقة الزهور في وعاء صخري كبير مُتوضّع على قطعة من الرخام الرمادي غير المصقول، حُفر عليها بالخط القوطي مايلي:

سارة بيلي

١٩٠١ – ١٩٥٩

كانت الزوجة الوفية للسيد أيفور

فكّر "يا الله، كم أشعر بالراحة بأن يسكت لسان تلك المرأة إلى الأبد!..." وعلى الرغم مما كان لتلك الفكرة من تأثير في شعوره بالسكينة، وعلى الرغم مما دعمّ ذلك رؤية لشقة العازب الجديدة الصامتة، فلم يكن ذلك أقل مما أضرمه فيه ذلك النهار الجديد من شعور مُتوقّد بالخلود ومن بهجة البقاء على قيد الحياة...

توجه نحو الأمام وهو يستبشر الخير من ذلك الهواء النقي المنعش ، ومن هذه النزهة، ومن شذى ربيع آخر سوف يحلّ عما قريب... لكنه تمنى أيضاً لو أنه كان قد وضع على رأسه قبعة لأن أشعة الشمس كانت زائفة ولم تكن دافئة تماماً، كما أن الرياح كانت قد بدأت تَعصف.

كان السيد أيفور وهو يُشذب الزهور، قد شعر بالندم لعدم قدرته على تأخير ذبولها بوضع المزيد من الماء في القَدر، لكنه كان آخر الأمر قد خلى عن تلك الزهور واستدار لكي يغادر المقبرة.

لكن سيدة كانت قد اعترضت طريقه فجأة، لم يكن السيد أيفور قد لاحظ وجودها من قبل على الرغم من قلّة الزوار في المقبرة ، كما لم يكن قد شعر باقترابها منه. لم تتنحنح تلك السيدة جانباً، وإنما ألقت نظرة إلى زهور النرجس، ثم استدارت إلى الخلف واستقر نظرها على السيد بيلي، من وراء نظارة ذات إطار معدني، وسألته:

"أهي قريبتك؟"

أجاب إيفور "زوجتي." ثم تنهد كما لو أنه كان من الضروري أن يصدر عنه مثل ذلك الصوت.

تنهدت تلك السيدة أيضاً، تنهيدة كانت بالأحرى تُثير الفضول بما كانت توحي به من رضى وقالت "آسفة."

تطاول وجه بيلي وقال "لابأس ."

ثم قالت "هذا مؤسف بالفعل."

أجاب "نعم."

"آمل ألا يكون مرضها قد استمر لمدة طويلة، أكانت تتألم؟"

أجابها وهو يتنقّل بوقفته من قدم لأخرى :

"لا.. كان ذلك قد حدث بينما كانت نائمة."

ثم شعر بأن الصمت بينهما قد طال وأضاف "مشكلة قلبية."

قالت باكتئاب "إي...يه. هذه هي الطريقة التي فقدت بها والدي من فترة قريبة، يبدو أن هناك ما هو مشترك بيننا." ثم أضافت بصوت يوحي بالكآبة "و هو أمر بإمكاننا التحدث عنه معاً ."

"أقدّر شعورك."

" لم تألما على الأقلّ، وهذا ما يجعل المرء يشعر بالعزاء."

نفذ صبر السيد بيلي، الذي كان حتى ذلك الوقت قد ترك نظره مُخفّضاً إلى الأسفل، بعد النظرة المبدئية التي ألقاها عليها، كان ينظر فقط إلى حذاء تلك المرأة المتين الذي يُشبه أحذية العجائز والممرضات. وحدّث نفسه :

"حذاءٌ مريحٌ جداً." ثم نفّذ ثلاثة أمور معاً: رفع عينيه، وضرب على قبعته ضربةً خفيفة بالتحية ، وخطا خطوة نحو الأمام.

لكن تلك المرأة ظلّت واقفة أمامه، وكأنها كانت قد استُخدِمت لكي تحتجزه وقالت:

"هل بإمكانك أن تُعلمني عن الوقت؟ ساعتي قديمة..." ثم ضربت ضربة خفيفة بخجل على ساعة أنيقة كانت تُطوّق مِعصمها وقالت :

" كنت قد حصلت عليها عندما تخرجت من المدرسة الثانوية، لذا لم تعد تعمل بشكل جيّد، أعني أنها قديمة جداً، لكن مظهرها جميل."

اضطر السيد بيلي إلى فتح أزرار معطفه، لكي يبحث عن ساعته الذهبية المُعلّقة على جيب صديرته. وكان بذات الوقت قد بدأ يتفحّص تلك السيدة بكل ما فيها من تفاصيل: لابد أنها كانت في طفولتها شقراء لأن لون بشرتها ومظهرها الخارجي يوحيان بذلك، هناك لمعة وأناقة في بشرتها الاسكندينافية، خداها مُتوردان يوحيان بصحة أهل الريف، وفي عينيها الناعستين الودودتين ـ عينان صادقتان ـ نوع من الفتنة رغم إطار النظارات الفضي الرفيع الذي يُحيط بهما، لكن شعرها كان، بشكل خاص، في الجزء الذي كان يظهر منه تحت قبعتها المصنوعة من الجوخ، جعِداً ولم يكن له ذلك اللون الاستثنائي. كانت أطول قليلاً من بيلي الذي كان، بمساعدة كعب الحذاء، بطول خمسة أقدام فقط، كما أنها تبدو أثقل وزناً منه بقليل، ومع ذلك فهو يعتقد بأنها لا تشعر بالسرور عندما تَزن نفسها. أما يداها فهما شبيهتان بيدي سيدات المنازل،

وبالنسبة للأظافر فهي ليست فقط مقروضة بشدة، وإنما هي مَطلية أيضاً بلون لؤلئي فسفوري غريب. كانت ترتدي معطفاً بسيطاً بني اللون وتحمل حقيبة يد سوداء عادية. وكان السيد بيلي عندما انتهى من تفحّص جميع مُكوناتها (تعبير مجازي) قد وجد بأنها توحي إجمالاً بمظهر الشخص اللائق والمحترم جداً، وبأن مظهرها العام قد أعجبه، على الرغم من طلاء أظافرها الذي لا يُشجّع.، وبأنها امرأة توحي بالثقة، أسوة بتلك الثقة التي كان يشعر بها نحو سكرتيرته الخاصة "إستر جاكسون". كانت قد ذكّرته بالفعل بالآنسة جاكسون، ليس لأن تلك المقارنة كانت عادلة بالنسبة للآنسة جاكسون، التي كانت تمتلك، كما قال لزوجته السيدة بيلي ذات يوم أثناء إحدى شجاراتهما "أناقة الذكاء." لكن هذه المرأة التي تقف أمامه الآن تبدو على كافة الأحوال مُشبعة بحسن النية (تعبير مجازي) وهو الأمر الذي كان يقدّره في سكرتيرته الآنسة جاكسون أو إستر (كما كان يُناديها في الفترة الأخيرة دون أن ينتبه إلى ذلك). كما أنه علاوة على ذلك، يتوقع أن تكونا بذات السن، أي في حدود الأربعين.

ثم أجابها "الثانية عشرة بالضبط."

قالت "أهذا معقول!... لابد أنك تتضوّر جوعاً."

ثم مدّت يدها داخل حقبتيها المُنتفخة التي كانت تبدو أشبه بسلّة نزهة مَحشوة بأطعمة تكفي لوليمة، وأخرجت منها قبضة من الفول السوداني وقالت:

"في الواقع، أنا منذ وفاة والدي أعيش عملياً على الفول السوداني، فليس لدي من أعدّ الطعام لأجله، وعلي أن أقول مع ذلك، حتى لو قلت هذا، بأنني أفتقد الطعام الذي أطهوه بنفسي. كان أبي يقول دوماً بأن الطعام الذي أطهوه أفضل من طعام أي مطعم كان قد ذهب إليه.،ولكن ليس من الممتع أن تطبخ لنفسك فقط، حتى لو كان بإمكانك أن تُعّد مختلف أنواع الحلويات الخفيفة كالورق. تفضّل! تناول البعض منه، تمّ تحميصه حديثاً."

تقبّل السيد بيلي ذلك، لأنه كان دوماً يحب الفول السوداني كما يُحبه الأطفال . جلس على قبر زوجته وأخذ يأكله، وهو يأمل أن يكون لدى صديقته المزيد منه. ثم اقترح عليها بإشارة من يده أن تجلس إلى جانبه، لكنه فوجئ بأن تلك الدعوة جعلتها تشعر بالحرج، فقد ازدادت حمرة خديها كما لو أنه كان قد طلب منها أن تُحوّل قبر السيدة بيلي إلى سرير للحب. وبأنها قالت:

"لا بأس من ذلك بالنسبة إليك فهي قريبتك، لكن بالنسبة إلي، فهل كانت زوجتك ستقبل أن يجلس شخص غريب على مثواها الأخير؟"

قال لها السيد أيفور " لابأس، أرجو أن تعتبري نفسكِ ضيفة. لن تتضايق سارة بذلك ..."

وكان قد شعر بالارتياح لأن المتوفاة لن تسمعه، كما شعر بمزيج من التسلية ومن الرهبة وهو يفكر بما كانت ستقوله سارة، وكيف ستكون ردّة فعل تلك المرأة المُفعمة بالحيوية التي كانت تختلق المشاكل، تلك

المرأة العنيفة، التي كانت تبحث بين ملابسه عن آثار لأحمر الشفاه، أو عن خِصلة من شعر أشقر، لو كان بإمكانها أن تراه الآن جالساً على قبرها، وهو يقشّر الفول السوداني مع امرأة أخرى لا تتحلى بذلك القدر الكبير من الجاذبية...

كان السيد بيلي عندما اتخذت الآنسة أوميغان لنفسها مكاناً على طرف القبر، قد لاحظ بأن ساقها اليسرى بقيت مُتصلبة أشبه بقطعة خشبية صلبة مؤذية وكأنها تنوي أن تجعل المارة يتعثرون بها. وكانت الآنسة أوميغان عندما لاحظت نظرته الفاحصة قد ابتسمت وقالت وهي ترفع ساقها وتُحركها من الأعلى إلى الأسفل:

"كان ذلك نتيجة حادث كنت قد تعرضت إليه عندما كنت طفلة. كنت قد سقطت من أعلى قاطرة سريعة في كوني. وأقول لها بصدق، كانت جميع الصحف قد كتبت عن ذلك. لا أحد يعلم كيف بقيت على قيد الحياة... لكن الأثر الوحيد لذلك الحادث هو أنني لا أستطيع ثني ركبتي، وفيما عدا ذلك ليس هناك أي فارق، سوى في إمكانية ذهابي للرقص. هل أنت ممن يحبون الرقص؟"

هزّ السيد بيلي رأسه بالنفي لأن فمه كان محشواً بالفول السوداني. وكانت قد استأنفت حديثها بالقول :

"هذا شيء آخر نتشابه به الرقص، قد أرغب بالرقص، لكنني لا أستطيع ذلك، لكنني مع ذلك أحب الموسيقى."

هزّ السيد بيلي رأسه ثانية بالتأييد.

ثم أضافت "كما أنني أحب الزهور أيضاً" ثم لمست باقة النرجس بيدها ومرّرتها على قطعة الرخام كما لو أنها كانت تقرأ على طريقة بريل ثم لفظت اسمه المحفور عليها بطريقة خاطئة "آيفور، آيفور بيلي." ثم قالت:

"اسمي ماري أوميغان. كنت أفضّل أن أكون إيطالية، أختي إيطالية لأنها تزوجت أحدهم. هو رجل كثير المرح وسهل المعشر مثله مثل جميع الإيطاليين، وهو يقول لي دوماً بأن السباغيتي التي أطهوها أفضل مما تذوّقه طوال حياته، خاصة تلك التي أطهوها مع صلصة الحيوانات البحرية . عليك أن تتذوقها ذات يوم ."

كان السيد بيلي قد انتهى من أكل الفول السوداني. شدّ بطنه للأعلى وقال:

"لديك الآن زبون لكنه ليس إيطالي." وكان قد قال ذلك وكأنه يقول "لست سوى يهودي."

قطبت ماري أوميغان حاجبيها، ولكن ليس لكي تُعرب عن عدم تأييدها، وإنما كما لو أنه كان قد أثبط همّتها بشكل غريب.

استأنف حديثه بالقول "كانت عائلتي قد جاءت من روسيا، لكنني ولدت هنا."

أعادت إليها تلك المعلومات الحماس من جديد وقالت:

"لست أهتم بما يُكتب في الصحف، أنا متأكدة من أن الروس مثلهم مثل غيرهم من البشر. هل شاهدت

باليه بولتشوي في التلفاز؟ ألا تشعر بالفخر لأنك من الروس؟"

فكّر السيد بيلي " يبدو أنها بالفعل فتاة حسنة النيّة" وظلّ صامتاً.

ثم قالت "ليس هناك أي فارق بأن يكون حساء الملفوف الأحمر بارداً أو ساخناً، بالكريمة أو بدونها... همهمت ثم قالت ... أترى..." ثم أخرجت حفنة أخرى من الفول السوداني وقالت:

"لابد أنك كنت جائعاً. رجل بائس" ثم تنهدت وقالت من جديد "لابد أنك تفتقد كثيراً طبخ زوجتك."

كان ذلك صحيحاً، كان بالفعل يفتقد ذلك، وكان تحويل مجرى الحديث إلى شهيته قد جعله يُدرك ذلك. كانت سارة تُعدّ دوماً مائدة طعام حافلة بجميع أنواع الأطعمة اللذيذة ذات نكهة رائعة ، وفي المواعيد المحددة ... ثم تذكّر أيضاً بعض أنواع كعكات القرفة التي كانت تُعدها في أيام الأعياد، وتذكّر الصلصة بمرق اللحم، وأغطية الأسرّة النظيفة المُنشّاة، والفضيات المُغلفة بالمناديل. ولم تكن سارة مع ذلك تطلب منه حتى تجفيف أحد الأطباق ... ثم خُيّل إليه وكأنه يسمع الآن صوت همهمتها بهدوء في المطبخ .

لم تكن سارة تشتكي أبداً من عبء الأعمال المنزلية، كما أنها كانت قد عملت على أن تجعل تنشئة الفتاتين تتابعاً لسلسلة من الأحداث التي تتصف بالحنان والغيريّة، بينما كانت مساهمته في تنشئتهما عبارة عن شاهد عيان يتفاخر بابنتيه لا أكثر . هاهي إيفي تعيش الآن في برونكفيل بعد أن تزوجت من طبيب أسنان. أما شقيقتها فقد تزوجت من أ.ج.كراكوفر، المحامي الشريك في مؤسسة " لوب وكراكوفر" القانونية في فينيكان. كان عليه أن يشكر سارة فهي التي أنجزت كل ذلك... هناك بالفعل الكثير مما قد يُقال عن سارة...

شعر السيد بيلي بالسرور وهو يجد نفسه يفكّر بكل ذلك، وبأنه لم يعد يتذكر فقط تلك الساعات التي كانت سارة تُمضيها في انتقاد عاداته وعيوبه، من لعبه للبوكر، ومن ملاحقته للنساء... تلك الساعات التي كانت عبارة عن جحيم مُستعر . ومع ذلك، كان هناك في حياتهما بعض الأمور الأكثر وداعة: عندما كانت سارة تتفاخر بقبعاتها التي كانت تُحيكها بنفسها، وعندما كانت في الأيام التي يسقط فيها الثلج، تنشر فتات الخبز على عتبات النوافذ لأجل اليمامات، وكانت تلك الموجة من الخيالات قد رمت في البحر كل ما كان لديه من ذكريات تافهة قاسية...

وشعر بسعادة كبيرة لأنه يتذكر كل ذلك ، وبأنه حزين ونادم لأنه لم يكن قد شعر من قبل بمثل ذلك الأسف. ولكن وعلى الرغم مما لديه الآن من شعور بالتقدير لسارة ، فليس بإمكانه أن يتظاهر بالأسف لأن حياتهما معاً قد انتهت، ذلك لأن الترتيب الحالي للأمور هو الأفضل بشكل عام على المدى البعيد، ومع ذلك فهو الآن يتمنى لو أنه كان قد أحضر بعض نباتات الأوركيد (السحلبية) بدلاً من زهور النرجس، فتلك هي الزهور التي كانت سارة تحتفظ في الثلاجة ،بما يتبقى منها من الزهور التي تتلقاها ابنتيها ، وإلى أن تذبل تماماً.

ثم سمع أيفور فجأة صوتاً يقول " لابدّ أنهما جميلتان أليستا كذلك؟" تساءل عمن كان يتحدث إليه الآن. وكان عندما فتح عينيه وأغمضهما، من جديد قد أدرك بأنها كانت ماري أوميغان. كانت تتكلم دون أن يسمعها، بصوت خجول هادئ أشبه بعزف موسيقي لشخص لا،يصغي إليه، صوت خفيض غِرّ بشكل غريب يجعل المرء يتساءل كيف كان بالإمكان أن يصدر من مثل ذلك الجسم الضخم.

"كنت أقول لابد أن ابنتيك لطيفتان، أليستا كذلك؟"

كانت الإجابة الوحيدة التي أنقذته من شروده هي كلمة "حسناً ، لابأس "

ثم قالت "لا تتواضع، أنا متأكدة من أنهما كذلك، هذا لو أنهما تُشبهان والدهما." ثم ضحكت وقالت "لا تأخذ هذا على مَحمل الجدّ، فأنا أمزح، لأنني أحب الأطفال جداً. وبإمكاني أن أستبدل أي شخص ناضج بطفل. لدى شقيقتي خمسة أطفال، أربعة أولاد وفتاة. شقيقتي دوت تطلب مني دوماً رعاية أطفالها، لأن لدي الوقت لذلك الآن، ذلك لأنني لم أعد مسؤولة عن رعاية والدي باستمرار . وهي تقول لي وكذلك فرانك زوج شقيقتي، الذي حدثتك عنه: ـ ماري ، ليس هناك من بإمكانه أن يتعامل مع الأطفال مثلك ـ كما أنك تشعر بذات الوقت بالتسلية، والأمر سهل جداً، لا حاجة لأكثر من كأس من الكاكاو وعراك بسيط بالوسائد لكي يشعر الطفل فوراً بالنعاس."

ثم قالت وهي تقرأ الأسماء المحفورة على القبر بصوت مرتفع "إيفي وربيكا، أسماء جميلة، أنا متأكدة من أنك تفعل كل ما بوسعك، لكن رعاية فتاتين صغيرتين بدون أم..."

استطاع السيد بيلي أخيراً أن يتابع ما تقوله وقال :

"لا... لا،.. إيفي ذاتها هي أم لطفل، كما أن ريبيكا تنتظر طفلاً الآن "

تحوّلت نظرة الحزن المؤقت على وجه الآنسة أوميغان إلى تعبير عن عدم التصديق وقالت "جدّ؟ أأنت جدّ ؟"

كان السيد بيلي من النوع المُتفاخر في كثير من الأمور، فهو على سبيل المثال، يعتبر نفسه أكثر ذكاءً من الآخرين، وبأن لديه طاقة عقلانية وبُعد نظر لاستيعاب الأمور، وبأن لديه إمكانية قراءة مابين السطور، لكن نظرته إلى المرآة لم تكن مع ذلك تجعله يشعر سوى بالقليل من الاستحسان، ليس لأنه لم يكن يُحب مظهره، وإنما لأنه كان يعرف جيداً بأنه من الأشخاص العاديين. كان الصلع قد بدأ يَدبّ في رأسه منذ عشر سنوات مما جعله أشبه بالأرض الجرداء. كان لأنفه شكلاً مميّزاً، لكن ذقنه المزدوجة لم تكن مميّزة. صحيح أن أكتافه عريضة، لكن كل جسمه كان كذلك. هو بالطبع أنيق المظهر، أحذيته تلمع دوماً، وملابسه نظيفة، كما أنه ،ينظف أسنانه مرتين في اليوم، لكن مثل تلك المعايير لا تفيد في التمويه، وإنما هي تنفي الحقيقة وتُؤكد فقط على طبقته الاجتماعية المتوسطة، وعلى أمور اعتيادية في هذه السن المتوسطة...

لكن السيد أيفور لم يكن قد تجاهل مع ذلك إطراء ماري أوميغان، لأن الإطراء في جميع الأحوال، حتى بما

قد لا يستحقه المرء ، لابدّ أن يكون له في كثير من الأحيان تأثيره الأكبر علينا...

قال السيد بيلي، وكان بذلك قد اختصر أربعة أعوامٍ من سنه الحقيقي:

"أنا الآن في الواحدة والخمسين، لكن بإمكاني أن أقول بأنني لا أشعر بذلك."

لكنه في الحقيقة لم يكن كذلك . ربما كان شعوره ذاك لأن الريح كانت قد خمِدت، ولأن أشعة الشمس كانت قد بدأت تصبح أكثر دفئاً، ومهما كان السبب ، كانت الآمال قد توقّدت في نفسه في تلك اللحظة، فهو لايزال على قيد الحياة، وهو رجل لايزال يُخطط للمستقبل...

قالت من جديد "واحد وخمسين عاماً!... هذا لاشيء، هو عنفوان الشباب، هذا إن كنت تعتني بنفسك. رجل في سنك في حاجة إلى من يرعاه، ولمن يعتني به ويسهر على راحته."

لابدّ أن المرء في المقبرة يكون في أمان في ملاحقته للأزواج؟ كان هذا التساؤل قد توارد إلى ذهن السيد بيلي، وهو يتفحّص وجهها الدافئ الساذج ويختبر نظرة الخداع فيه. لكنه كان قد توقف ،. فقد وجد ، على الرغم من اطمئنانه إليها، بأن من الأفضل أن يُذكّرها بالجو الذي يُحيط بهما. وسألها بأسلوب أخرق:

" هل يرقد والدك في مكان قريب من هنا؟

أجابت "أبي؟ لا... كان أبي من النوع الشديد الشكيمة، لذا رفض أن يُدفن، وهو بذلك في المنزل."

تواردت إلى ذهن السيد بيلي حينئذ صورة مزعجة، كان أحد أسبابها ما لم تكن قد أغفلته في حديثها حيث قالت "لازال رفاته في... لم يتبدد تماماً..." وكذلك بما قالته بعد ذلك وهي تهزّ كتفيها دون مبالاة:

"حسناً، هذا ما كان قد رغب به. قد تعجب من سبب وجودي هنا؟ لست أقيم بعيداً من هنا، وهذه بمثابة النزهة والمنظر هنا..."

ثم استدارا معاً للنظر إلى خطّ الأفق حيث كانت أبراج بعض المباني تبدو كالأعلام بين الغيوم، وكانت أشعة الشمس تتألق على النوافذ أشبه بملايين من القطع الزجاجية. استأنفت ماري أوميغان كلامها بالقول:

"ياله من يوم رائع للتنزّه!"

فكّر السيد بيلي: أنتِ فتاة لطيفة جداً، ثم تفوّه بذلك أيضاً، لكنه ندم بعد ذلك لأنها سألته على الفور :

"لماذا؟" قال لها "حسناً، لأن ما قلتيه حول النزهات كان لطيفاً."

قالت بشعور من الفوز " أترى، نحن نتشابه في الكثير من الأمور! أنا لا أفوّت نزهة. أنا أعزف على البوق، كنت أفعل ذلك عندما كنت في مدرسة القلب الأقدس كما قلتَ سابقاً ثم أخفضت صوتها وكأنها تتطرق إلى موضوع يحتاج إلى نبرة صوت جدّية وقالت:

"كنتَ قد أشرتَ إلى أنك من مُحبي الموسيقى. لدي الآلاف من الأسطوانات القديمة، المئات منها... كان أبي يعمل في هذا المجال ، تلك كانت مهنته إلى أن تقاعد. كان يقوم بتسجيل الاسطوانات في شركة تسجيلات.

هل تذكر هيلين مورغان؟ هي تفتنني بالفعل "

همس أيفور لنفسه "يا إلهي ! لم تكن روبي كيلر، وجين هارلو سوى من ذوات الأصوات التي من شأنها أن تشفي وتفتن، أما بالنسبة إلى هيلن مورغان تلك البهقاء الشاحبة التي هي أشبه بشبح يقف بين أضواء المسرح، فبصدق... كنت قد أحببتها بصدق ."

قالت "هل بإمكانك أن تصدق ما حدث لها ؟ ظلت تشرب إلى أن ماتت؟ وكل ذلك لأجل قاطع طريق..."

"هذا لا يهم، كانت رائعة."

"عندما أكون بمفردي أحياناً وأشعر بالملل، أتظاهر بأنني هي، وأتظاهر بأنني أغنّي في نادي ليلي، أتعلم؟ هذا مُسلٍّ."

قال السيد بيلي "نعم، أعرف ذلك." ذلك لأن الفانتازيا المفضلة لديه كانت بأن يتخيّل المغامرات التي قد يمر بها عندما لا يكون بإمكان أحد أن يراه .

"هل بإمكاني أن أطلب منك أن تُؤدي لي خدمة؟"

"بالتأكيد، هذا لو كان بإمكاني ذلك."

استنشقت ماري أوميغان الهواء ثم حبست أنفاسها كما لو كانت تسبح تحت موجة من الحياء، وعندما عادت من جديد إلى عالم الواقع قالت :

"هل بإمكانك أن تستمع إلى مُحاكاتي لها؟ وأن تُعلمني برأيك بصدق؟"

ثم نزعت نظارتها التي كانت حوافها المعدنية قد تركت أثراً عميقاً على وجهها. كانت تبدو بتلك العينين النَديتين بالدموع، ضعيفة ومذهولة بتلك الانطلاقة. بدأت رموشها الكثيفة الطويلة تُرفرف أشبه بطيور أسيرة تم إطلاق سراحها فجأة وقالت:

"هوذا، لنفترض أن كل شيء هنا لطيف وشبيه بالضباب. عليك الآن أن تستخدم مُخيّلتك وأن تتظاهر بأنني جالسة الآن أمام البيانو. يا إلهي، سامحني، سيد بيلي."

"لا بأس، موافق، أنت الآن جالسةٌ أمام البيانو."

قالت "أنا الآن جالسة أمام البيانو" ثم أرخت رأسها إلى الوراء وكأنها تحلم، إلى أن أصبح بوضعية رومانسية، امتصت خدّيها وفتحت شفتيها. توقَّفَت قليلاً كما لو أنها كانت بانتظار أن تُرافقها الموسيقى ثم بدأت تُغني :

"لا تتركني أبداً. مادمت هنا الآن! فأنت تنتسب إلى هذا المكان. يبدو لي كل شيء جميلاً عندما تكون بقربي، ويُصبح كل شيء جائراً عندما تُبعد عني ..."

صُدم السيد بيلي، لأن ما سمعه كان كأنه صوت هيلن مورغان تماماً. لم يكن ذلك الصوت برقته، وضعفه، وصفائه وبتهدجه الحنون، وبنغماته التي كانت تتصاعد، يبدو صوتاً مستعاراً، وإنما هو صوت ماري

أوميغان، ولكن بتعبيرٌ طبيعيٌ عن هوية مُنفصلة.

وكانت ماري أوميغان قد تخلت بالتدريج عن تلك الوضعية المسرحية وجلست مستقيمة واستمرت بالغناء وهي مُغمضة العينين تماماً:

"أنا شديدة الاعتماد عليك، فأنا ألجأ دوماً إليك عندما أحتاج للسلوى والمواساة، لا تتركني أبداً! لأنك إن فعلت ذلك، فلن يبقى لدي من ألجأ إليه."

لم يكن السيد بيلي ولا ماري أوميغان قد التفتا إلا بعد فوات الأوان، إلى الموكب الذي كان يحمل نعشاً، الذي انتهك تلك العزلة السريّة التي كانت بينهما في تلك اللحظة: عربة سوداء يقبع بداخلها بعض الزنوج الذين كانوا يُحدقون بهذين الزوجين من البيض، كما لو أنهم قد عثروا على سارقين خَطرين وثَملين، ما عدا فتاة صغيرة كانت بين المُشيّعين، لم تكن تلك الفتاة ندية العينين (لم تكن تبكي) وإنما كانت تضحك ضحكة صاخبة لم يكن بإمكانها أن تكبحها على ما يبدو بحيث ظلّت تلك الضحكة تضجّ لمدة طويلة حتى بعد اختفاء الموكب في زاوية تقع على مسافة بعيدة.

قال السيد بيلي "ماذا لو كانت تلك الطفلة ابنتي،"

قالت ماري " أشعر بالكثير من الخجل."

"اسمعي، لا عليك؟ كان ذلك ممتعاً، وأنا أعني ما أقوله بالفعل، بإمكانك أن تغني."

قالت "شكراً" ثم قامت بتثبيت نظارتها على عينيها من جديد، كما لو أنها بذلك تُسدل عليهما ستارة لإخفاء دموعها التي كانت على وشك الانهمار.

"صدقيني لقد تأثرت بغنائك، وأنا أرغب الآن...أرغب بسماعك مرة أخرى."

كانت ماري أوميغان قد أصبحت حينذاك أشبه بطفل قد ناوله أحدهم بالوناً، بالوناً فريداً من نوعه، وكان ذلك البالون قد بدأ ينتفخ إلى أن اندفع بها إلى الأعلى وهو يتراقص بها بينما كانت تُلامس الأرض بين حين وآخر بأصابع قدميها فقط.

تنبّهت ماري من تأملاتها بعد ذلك وأخذت تشعر من جديد وكأنها ترتفع فوق الأرض، وبأنها أصبحت خفيفة في الهواء، وكانت عندما نزلت إلى الأرض قد قالت:

"ربما. ولكن ليس هنا... ربما ستدَعُني أطهو لك عشاءك في وقتٍ ما. سوف أجعل مذاقه بالنكهة الروسية، وسوف يكون بإمكاننا الاستماع إلى بعض الاسطوانات."

عاد إلى السيد بيلي من جديد، شبح ذلك الشك الذي كان قد بدأ سابقاً يدبّ في ذهنه، ولكن بثقل أكبر، وشعر بأنها مخلوقة ممتلئة ضخمة ليس بإمكانه أن يتفاداها وقال :

"شكراً آنسة أوميغان، هذا أمر أتطلّع إليه."

ثم نهض وعدّل وضع قبعته ومعطفه وقال:

"قد تصابين بالأذى بجلوسك على هذا الحجر البارد لمدة طويلة."

سألته من جديد "متى؟"

قال متظاهراً بالاستغراب "لماذا؟ لا ينبغي لك أن تجلسي في أي وقت على قطعة حجر باردة."

أعادت السؤال "متى ستأتي لتناول العشاء معي؟"

كان السيد بيلي يعتبر نفسه من الأشخاص البارعين في اختراع أسباب الاعتذارات. لذا قال لها بلطف:

"في أي وقت، ولكن ليس في وقت قريب فأنا رجل مسؤول عن تقدير الضرائب، وأنت تعلمين ما يمرّ به أمثالنا خلال شهر آذار (مارس)."

ثم قال وهو ينظر من جديد إلى ساعته:

" علي أن أعود الآن إلى مسؤولياتي."

ولكنه لم يفعل ذلك ، فهل كان بإمكانه أن يمشي الهوينا ويتركها جالسة على قبر سارة؟... كما أن عليه بالإضافة إلى ذلك أن يتعامل معها بلباقة، لأنه أكل معها الفول السوداني، هذا إن لم يكن ذلك لسبب آخر... رغم أن ذلك كان في الحقيقة لسبب آخر... ربما لأنه يُدين لها بتذكيره بسارة، وبنباتات الأوركيد التي كانت تذبل في الثلاجة.، كما أنها على كافة الأحوال، كانت لطيفة، ودودة، وغريبة الأطوار بشكل لم يسبق أن صادفه. ثم خطر بباله أن يتهرّب منها بالاستفادة من الإشارة إلى رداءة الطقس. لكن الطقس لم يكن ليقدم له شيئاً، لأن الغيوم كانت قليلة، كما أن الشمس كانت لاتزال ساطعة . قال وهو يفرك يديه "بدأ الطقس يصبح بارداً، قد يسقط المطر."

لكنها قالت من جديد وهي تركّز بتصميم على كل كلمة تلفظها:

" لا أريدك أن تعتقد بأنني أوجّه إلى أي شخص الدعوة للعشاء في بيتي لكن نواياي هي... "

وكان صوتها قد تهدّج وزاغت عيناها كما لو أن الأسلوب السابق كان عبارة عن قناع لم يعد بإمكانها الاستمرار بالاحتفاظ به في الوقت الحاضر وقالت:

" لذا سوف أسألك سؤالا شخصياً جداً، هل خطر ببالك الزواج مرة ثانية؟"

همهم السيد بيلي بصوت أشبه بمذياع كان يستعد قبل بداية البث، وكان عندما تمكن من التحدث، قد صرّح ببرود: "في سنّي هذه لست أرغب حتى باقتناء كلب. كل ما أرغب به الآن هو أن أشاهد التلفاز، وأنا أحتسي بعض البيرة، وأن ألعب البوكر مرة واحدة في الأسبوع.، ومن التي سترغب بي بحق الجحيم ؟"

وكانت قد خطرت بباله في تلك اللحظة، السيدة أ.ج.كراكوفر حماة ربيكا ابنته ، والدكتورة بولين كراكوفر، طبيبة الأسنان المتقاعدة التي كانت من المشاركات الجريئات في بعض المخططات العائلية. وماذا أيضاً عن

براوني بولوك التي كانت تُلاحقه، وهي أقرب صديقات سارة؟ كان طوال فترة حياته مع سارة، يستفيد من إعجابها به إلى أن طلب منها، في آخر الأمر، ألا تتصل به مرة أخرى بالهاتف.، وكان أن صرخت به وقالت:

"أنت أيها النذل المُكتنز ، كل ما قالته عنك سارة صحيح." ثم كان هناك أيضاً الآنسة جاكسون. ومع ذلك وعلى الرغم من شكوك سارة، رغم كل ما كان لديها من اعتقاد راسخ بأنه لا يوجد ما هو مستحيل، فلم يكن قد حدث شيء بينه وبين إستر اللطيفة...

ثم قال " لقد دام زواجي لمدة سبعة وعشرين عاماً، وهذا يكفي بالنسبة لأية مرحلة من حياة المرء."

قد يخطر ببال المرء بأن ماري أوميغان كانت في غاية الاستغراق وهي تُصغي إلى السيد بيلي، وكأنها في عالم آخر، لكنها في الحقيقة كانت بذات الوقت تجول بعينيها أيضاً في المكان، وتسترق النظر، كما لو أنها تبحث في حفل عن وجه آخر قد يكون واعداً بالنسبة إليها أكثر من السيد أيفور. كان اللون قد تلاشى من وجهها، وبذلك زالت تلك الفتنة التي كانت فيه. ثم أخذها السعال.

بدأ السيد بيلي أيضاً بالسعال، ثم رفع قبعته وقال :

" سعدت جداً بلقائك آنسة أوميغان."

قالت وهي تقف " وأنا أيضاً، هل تُمانع في أن أمشي معك إلى البوابة؟"

ورغم أن السيد أيفور كان يرغب بالتنزه بمفرده، وبالاستمتاع بذلك الطقس الربيعي المشرق، وبأن يكون بمفرده مع خواطره الكثيرة عن إستر، ومع شعوره بمذاق الأمل وبالاستمتاع بالعيش الأبدي، لكنه قال لها وهو يحاول مواكبة مشيتها الأبطأ التي يتسبب بها عرَجها البسيط وساقها المُتصلبة " بكل سرور."

لكنها قالت من جديد وهي تحاول إقناعه:

"لكنها تبدو فكرة صائبة. كانت العجوز آني أوستن المثال الحيّ على ذلك. حسناً، لم يكن لدى أحد فكرة أكثر صواباً. ما أقصده هو أن عليّ أن أتزوج... فمنذ توفي والدي تقول لي شقيقتي ويقول لي الجميع:

"مسكينة ماري، ما الذي سيحلّ بها؟ لن يكون بإمكان فتاة مثلها لا تجيد الضرب على الآلة الكاتبة أو أسلوب الاختزال ، حتى أن تكون نادلة بتلك الساق. ما الذي سيحدث لفتاة ـ أو بالأحرى لامرأة ناضجة ـ لا تعرف أي شيء، فتاة لم تقم طوال حياتها سوى بالطبخ وبالعناية بوالدها؟ وكل ما أسمعه هو : ماري، يجب أن تتزوجي."

قال السيد بيلي "فلم ترفضين ذلك إذن ، إنسانة جيدة مثلك يجب أن تتزوج، سوف تحققين الكثير من السعادة للشخص الذي سيتزوجك."

"سوف أفعل ذلك بالطبع، لكن من هو؟" ثم أشارت بيديها إلى الأمام نحو مانهاتن، إلى الريف وإلى المدى البعيد، وقالت :

"لست متوانية بطبيعتي. ولكن بصدق وبأمانة ، كيف بإمكان أي شخص أن يعثر على زوج ، ما لم تكن فتاة تتمتع بقدر كبير جداً من الجمال، أو أنها راقصة فاتنة، وليست سوى فتاة عادية مثلي."

تمتم السيد بيلي بصعوبة "لا، لا، على الإطلاق، لستِ عادية، فلديك موهبتك، كما أن بإمكانك أن تستفيدي من صوتك الجميل."

توقفت وهي تفتح حقيبة يدها وقالت "لا تهزأ بي، كل حياتي الآن على الحافة." ثم أكدت من جديد على ما قالته "أنا فتاة عادية، وكما قالت آني أوستن " المكان الوحيد الذي يمكن أن أجد فيه زوجاً مناسباً ومحترماً هو في لائحة النعوات فقط ."

كان السيد بيلي بالنسبة لرجل يعتقد بأنه من الأشخاص الأذكياء، يمرّ حينذاك بتجربة مُقلقة أشبه بشخص ضلّ طريقه. إلى أن شاهد بارتياح بوابات المقبرة التي أصبحت على بعد مائة من الياردات فقط، وقال:

"هل فعلت ذلك؟ هل قالت العجوز آني أوستن ذلك؟"

"نعم. هي سيدة عمليّة جداً، كانت عليها أن تُعيل ستة أشخاص بمبلغ لا يتجاوز ٥٨,٧٥ دولاراً في الأسبوع، الطعام واللباس وكل شيء. كانت الطريقة التي شرحت بها الأمر منطقية تماماً، ذلك لأن قائمة النعوات مليئة بأسماء الرجال الأرامل أو بأسماء الرجال غير المتزوجين، وكل ما عليك هو أن تذهب إلى التشييع، وأن تُقدّم نفسك وأن تقوم بواجب العزاء، أو أن تذهب إلى المقبرة في أحد الأيام الجميلة، أو أن تذهب إلى " غابة ودلاون" حيث يتجوّل الأرامل دوماً في ذلك المكان ، وهم يفكرون بمقدار افتقادهم للحياة العائلية، وربما وهم يتمنون أيضاً الزواج من جديد."

عندما أدرك السيد بيلي بأنها كانت تتحدث بجدّية، أصيب بالفزع وشحب وجهه، لكنه كان بذات الوقت يجد بعض التسلية في حديثها. دسّ يديه داخل جيوبه وبدأ يضحك، وقد أشاح برأسه إلى الوراء. شاركته ماري في ذلك وأطلقت ضحكة جعلت اللون يعود إلى وجهها ثم تأبطت ذراعه وقالت :

"حتى أنا كان بإمكاني أن أجد في ذلك بعض الدعابة،" لكنها لم تكن سوى رؤيا بعيدة. ثم قالت فجأة باتزان: "لكنها الطريقة التي كانت آني أوستن قد تعرّفت بها على زوجيها، السيد كرويكشانك والسيد أوستن. لذا لابد من أن تكون فكرة عملية، ألا تعتقد ذلك؟"

قال "نعم، أعتقد ذلك."

ثم قالت باستهجان "لكن الأمر لم ينجح بالنسبة إلينا، رغم أن لدينا الكثير من الأمور المشتركة."

قال السيد بيلي وهو يسرع بخطواته :

"قد يحدث لك ذلك ذات يوم مع شخص أكثر همّة مني."

قالت "لست أدري، كنت قد قابلت الكثير من الشخصيات، لكن الأمور كانت تنتهي دوماً بهذا الشكل. مثلنا..."

ثم تركته دون أن تُضيف أية كلمة. ذلك لأن زائراً آخراً كان قد دخل من بوابة المقبرة في ذلك الوقت، وبذلك بدأت ماري أوميغان تُركّز اهتمامها على ذلك الرجل. كان ذلك الرجل قصير القامة وكان يمشي بخفة وهو يُصفّر. كان ما قد لفت انتباه السيد بيلي أيضاً هو ذلك الشريط الأسود الذي كان على كمّ معطفه التويد الأخضر اللون. لذا علّق على الأمر بالقول :

"أتمنى لك حظاً سعيداً، آنسة أوميغان، وشكراً على الفول السوداني..."

من يهتم؟
Who cares?
للكاتبة سانتا راما راو

كان الشيء الوحيد المشترك بيني وبين أنان هو أن دراستنا الجامعية كانت في أمريكا. لكننا لم نكن مع ذلك نجتمع كثيراً خلال السنوات الأربع التي أمضيناها في الخارج، ذلك لأن أنان كان يدرس في بوسطن إدارة الأعمال أو ما شابه ذلك، بينما كنت قد التحقت بدورة اعتيادية في الدراسات الحرّة .، ولم يكن لدينا في المناسبات النادرة التي كنا نلتقي بها، الكثير مما نتحدث عنه ـ لكن القاسم المُشترك الذي ربط بيننا عندما عندنا إلى بومباي كان شعورنا بالتشويش. أما بالنسبة لمفاهيم جيل آبائنا، فكان ما شعرنا من اضطراب وتشويش، يُفسّر دوماً بعبارة واحدة هي "عائد من إنكلترا". كانت تلك هي العبارة المناسبة، حتى لو كنت قد أتممت دراستك في ميونيخ أو في إدنبره، وهي الجامعات التي كانت رائجة في تلك الأيام بالنسبة للطلاب الهنود.، كما كان ذلك التعبير أيضاً، بمثابة المؤهل العلمي العالي بالنسبة لأي طلب عمل، وحتى في طلبات الزواج، وبمثابة التفسير المنطقي لجميع المشكلات التي تنجم عادة عن إعادة تنظيم الإدارات. حيث كان بإمكانك ، حتى بعد نهاية الحرب ، أن تجد ضمن قوائم الإعلانات الشخصية في نوع معين من الصحف اليومية، إعلاناً بعنوان:

"مطلوب: لشاب عائد من انكلترا، فتاة شابة ذات ثقافة عالية، شقراء، الطائفة الاجتماعية الهندوسية أساسية، أرسلوا الصورة الفوتوغرافية."

كان الهدف من مثل تلك الإعلانات هو أن تطّلع عائلة الفتاة التي قد تبدي رغبتها في الارتباط، من مجرد قراءة عبارة "عائد من إنكلترا" على كل ما تريد معرفته عن ذلك الشاب: بأن عائلته ثريّة بالقدر الذي جعلها قادرة على إرساله للدراسة في الخارج، وبأن لدى ذلك الشاب فرصة كبيرة للحصول على عمل جيّد. وبأن على زوجته أن تتوقع العيش مع عائلة غير مُحافظة، وبأنه قد يُطلب منها استقبال الغرباء وتقديم اللحوم مع الوجبات، كما عليها أن تتوقع أن يكون في منزلها بعض المشروبات الروحية... وهي الأمور التي تجعل تلك العائلة تجد بأنه الزواج المناسب.

كان إدراج التعبير الهندي "عائد من إنكلترا" في طلبات التوظيف من شأنه إثارة سخرية البريطانيين. كان لتلك العبارة معناها الجديّ والدقيق بالنسبة إلى الهنود.، لكنها مع التغيير الذي طرأ على المفاهيم عبر الأجيال، كانت قد أصبحت مَدعاة للسخرية أكثر من ذي قبل، كما أصبحت تعتبر من عصر قديم...

وبذلك كان علينا أنا وأنان ،عندما عدنا إلى بومباي ،أن نجد لأنفسنا وصفاً آخراً لوضعنا المُربك ذاك... كنا قد تحدثنا معاً عن أن أفكارنا مُتقدّمة كثيراً بالنسبة إلى بومباي، وعن استحالة ازدهار المشاريع في الهند

من خلال القبضة القاتلة للأسلوب العائلي البالي. كما كنا نُبدي أحياناً بعض التعليقات السيكولوجية غير المقبولة حول آثار تقبّل ذلك كأسلوب للحياة في بومباي.، لكن ما كنا نقصده بالطبع هو أننا نعاني من كآبة " العائد من إنكلترا ".

لكن الأمر كان بالنسبة إلي أكثر اعتدالاً مما كان عليه بالنسبة إلى أنان، ذلك لأنني كنت أنتمي إلى عائلة ليبرالية مُتحرّرة لم تكن من الهندوس الأرثودوكس المُحافظين . هذا هو الأمر، وذلك لأن عائلتي كانت قد أمضت خمسة عشر عاماً في التجوال حول العالم في مهام السلك الدبلوماسي، وبذلك كانت على استعداد لأن تتقبل برباطة جأش، ولو كان ذلك مع بعض التردّد، فكرة حصولي على عمل في إحدى المجلات في بومباي. كما أن الأمور كانت أسهل أيضاً إلى حدّ مابالنسبة إلي لأنني كنت قد عانيت الأسوأ خلال فترة إعادة التأقلم التي سبقت ذلك والتي امتدت لست سنوات ، وكان هذا بعد عودتي من فترة عشر سنوات أخرى كنت قد أمضيتها في المدارس الداخلية الانكليزية.

لكن معاناة أنان من موضوع "عائد من إنكلترا" كانت أكثر حدّة.، ذلك لأنه كان ينتمي إلى عائلة أرثوذوكسية .لم تكن والدته تتحدث الإنكليزية على الإطلاق، كما أنها كانت تنبذ العادات الأجنبية، هذا بالإضافة إلى أنه كان قد تلقّى تعليمه بالكامل في بومباي قبل ذهابه إلى أمريكا لمتابعة تحصيله العالي. وبما أن والده كان من المقاولين الناجحين في بومباي، لذا كان قد أصرّ بعد ذلك على أن يعمل ولده الوحيد معه في مهنة العائلة.

كانت عائلتينا تُقيمان على بعد بضع مبانٍ فقط، ولكن بأسلوب حياة مختلف كلياً.، لكن مثل تلك الفوارق كانت بالطبع قد بدأت تزول بالنسبة إلى جيلنا، و كنا أنا وأنان ننتمي إلى ذات الفئة، على الرغم من أنه لم يكن لدى أحدنا أي ميل عاطفي نحو الآخر على وجه التحديد. وإنما كان كل ما قرّب بيننا، لحظة ضجر، وذلك الجزء الذي كان يُذكّرنا بأننا كنا في أمريكا.

كان ذلك، على ما أذكر، خلال موسم هبوب الرياح الموسمية، حيث كانت الأمطار تنهمر بشدّة طوال الصباح، لكن الغيوم كانت قد انقشعت حوالي الظهيرة، لذا قرّرت أن أمضي فترة استراحة الغداء في التسوّق.

لكن الأمطار كانت قد بدأت تتساقط من جديد بينما كنت في طريقي إلى مركز مدينة بومباي . كانت تلك الأمطار في البداية خفيفة، لكنها تحوّلت بعد ذلك إلى ذلك الانهمار الغزير المعروف في الأمطار الموسمية. ولجت بسرعة إلى مدخل أول مبنى وجدته أمامي، وإذا بي أصطدم بأنان. وهو شاب نحيل، قصير القامة إلى حدّ ما، لكنه أنيق المظهر ، وكان المبنى الذي دخلت إليه هو المبنى الذي تقع فيه مكاتب شركة والده. كان أنان واقفاً هناك محدّقاً بكآبة بالشارع الغارق في المياه، وبالمارّة الذين كانوا يتراكضون بسرعة. تبادلنا التحية بتحفظ، فلم يكن أحدنا في مزاج يؤهله لتبادل الأخبار السارة، استمرينا بالنظر إلى الأمطار، وإلى ما كانت تتسبب به من اضطراب في حركة السير، وإلى السيارات المُبلّلة اللامعة التي كانت تسير ببطء في الطريق عبر المياه الموحلة.

إلى قال لي أنان أخيراً دون أي اهتمام "ما الذي تفعلينه هذه الأيام؟"

أجبته ببرود أيضاً "كنت ذاهبة للتسوّق، ولكن لست أدري كيف سأفعل ذلك الآن."

تمتم "لعن الله الأمطار" وكنت أسمع صوته بصعوبة بسبب جريان المياه في المصارف.

همهمت ثم أضفت من باب المجاملة " وما الذي تفعله أنت؟"

أجابني بكثير من الكآبة "يعلم الله، المفروض أنني أعمل." ثم قال بعد فترة من الصمت "بما أنكِ لن تتمكني الآن من التسوّق، كما أنني أيضاً لن أتمكن من جلب سيارتي من المرآب، فربما كان بإمكاننا أن نتوجّه بسرعة إلى أي مكان في زاوية الشارع لكي نتناول الغداء معاً."

أجبته باللغة الانكليزية "أوكيه (اتفقنا)"

ولم أكن أدري كيف سأرفض.

نظر إلي أنان للمرّة الأولى وهو يبتسم وقال:

"أوكيه، لم أسمع هذه الكلمة من أحد مؤخراً."

ثم انطلقنا في الشارع بسرعة وطيش ونحن نتلوث برشاش مياه البُرك الموحلة ونتجنب مظلاّت المارّة إلى أن وصلنا مُبلّلين ونحن نضحك إلى أقرب مطعم. لم يكن ذلك المطعم سوى حانة لتقديم الوجبات الخفيفة، وعبارة عن غرفة صغيرة، في أحد جوانبها منضدة (كونتوار) وبعض الكراسي بدون ظهر، كما كانت هناك بعض الطاولات في الجانب الآخر من الغرفة. وقفنا لاهثين بين الطاولات، وأخذنا نجفّف وجهينا المُبلّلين بالمناديل، ونُعيد ترتيب شعرَينا، ونحن لا نزال نضحك بتلك الغبطة البلهاء التي تُولّدها مثل تلك اللحظات. ثم قررنا الجلوس أمام إحدى الطاولات، ذلك لأن أنان وجد بأن الكعكات الصغيرة المغطاة بالثلج القرنفلي والمعروضة بعناية على المنضدة، بدت قاسية ولم يكن الجلوس أمامها أثناء وجبة الغداء مما قد يُحفّز الشهية.

كان لدخولنا العاصف أثره في أن يستدير باقي الزبائن للنظر إلينا، ولكن عندما جلسنا أمام طاولتنا، عاد الشبان الجالسون أمام كونتوار ، الذين كانوا على الأغلب من الموظفين العاملين في المكاتب القريبة من المطعم، وهذا ما كان يوحي به مظهرهم الذي يدلّ على التواضع، بتلك البناطيل القطنية والقمصان البيضاء (وهو المظهر الاعتيادي للموظفين الهنود)، إلى تركيز اهتمامهم على أقداح القهوة الممزوجة بالحليب وعلى فطائر الكاري. كما استأنف رجال السيخ الذين كانوا أمام الطاولة المجاورة، ما كانوا يتبادلونه من أحاديث مرحة بأسلوبهم غير المُتحفّظ .

وعندما أحضر إلينا النادل لائحة الطعام، اكتشفنا بأن اسم المطعم كان "مقهى لاكسمي والميدالية الذهبية"، وهذا ما جعل أنان ينفجر ضاحكاً. وبأن يقوم ونحن بانتظار إحضار شطائرنا وقهوتنا، باختراع العديد من الأسماء المُركبة الأخرى لذلك المطعم ـ مثل فينوس ومقهى سان يات سين(رئيس صيني سابق)،

الكاديلاك،دار مثلجات الشيطان الأحمر، وغير ذلك من الأسماء التي كانت تثير الضحك ـ لم تكن تلك الأسماء في الحقيقة تنم عن الكثير من الفِطنة، لكن المزاج الجيّد الذي كنا فيه حينذاك كان قد جعلنا نجد كل شيء مُسلّياً.

كان أحدنا على ما أذكر، قد قال للآخر في نقطة ما من الحديث "حسناً، كيف تشعر بالفعل تجاه بومباي؟" وكان الآخر قد أجابه "علينا أن نواجه الواقع، بومباي عبارة عن جحيم مطلق..."

وكنا بذلك قد انطلقنا في أول أحاديثنا التي لم تكن تنتهي حول نفسينا، وحول المحيطين بنا، وحول عائلتينا، وحول توقعاتنا المُبهمة بالنسبة للمستقبل، و كنا قد أمضينا معاً وقتاً ممتعاً.

كان أنان بعد بضعة أيام قد اتصل بي مُجدداً في المكتب، لكي يدعوني إلى تناول طعام الغداء برفقته مرة أخرى وقال: "سوف أعوّضك عن تلك الأشياء المزعجة في مطعم "لاكسمي والميدالية الذهبية" سوف نذهب اليوم إلى مطعم فندق تاج محل، يوجد فيه على الأقل تكييف مركزي."

كان قد حجز طاولة إلى جانب النوافذ في قاعة طعام فندق تاج محل، وكان بإمكاننا، من المكان الذي كنا نجلس فيه، أن نُشاهد المياه الرمادية الكالحة في الميناء، وأن نرقب تكتّل غيوم الأمطار الموسمية فوق الجزر المبعثرة هنا وهناك . وكنا في ذلك الطقس الممطر المُشبع بالبخار في قد شربنا زجاجة من النبيذ، وأكلنا الوجبة المحليّة "كبدة الإوز". ونحن نشعر بالأسف على نفسينا.

ثم قال لي أنان "لست أدري لماذا تكبّد والدي ذلك العناء بإرسالي إلى أمريكا، بما أنه لا يهتم بأي شيء كنت قد تعلّمته هناك."

وقلت له " أعلم ذلك، أعلم ذلك." ذلك لأنني كنت أتوق أنا أيضاً إلى التحدّث عن همومي الشخصية.

ثم قال "هل يمكنك أن تُصدّقي بأن إدارة جميع أعمال والدي تتم بذات الأسلوب الذي كانت عليه منذ خمسين عاماً مضت؟"

قلت "بإمكاني بالطبع أن أصدق ذلك. أقصد، انظر إلى هذه الصحيفة. فعلى سبيل المثال..."

لكنه كان قد استأنف حديثه قائلاً:

"كل شيء يتم بموجب إجراءات شفوية مُبهمة. لاشيء يتم كما ينبغي أو بموجب حسابات مُسبقة، هذا عدا عن ذلك القدر الهائل من الاعتماد على التسلّق وعلى النفوذ، وعلى معرفة الأشخاص الذين يعملون في الحكومة، والذين بإمكانهم تدبير التصاريح و رخص الاستيراد وأي شيء آخر."

قلت "حسناً، أما بالنسبة إلي فسوف تحدث معجزة لو أصبح بإمكاننا توزيع نسخة واحدة من هذه المجلة في الخارج، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم وجود أية ضاربة آلة كاتبة تتحدث الانكليزية، وبأن على ضاربات الآلة الكاتبة إعداد الفورمات الطباعية بلغة لا تفهمنها وبمجرد المحاكاة وبطباعة يدوية."

قال أنان "ولكن ليس عليك على الأقل أن تتعاملي أيضاً مع العائلة، ولامع ذلك العدد الكبير من العقول

المُتحجّرة، من الجدود ومن الأعمام الطاعنين في السن ومن أولاد عم الجد المحدودي الذكاء، الذين سوف يكون عليكِ أن تستخدميهم."

"أليس بإمكانك أن تقترح إحالتهم على التقاعد؟"

"لا تعتقدي بأنني لم أفعل ذلك، لكن والدي اكتفى بالابتسام وبالقول ـ سوف أسوّي هذا الأمر عما قريب ـ ولكن ما الفائدة من ذلك؟"

وهكذا كانت جميع أحاديثنا تقريباً تنتهي دوماً بأن يقول أحدنا للآخر، بنوع من السأم المُبالغ فيه:

"حسناً، هكذا هي الأمور، ولنعد الآن إلى مناجم الملح (تعبير مجازي يعني لنعد إلى الموضوع الأساسي)." ولم أكن على الإطلاق أضيف إلى ذلك، ما قد يشير إلى أنني كنت بالفعل أحب عملي.

ولم نكن قد أدركنا ذلك اليوم، إلى أن كنا على وشك مغادرة فندق التاج، كم كان عدد من نعرفهم من الأشخاص الذين كانوا يتناولون غداءهم أيضاً في قاعة الطعام الكبيرة في الفندق. حيث كنا، ونحن في طريقنا إلى الخارج، قد أومأنا برأسينا وابتسمنا إلى العديد منهم، كما كنا قد توقفنا أمام العديد من الطاولات لتبادل التحية مع البعض الآخر منهم. ولكن كان كل منا قد أدرك ، وبإحساس متزايد من التوتر، بمقدار ما كانوا يُخفونه بعناية من فضول وراء تلك الرسميات اللطيفة في أسلوب حديثهم إلينا .

لكن عنان كان بعد أن نزلنا السلالم العريضة المُستوية للفندق بخطى متئدة وبصمت إلى أن وصلنا إلى الطريق، قد انفجر أغيظاً وقال:

"اللعنة على أولائك القطط الفضوليين!"

قلت له "ربما كان ذلك لأننا شربنا النبيذ، فحتى الأشخاص الذين كانوا يعيشون في الخارج لا يشربون النبيذ أثناء تناولهم الغداء."

وقال "وما الذي يعنيهم بذلك؟"

أجبته "حسناً، لو صرفنا النظر عن التصرفات الأجنبية، فأنت علاوة على ذلك، تُعتبر بالنسبة إليهم بما نسميه "بالصيد" لذا فمن الطبيعي أن يستغربوا تصرفك."

قطب أنان حاجبيه ونحن نجتاز الطريق المؤدي إلى المكان الذي كان قد أوقف فيه سيارته بمحاذاة السور البحري. فتح لي باب السيارة وصعد أمام المِقود. لكنه لم يقم بتشغيل محرك السيارة، وإنما جلس لبرهة في صمت يداه على المِقود، وأشاح برأسه بعيداً عني وأخذ ينظر إلى ضوء ما بعد الظهيرة، الذي كان ينذر بالتحوّل خلال دقيقة إلى ظلام بسبب الأمطار. ثم لوى أصابعه فجأة وقال:

"حسناً، ليلعنهم الشيطان، دعيهم يُثرثرون، هذا إن لم يكن لديهم ما يقومون به."

قلت "نعم، فمن قد يهتم بذلك على كافة الأحوال؟" وكنت في ذلك الوقت آمل أن لا تبدو تلك الكلمات بالمعنى الذي كنت أفكر به عندما كنت تفوّهت بها.

وكنا بعد ذلك قد تناولنا غدائنا عدة مرات في فندق التاج محل، كما كنا في كل مرّة نصبح أكثر جرأةً وأكثر إدراكاً لمعنى تلك النظرات المُتفحّصة وكنا نعلم بأننا كنا غير المرتبطين الوحيدين اللذين يتناولان الغداء معاً، بينما كان الآخرون إما من رجال الأعمال أو من المتزوجين الذين كانوا يؤدون واجبهم العائلي بالترفيه عن زوجاتهم، أو أنهم كانوا مجموعات من السيدات أو من الأجانب.

صحيح أن بومباي مدينة كبيرة، لكنها بالنسبة للحياة اليومية أشبه بخليط مُتجانس من عدة قرى. فعلى سبيل المثال، جميع من هم من جماعتنا يعرفون الجميع، حتى لو كان ذلك بالشكل فقط. وبما أننا كنا نتناول الغداء معاً عدة مرات في الأسبوع، فمن المؤكد أن يكون ذلك قد وصل إلى مسامع عائلتينا.

لم يُكن والدّي قد أشارا إلى ذلك الأمر على الإطلاق، على الرغم مما لاحظته من وجود نوع من التحفّظ كلما ورد اسم أنان في محادثتنا. وكان من الجليّ أيضاً بأن عنان ، حتى لو كانت والدته قد لفتت نظره إلى أن الأمر قد أصبح مداراً للحديث، لم يكن قد اعتبر ذلك مما يستحق إعادة ذكره لي. و لابد وأن أقول بأن والدة أنان كانت الأكثر تأثراً بالموضوع من بين جميع هؤلاء، ذلك لأنها كانت وكسيدة أرثوذكسية محافظة و ترغب في ترتيب زواج جيد ومُحافظ لولدها الوحيد، ولأنها كانت تشعر بالحيرة أمام ما كان يبدو ـ وهذا بالنسبة إلى مفاهيمها القديمة ـ نوعاً من السفسطائية.

كان أنان يصطحبني أحياناً ،لتناول الشاي في منزله بعد نهاية دوامنا في مكاتبنا، وأعتقد بأنه كان يفعل ذلك مراعاةً لمشاعر والدته، ولكي يجعلها تشعر بالاطمئنان لتلك الرِفقة التي كان يتمسك بها، ولكي يُثبت لها أيضاً بأنني لست الفتاة المُستهترة السَهلة حتى لو كنت أعمل في مجلة... ولست أدري فيما إذا كنت قد استطعت أن أجعلها تطمئن إلى ذلك حدّ ما ، وأنا بذلك الشعر القصير، وبأحمر الشفاه الذي كنت أضعه على شفتي، وبعدم وجود شارة " التيكا " في منتصف جبيني. لكنها كانت مع ذلك تستقبلني دوماً بتهذيب وهي تضمّ يديها معاً وفق تقاليد التحية لدى هنود ناماسكار، لكنها بذات الوقت كانت تنظر إليّ بحذر، عندما تعتقد بأنني لا ألحظ ذلك. لم يكن بإمكاننا حتى أن نتحدث معاً، لأننا ننتمي إلى مجتمعات مختلفة، ولأنها كانت تتكلم اللغة الكوجاراتية فقط، بينما كنت أتكلم اللغة الهندية. كانت والدة أنان تبقى دوماً في غرفة الجلوس إلى أن يقوم أحد الخدم بتقديم الشاي إلينا، ثم تنهض من كرسيها بعد ذلك، وتومئ برأسها إلي، وتتركنا وحدنا. لكنّا كنا نشعر دوماً بوجودها وراء ستارة الغرفة المجاورة، كلما سمعنا الصوت الذي يصدر عن كأس الشاي عندما كانت تضعه على الطبق، لذا كان حديثنا معاً يتم بتكلّف حتى ولم تكن تفهمه.

وربما كان ذلك الضغط الصامت، أو ذلك الشعور بعدم الراحة هو ما جعلنا أنا وأنان نترك الأماكن المُعتادة التي كانت جماعتنا تترد إليها، ونبحث عن أماكن أكثر احتجاباً لمواعيد غدائنا معاً. ورغم أننا كنا من الأشخاص المُتحرّرين، إلا أنني، كنت ،على ما أعتقد، قد بدأت أفقد ذلك الاندفاع والعناد بالنسبة لفتاة "عائدة من انكلترا". لكنني لم أكن مع ذلك على استعداد للتوقف عن مقابلة أنان ولا عن تناول طعام الغداء معه. كنت أميل إليه وأنتظر بصبر نافذ اتصالاته الهاتفية بي، لكي أسمع صوته المُحبب وهو

يقول لي أشياء مثل:

"مرحباً، هل هذه هي الفتاة الناجحة؟" كانت تلك إحدى العبارات المُفضّلة التي كان أنان يتحدّاني بها . أو أنه قد يقول:

"لو كنت تنتمين إلى عائلة محترمة بإمكانها أن تدعمك مادياً، فليس من المفروض أن تعملي لكسب المال..."

كما كان يقول لي أحياناً :

"أنا العميل السرّي رقم ٥٠٧، فهل أنت الشخص المسؤول عن حركة المقاومة؟"

وكنت في جميع الأحوال أضحك وأقول "نعم" . ثم كان يقترح عليّ أن نُجرّب بعض الطعام الصيني، أو أن نتناول الدجاج المجفّف بالكاري في أحد المتاجر الإيرانية، أو أن نذهب في الأيام التي لا يسقط فيها المطر إلى شاطئ تشوباتي لكي نتناول بعض أنواع الأطعمة اللذيذة التي يُعدّها الباعة بخليط من مختلف التوابل.

وبموجب اتفاق ضمني بيننا، لم يعد أنان يمر لاصطحابي في سيارته، وإنما كنا نلتقي إما في إحدى زوايا موقف السيارات العامة، أو أن يصل كل منا بمفرده إلى المكان الذي كنا نتواعد للقاء فيه.

كان أنان ذات مرّة، ونحن نتوجّه في السيارة إلى كولابا، وهي النقطة الأكثر بعداً في جنوب الجزيرة، قد انحنى فجأة إلى الأمام نحو السائق، وطلب منه التوقّف في شارع غير مُلفت للنظر. كان قد شاهد بين صفوف منازل الطبقة المتوسطة، لافتة كُتب عليها "محل جو" وكان يرغب بالدخول إلى ذلك المكان. كانت تلك اللافتة تبدو بالتأكيد دخيلة بين تلك المنازل القذرة ذات الطراز الهندي البَحت. كان أحد الجنود الأمريكيين الذين مرّوا بتلك المنطقة أثناء الحرب، قد أطلق تلك التسمية على المطعم انطلاقاً من شعوره بالحنين إلى وطنه.

كنا قد أحسسنا على الفور بأن ذلك المكان بمثابة الاكتشاف بالنسبة إلينا، وكان قد أصبح بذلك وبسرعة ، مطعمنا المُفضّل ولأمر واحد فقط هو أن الطباخ فيه كان يُدعى "جوان"، مما يعني أن بإمكانك أن تطلب فيه لحم العجل. فليس من المسموح في غالبية المطاعم الهندوسية أن يتم تقديم لحم العجل، مما جعل لحم العجل يُصبح أقل ثمناً من باقي اللحوم.

اعتاد المالك الذي كان أنان قد أصّر على تسميته "جو" على الرغم من أنه من الهنود البدينين المرحين، على أن يرانا كل يوم تقريباً. ولكن لم يكن بإمكاننا أن نفهم كيف كان بإمكان ذلك المالك أن يحصل على المال، لأن ذلك المطعم كان على الدوام خالياً من الزبائن، ما عدانا أنا وأنان، ولأن "جو" كان من يخدمنا بنفسه ، مما يعني عدم وجود أي نادل آخر في المطعم. كان أنان قد قال لي ذات مرّة بأن ذلك المطعم لابد وأن يكون واجهة تختفي ورائها نشاطات أخرى تتم في السوق السوداء، وبأن بإمكاننا أن نتوقع أي شيء من شخص يُدير مثل ذلك المكان في بومباي... وكان قد وصل بنا الأمر بعد ذلك إلى أن بدأنا نشعر بأننا في ذلك المطعم في بيتنا، إلى الحدّ الذي جعلنا نشتري له ملاءة طاولة ذات مربعات لكي تمنح للمكان بعض المستوى.، وكان جو ينشر تلك

الملاءة بشكل احتفالي على الطاولة التي تقع في الزاوية، لكي يُثبت لنا بأنه قد تم غسلها بعد الوجبة الأخيرة التي تناولناها. كما كنا قد احتفظنا لديه بزجاجة من الشراب وقمنا بتعليمه كيفية إعداد نوع من الشراب الممزوج بالليمون لكي نحصل على كوكتيل نشربه قبل الغداء. وبما أن "جو" لم يكن لديه الترخيص المطلوب لتقديم المشروبات، لذا كان جو تحسّباً من دخول أي شخص إلى المطعم ، يقدمه إلينا ضمن زجاجة غير شفافة عليها لُصاقة كتبت عليها عبارة "زنجبيل".

كنا نجلس معاً أمام الطاولة التي اعتدنا الجلوس عليها دوماً والتي تقع بين النوافذ ونُلقي نظرة من حين لآخر إلى الحدائق المنتشرة هنا وهناك، وإلى شجيرة الياسمين وإلى السيارات العابرة ونتحدث. يالله !... كم كنا نتحدث، ونتحدث!...

فعلى سبيل المثال كان أحدنا يقول للآخر :

"هل كنت قد قمت ب... عندما كنت في الولايات المتحدة الأمريكية" أو "هل تذكر ..." وما شابه ذلك النوع من الأحاديث.

كما كان حديثنا يدور أحياناً حول الأحداث التي تمرّ بنا في منزلينا أو في مكتبينا. كنا نتحدث كثيراً "عنهم"، وعبارة "عنهم" كانت تشمل أي شخص من الأقارب والأصدقاء الذين كنا نعتبرهم من جيل قديم، والذين نعتبر بأنهم يتدخّلون في شؤون الآخرين، وبأنه لايوجد لديهم أي تفهّم للآخرين... كنا قد تحدثنا معاً حول تلك الأمور طوال أشهر الأمطار الموسمية، وأثناء الأيام الأكثر برودة، وأثناء الأيام المُشرقة في بداية الشتاء.، ويبدو لي الآن، بأن من المستغرب أن نكون قد وجدنا ذلك القدر الكبير مما نقوله حول التفاصيل اليومية في حياتنا.

ولكن لو أننا كنا في ذلك الحين أكبر سناً بقليل أو أكثر يقظة، لكنا قد أدركنا بأن الأمور لن تستمر طويلاً بذلك الوضع. كان لدي إحساس غامض بأن كل يوم يمرّ بنا في بومباي كان يُخفّف قليلاً من نفورنا ويجعلنا نغفل عن الخطوط العريضة للسنوات التي عشناها في أمريكا. إلا أنني لم أكن أتوقّع على الإطلاق كيف سيكون الهجوم المُعاكس من عائلة أنان على تلك غير المرغوب بها "العائدة من إنكلترا"...

كانت والدة أنان امرأة مُستقيمة، غير مُعقّدة، وكانت رؤيتها للأمر بأن هناك وسيلة وحيدة واضحة للشفاء التام من ذلك المرض الذي أصاب وحيدها ...

كان أنان بعد مدة قد أعلن لي في مطعم "جو" للمرة الأولى عن وصول ياناكي .كنت على ما أذكر، قد وصلت شكل مُبكّر ،وكنت قد جلست كالمعتاد أمام طاولتنا عندما جاء أنان. كانت هناك دوماً بعض الشدّة في أسلوب مِشيته، لكن ذلك كان قد بدا أكثر وضوحاً في ذلك اليوم. كان كتفاه مشدودين، وكان شكله يدلّ على الكثير من التوتر. لذا سألته على الفور "ما الأمر؟"

قال بحدّة "ما الأمر؟ لماذا يجب أن يكون هناك أي أمر؟"

قلت "حسناً، لا أدري، لكنك تبدو مُضحكاً."

قال بتروّ وكأنه لم يفهم ما كنت أعنيه:

"لست أشعر بأنني أبدو مُضحكاً!"

كان "جو" قد أحضر له مشروبه وسأله فيما إذا كنا نرغب بشريحة أخرى من لحم العجل، لكن أنان أشار إليه بيده بضجر وقال:

"لاحقاً، سوف نُقرّر لاحقاً." ثم نظر إليّ بتجهّم كان يُنذر بشيء ما، وقال :

"أتعلمين إلى أين وصل بهم الأمر، وبما فعلوه الآن؟... قاموا بدعوة إحدى بنات العم، ابنة عم بعيدة، لزيارتنا."

لم أكن قد اعتبرت ذلك الأمر مصيبة كبرى، فأولاد العم، سواء أتمت دعوتهم أم لا، يأتون للزيارة منذ الأزل، وأي شخص من الأقرباء يحق له المجيء للزيارة، وفي الوقت الذي يناسبه، كما يحق له كذلك البقاء طوال الفترة التي يرغب بها. ولكن نظراً لما كان عليه أنان من الكَدر فقد سألته بحذر:

"أعتقد بأن عليك الآن أن تجد له أيضاً الوظيفة المناسبة في الشركة؟"

قال أنان " هي فتاة."

"فتاة؟ وهل ستعمل تلك الفتاة في مجال الأعمال التجارية؟" كانت تلك الأنباء بالفعل كالزلزال.

قال أنان "لا، بالطبع لا، ألا ترين ما الذي يَرمون إليه؟ إنهم يُخططون لتدبير زواجي منها."

لم يكن لدي ما أقوله سوى كلمة غير مُقنعة هي "لاأعتقد ذلك ...لا ... بالتأكيد."

ثم استمر أنان في حديثه دون أن يلتفت إلى ما يقوله: "أستطيع أن أقول أنهم يعتقدون بأنهم بذلك يتصرفون بذكاء، بأن يضعونا أمام بعضنا، وبذلك لن يكون بتفضيلي غير المفهوم لتلك "الغريبة" و كان قد شدّد على كلمة "غريبة " بنوع من المرارة، وبألا يكون باتخاذي لقراري ما قد يتسبّب بالإحراج. كل ما علينا هو أن نُغرم ببضعنا دون أن نُدرك ذلك، وأنا أفهم تماماً كل تلك المؤامرة."

قلت " لابد أنك تتخيّل كل ذلك."

استأنف حديثه وقال "وصلت ليلة البارحة، حتى دون أن يُعلموني بأنها سوف تأتي."

"ولكن الناس يقومون دوماً بزيارات غير مُتوقّعة لأقاربهم."

"أعلم ذلك، لكنها دُعيت للمجيء، وقد أعلمتني بنفسها بذلك."

مسكين أنان. كنت قد شعرت حينذاك بالأسف لأجله وبالغضب بالنيابة عنه. وبما أنه لم يكن قد حصل بيني وبين أنان على الإطلاق أي تبادل لمشاعر عاطفية، لذا لم تكن تلك الفتاة تُمثّل أي تهديد شخصي بالنسبة إلي... لكنني شعرت حينذاك بأن الأمر موضوع مبدأ، لأننا كنا دوماً نتفق بالرأي بأن أسلوب

الزيجات التي يتدبرها الأهل، وبأن التدخّل غير المحمول من تلك العائلات المستبدّة، هو بمثابة إهانة لحقوق الفرد ولإنسانيته... حاولت التفكير بما يمكنني أن أقوله لعلّه يُشعره بالعزاء، وكان كل ما استطعت أن أقوله على نحو غير فعّال:

"حسناً، كل ما بإمكانك أن تفعله هو أن تنتظر إلى أن ينتهي هذا الأمر."

قال أنان "وعليّ أن أرقبها وهي تقوم بمناوراتها الصغيرة في المنزل؟ لكي تجعل من نفسها شخصاً لا يمكن الاستغناء عنه على الإطلاق!.." ثم أضاف بابتسامة مرّة "ومع مرور السنوات... هل تعتقدين بأننا سوف نتقدم في السن معاً بشكل جميل؟"

قلت وأنا أضحك "لا تكن هكذا كالمخبول، فسوف يكون عليها أن تغادر عاجلاً أم آجلاً."

"ولكن هل سأعيش إلى ذلك الحين؟" ثم بَدت عليه من جديد علامات البهجة.

قلت وأنا أفكّر للمرة الأولى بتلك الفتاة :

"ولكن ليس من العدل بالنسبة لتلك الفتاة المسكينة... أعني... لن يكون من العدل أن يجعلوها تأمل في ذلك."

أجاب أنان بحدّة "لا تبدئي الآن بالتعاطف معها. الطريقة الوحيدة لإنهاء هذا الأمر مرة وللأبد ـ ولكي يكون موقفي واضحاً ـ هو أن أتزوج من شخص ما وعلى الفور... أعتقد بأنك لن تفكري بالزواج مني، هل تفعلين ذلك؟.."

قلت بذعر "لا بحق السماء، ولا حاجة أيضاً لأن تكون بهذا القدر من الحدّة."

"حسناً، ربما لا. سوف نرى."

ثم خطر ببالي أخيراً أن أساله "ما اسمها؟"

"ياناكي."

"اسم جميل."

"اسم يجعلني أشعر بالغثيان."

انتظرت بفارغ الصبر أن يحين الموعد التالي لغدائنا، وكنت عندما تقابلنا بعد عدة أيام في مطعم "جو" قد أسألته بلهفة "حسناً، كيف تسير الأمور الآن ؟ وكيف تتعامل مع ياناكي؟"

لم يجب وإنما بدا لي شارداً وكأنه قد ضجر من الموضوع، ثم نادى:

"جو ! المزيد من الثلج بحق الله."

ثم قر بأصابعه على الطاولة بحركته العصبية المُعتادة، وقال باستسلام "لن يتعلّم أبداً"

ثم قال وبعد فترة توقف "ياناكي، لا بأس، ليست سوى حشرة صغيرة."

"هل تتودّد إليك بشكل مُخيف ؟"

"أستطيع أن أقول عنها ذلك، لكنها تحاول ألا تكون مُتطفّلة على الإطلاق."

"أووه..." وكانت قد أصابتني خيبة أمل خفية.

ثم قال "مجرد وجودها هناك بشكل دائم هو بحدّ ذاته أمر يُغيظ بشكل كبير. سوف تقودني هذه الفتاة إلى الجنون."

ثم قال بصوت كان قد تحوّل فجأة إلى صوت أجش :

"فهي أنثوية إلى حدّ كبير."

"أتعني بأنها تحوم حولك؟"

"ليس إلى هذا الحد، لكنني أستطيع أن أراها تتطلع إلى تناولي لعشاء جيّد، وإلى أن أكون قد أمضيت يوماً جيّداً في المكتب، وإلى بعض الأمور المماثلة..."

"يبدو هذا تعلّقاً إلى حد ما."

"أستطيع أن أقول بأنها الخطة المرسومة، لكن هذا مُحزن، لكنهم بالتأكيد لا يعرفون طباعي جيداً لو كانوا يعتقدون بالفعل بأنها الفتاة التي قد أرغب الزواج بها."

قلت "فما هو إذن طراز الفتاة التي قد ترغب في الزواج منها ؟"

قال أنان بصوت يدلّ على خيبة الأمل "يعلم الله ، وبأية حال هي إنسانة مختلفة تماماً، كنت قد عرفت إحداهن ذات مرة."

سألته باهتمام "هل كانت لك فتاتك في أمريكا؟"

"وهل من المفروض أن تكون هناك دوماً فتاة في أمريكا؟" كنوع من العرف. كان ذلك في زمن آباءنا ، وعليها أن تكون دوماً ابنة صاحبة الفندق في مكان ما ، ولابدّ أن تكون فتاة شقراء، وأن تكون دوماً الفتاة المناسبة."

"وكيف كانت فتاتك؟"

"كانت الفتاة المناسبة مع عدد من الاقتطاعات بالنسبة لابنة صاحبة الفندق. كانت أرفع من ذلك، طالبة جامعية، من عائلة جيدة جداً، هذا لو كان بإمكان المرء أن يحتمل مثل تلك العائلات. كانت بالأحرى خجولة، لكنها كانت مُصممة على اعتبار المحيط العائلي أفضل حماية للفتاة. لست أعتقد بأنهم كانوا سيعترضون لو كنا قد تزوجنا."

"فلِم لم تتزوجها إذن؟"

"لست أدري، أعتقد بأنه لم يكن بإمكاني أن أراها بصورة زوجة ابن هندية تعيش مع عائلة في بومباي ،

ولا بمقدار ما قد يتسبب ذلك بالحرج، ومن جرح للمشاعر ومن تبادل للاتهامات ومن خيبة أمل في كل ما حولها..." ثم أضاف بصوت جدّي كما لو تلك كانت نقطة هامة:

"لست أشعر بأن هناك ما يربطني بها عاطفياً. أعني بأنني كنت أعلم بأنها لم تكن جميلة بشكل خاص أو أي شيء آخر، ولكن كانت لي في ذهنها هوية مختلفة... لم أكن فقط ابن فلان، أو الشخص الذي يمكن الاقتران به، أو الشخص الذي لديه علاقات عمل جيّدة."

"وهل هذا كله ما تعنيه بالنسبة إلى ياناكي؟"

"أعتقد ذلك، وإلا فما الذي يمكن أن يكون؟"

وكان أنان قد قال لي ونحن نغادر مطعم "جو" بعد تناول الغداء:

"أعتقد بأن من الأفضل أن تأتي لتناول الشاي وأن تقابليها. هل ترغبين بذلك؟"

"كنت آمل أن تطلب مني ذلك."

"اتفقنا. ليكن ذلك غداً؟"

وكنت قد التقيت بأنان في اليوم التالي وأنا في غاية الإثارة، وكنت قد سألته ونحن نتوجه معاً في سيارته إلى بيته "هل ستتضايق والدتك لأنك طلبت مني ذلك؟"

وأجاب "لِم ستتضايق؟ جئت سابقاً لتناول الشاي معنا."

"لا تكن أبلهاً إلى هذا الحد."

وكنت قد قلت ذلك وأنا أفكر بتلك الفتاة المسكينة، فلابد أنها ستكون في غاية الإحباط، لو أصّر أنان على معاملتها كابنة عم عادية جاءت في زيارة أو لقضاء عطلة فقط. وسألته "هل تترككما والدتك بلباقة بمفردكما وأنتما تتناولان الشاي؟"

"على الإطلاق، وإنما تتحدث الاثنتان معاً عن تفاصيل تتعلق بالأمور المنزلية، وهو أمر مُضجر جداً في الواقع."

لكن الأمر كان بالنسبة إلي أبعد ما يكون عن الضجر، ولأمر واحد هو أن والدة أنان كانت أكثر تودداً إلي مما كانت عليه في الزيارات السابقة، مما جعلني أتساءل فيما إذا كانت قد تأكدت الآن تماماً وإلى ذلك الحدّ، من نجاح خطتها، ومن أنني لم أعد أشكّل خطراً على أنان، ثم كان هناك ذلك الترقّب لمعرفة كيف ستبدو ياناكي تلك.

دخلت ياناكي مع الخادم الذي كان يحمل صينية الشاي، وهي تُزيح له ستارة قنطرة غرفة الطعام لكي يتمكن من المرور بسهولة. كانت فتاة مُكتملة الأنوثة، لطيفة المظهر، ذات وجه جميل جداً، وذات ابتسامة مُترددة سريعة التأثر وسريعة الاختفاء لو أنك لم تبتسم لها. وبذلك كنت قد أدركت على الفور بأنها، بالنسبة لأي حماة، الفتاة المثالية ، الفتاة الهادئة، المُطيعة والمُفيدة. كان شعرها مسحوباً إلى الخلف ومعقوصاً على

الطريقة التقليدية على مؤخرة عنقها، وكانت تضع شارة "التيكا" على جبينها. لم تكن تضع على وجهها أية مساحيق تجميلية ما عدا لَمسة باهتة من أحمر الشفاه، وأعتقد بأنها كانت تجربة جديدة بالنسبة إليها، إرضاءً لذوق أنان المُتأثّر بالغرب.

كان أكثر حديثها موجهاً إلى والدة أنان، وباللغة الكوجاراتية. كما لاحظت بأنها كانت قد تولّت بالفعل واجبات المُضيفة. سكبت الشاي، وسألتني بلغة إنكليزية واضحة لكنها ليست سلسلة، فيما إذا كنت أرغب ببعض الحليب والسكر، وكانت تطوف علينا بأطباق الموالح الهندية وبالحلويات.

كنت بعد أن تناولت اللقمة الأولى قد أبديت لها الملاحظة التقليدية بأن قلت "إنها لذيذة."

وعلى الرغم من أن والدة أنان لم تفهم ما قلته، إلا أنها استطاعت أن تُفسّره من لهجتي، وبذلك قالت لأنان شيئاً باللغة الكوجاراتية. وقام أنان بترجمة ما قالته دون الكثير من الاهتمام :

"ياناكي هي التي أعدتها."

شعرت ياناكي بالارتباك تجاه ذلك، وقامت بتجفيف فمها بالمنديل، ثم حدّقت بدهشة وذعر بتلك اللطخة الوردية التي تركها أحمر الشفاه على منديلها الكتاني الأبيض.

ثم قلت لياناكي "كم أنت ماهرة، أتمنى لو كان بإمكاني أن أطهو."

أجابتني بعدم اكتراث "من السهل جداً أن تتعلمي ذلك."

قلت "يبدو أنني لن أجد أبداً الوقت لذلك ."

أجابت ولكن دون أي تهكم أو حسد " هذا صحيح بالنسبة لشخص مثلك فلديك حياة فيها الكثير من المتعة والانشغال."

شعرت بالخجل من نفسي، ولم يكن بإمكاني أن أعرف لماذا.

ثم استمرينا في التحدّث عن أمور تافهة. وكانت ياناكي قد استطاعت بشكل رائع أن تحافظ حتى النهاية على اهتمامها الظاهري بأقل الأمور أهمية. كما كانت بذات الوقت تُراقب بعينيها وتتأكد من أن الأطباق والكؤوس كانت تُملأ بالطعام والشراب. ثم كان الحديث بالتدريج قد بدأ يدور بيني وبين ياناكي فقط، ذلك لأن أنان كان قد انسحب منه بصمت وبوجه مُتجهّم.

أذكر بأنني كنت حينذاك قد اعتقدت بأنه ليس بإمكان المرء بالفعل أن يلوم أنان على ذلك. فلابد أن ما يمكن أن يقود إلى الجنون، أن يكون المرء يومياً بعد عودته من العمل، وجهاً لوجه أمام مثل ذلك التهذيب اللطيف المُضجر...

ثم كان أنان قد نهض أخيراً بسرعة وقال بجفاء بأن لديه ما عليه أن يراجعها من الأوراق، كما كنت قد غادرت المنزل بعد بقليل. كانت ياناكي عندما رافقتني ياناكي إلى الباب الأمامي، قد وضعت يدها على ذراعي بنوع من العفوية غير المتوقعة وقالت :

"أرجو أن تأتي ثانية لتناول الشاي معي، أعني هذا إن لم يكن لديك الكثير من المشاغل، سوف أكون مسرورة جداً بذلك، فليس لدي أي أصدقاء في بومباي."

أجبت "سوف يسرني ذلك كثيراً، ويجب أن تأتي أنت أيضاً لتناول الشاي معي."

قالت ياناكي "شكراً، شكراً جزيلاً، ربما بعد فترة، ولكن سيكون عليّ أن أتعلّم أولاً الطريق إلى هذا المنزل، ألا ترين ذلك؟"

وكنت قد عدت إلى منزلي وأنا أعجب من ذلك المزيج من الاضطراب والثقة التي كانت فيهما ياناكي، ومن واقع كونها قد بدأت تشعر بالتأكيد بأن لها مكاناً دائماً في ذلك البيت...

كان أنان في موعدنا التالي للغداء، هو الذي وجّه إلي الأسئلة قال بلهفة :

"حسناً، ما رأيك بها؟"

أجبته بشكل مُبهم "تبدو لطيفة جداً."

"أنت تتحدثين عنها مثل والدتي التي تقول بأنها فتاة لطيفة ودودة، وبأن عليك أن تعتبر نفسك محظوظاً. أعتقد بأنها طلبت منكِ أن تكوني صديقتها؟"

"كيف عرفتَ ذلك؟"

"ليست ياناكي بلهاء كما يبدو عليها. أعلمتني بنفسها بذلك كما قالت لي أيضاً:

"أتسمح بأن نكون أصدقاء يا أنان؟"

وكان يحاول أن يُحاكي نبرة صوتها الرقيقة ولكن بنشاز، ثم قطب حاجبيه وقال:

"ألا ترين بأن هذا الأمر أشبه بمسمار في الإسفين، سوف يكون ذلك مضحكاً إن لم يكن من المحزن جداً."

قلت بلهجة دفاع "حسناً، لكنها جميلة جداً على الأقل."

"إنها بدينة جداً."

"أعتقد أن ذلك يناسبها."

قال "تقول والدتي بأن الأمر يُعتبر نقطة قويّة لصالحها فهي بذلك سوف تُعوّض عن هزالي."

ذلك لأن أنان كان شديد الحساسية بالنسبة إلى موضوع قصر قامته، ثم قال بصوت مؤثر من شأنه أن يجعل الآخرين يتعاطفون معه:

"من الثابت علمياً في علم تحسين الأجناس، بأنه لو تزوجت فتاة قوّية صحيحة البُنية مثل ياناكي من شخص ضعيف البنية مثلي، فسوف تكون هناك إمكانية لأن تُنجب أولاداً أصحّاء وأقوياء مثلها. فالأولاد كما تعلمين هم الهدف الأساسي من كل هذه اللعبة، فأنا ولد وحيد ويجب أن أنجب بعض الأولاد، ولدى والدتي

بالأحرى نظرة ساذجة قريبة من هذه الأمور."

قلت وقد بدأت أشعر بالضيق "يجب أن تعترف بأنها سوف تكون أماً جيدة جداً."

قال أنان "لست أشك في ذلك على الإطلاق، لابدّ أنها الأم الأفضل على الأرض، لكنني أشعر بالأحرى بالاستياء من أن يتم النظر إليّ على ضوء ذلك، وكأنني مزرعة للأطفال."

كانت ياناكي، خلال الأسابيع التي تلت، الموضوع المُهيمن على أحاديثنا أثناء تناولنا الغداء. كما أنني كنت قد تناولت الشاي معهم عدة مرات. كما كنا أحياناً نتناول الشاي معاً بمفردنا، عندما يضطر أنان أحياناً للتأخّر في المكتب، أو عندما تكون لديه بعض الارتباطات باجتماعات مجلس الإدارة.

كانت ياناكي حينذاك توجّه إلي مئات الأسئلة عن أمريكا. وأعتقد، بأنها كانت تُحاول بذلك أن ترسم في ذهنها صورة عما كانت عليه حياة أنان هناك، وعن تلك الخلفية التي تبدو وكأنها قد تركت أثراً كبيراً عليه... كانت تبدو متحمّسة جداً لمعرفة كل شيء أمريكي، وكان ذلك مُسليّا بالنسبة إلي لأن فيه ما يجعلني أشعر بتفوّقي عليها في تجاربي.

كانت تسألني أحياناً بشكل صريح، وأحياناً أخرى بشكل غير مباشر، عن أذواق وعن أفضليات أنان.، وكانت لنا ،على ما أذكر، جلسة طويلة تحدّثنا فيها عن مظهرها، وفيما إذا كان عليها أن تستخدم مساحيق التجميل؟ وهل من الأفضل أن تقصّ شعرها؟ وماذا عن ملابسها؟ وكنت قد قلت لها بأنها تبدو جيّدة كما هي عليه، لكنها سألتني ذات مرّة بإصرار:

"ألم يقل أنان شيئاً مُحدّداً عن ذلك؟ لابد أنه قد أبدى بعض الملاحظات؟"

وقلت على مَضض "حسناً، كان قد قال لي ذات مرّة بأنك تنتمين إلى مجموعة المُكتنزين."

وكانت ياناكي دون أن يظهر عليها أي أثر للحقد قد قالت: "سوف أصبح نحيلة وبسرعة."

قلت "بحق السماء! لا تأخذي الملاحظة بهذه الجديّة."

لكن ياناكي طمأنتني بالقول:

"هذا لاشيء، فكل ما على المرء هو أن يتجنب أكل الأرز والجبّي (مأكولات هندية)."

وكانت قد فعلت ذلك، واستطعت أن أرى الفارق بعد بضعة أسابيع فقط.

كان الجو دوماً أكثر توتراً عندما كان أنان يجلس معنا، بسبب ذلك التهذيب البارد الذي كان يتعامل به مع ياناكي خلال الأسابيع الأولى، وكان ذلك الأسلوب قد تحوّل تدريجياً إلى توتر كان يُعبّر عنه أنان بصمت غاضب، ثم تحوّل فيما بعد إلى نوع من السخرية المُقنّعة التي كانت تتصاعد أحياناً إلى نوع من الخبث. كان على سبيل المثال يُحيّيها قائلاً :

"ما الذي قمت به اليوم؟ هل كنت تضعين الحواشي على حواف الملاءات؟ هل كنت تَحيكين جهازك؟"

وكانت ياناكي تنظر إليه بدهشة وتبتسم كما لو أنها لم تكن تفهم المعنى المقصود من تلك العبارة...

كانت ياناكي في الحقيقة امرأة جميلة تُجيد الحياكة، قامت بتطريز عدد لا بأس به من الأشياء الجميلة للغاية بتلك الإبر المعقوفة ـ من أغطية للمقاعد و من مفارش ومن مناشف للوجه ـ لكنها كانت بالتأكيد تختار بعض التصاميم القبيحة لنساء يَروين الأزهار في الحدائق الانكليزية ويَرتدين القبعات الضخمة، أو لباقات من الورود تتدلى منها الأشرطة.

كانت ياناكي ذات مرّة قد أجابت على سؤال أنان بأن أعلمته بشكل هادئ وبكل جدّية بما كانت تقوم به أثناء اليوم من أعمال منزلية وعن السيدات اللواتي قدِمْنَ لزيارة والدته، وبأنه قد تم تقديم الشاي إليهن، وحتى أنها كانت قد أعلمته عما أنتجته في عمل التطريز الذي كانت تقوم به. وكان أنان قد التفت إلي حينذاك وقال بصوت يوحي بالأحرى بالتهكّم:

"هذا رائع ومناسب بالنسبة للهند، ألست تعتقدين ذلك؟"

لم يكن بإمكان المرء ألا يشعر بالنفور نحوه عندما كان يلعب دور المعذِّب.، وكنت في الواقع قد بدأت أولع بياناكي دون أن أشعر ،في الوقت الذي كان فيه نفاذ صبر أنان منها يزداد ويصبح أكثر علانية. كنت أجد فيها الكياسة والبراءة الفاتنة بذات الوقت، انطلاقا من اقتناعها ببسالة من أن جميع الأمور سوف تكون على مايرام ، ولم يكن بإمكاني أن أميّز ما كان وراء مواقفها تلك من واقعية وثبات. لكنني كنت ذات يوم كنت قد بدأت أشكّ بطبيعتها التي تميل إلى الحسابات البعيدة. كان ذلك عندما كان أنان صعب المِراس معها بشكل خاص، حيث أصرّ على التحدّث عن الكتب التي لم تكن قد قرأتها، وعلى توجيه الملاحظات التي لم يكن بإمكانها أن تُجيب عليها. كانت ياناكي قد التزمت الصمت لفترة طويلة ولم تتفوّه بأية كلمة، لكنها قالت أخيراً بنوع من اللباقة وبعدم التظاهر :

"أخشى ألا أكون قد قرأت سوى القصص التي تُنشر في الصحف اليومية المصوّرة. لكنك لو جلبت لي يا أنان بعض الكتب التي تعتقد بأنها جيدة فسوف أقرأها."

وكان أنان قد أجابها بفظاظة:

"سوف أرى فيما إذا كان لدي الوقت لذلك."

وكنت عندما رافقتني ياناكي إلى الباب في تلك الليلة، قد قلت لها بحنق شديد :

"ما الذي كنت ترمين إليه؟ لا حاجة لأن يكون مزعجاً إلى هذا الحدّ عندما يتحدث معك."

وكانت قد أجابتني "من الطبيعي أن نجد بعض الصعوبات في البداية، لابدّ أن يكون هناك ما يدعوه للاستياء بعد تلك الحياة التي كان قد أمضاها في أمريكا."

قلت "حسناً، أعتقد بأنكم جميعاً لا تُحتملون، لو كنت مكانك لما كنت سأحتمل هذا التصرّف ولو لثانية واحدة." وكنت في سرّي أعتقد بأنها بلهاء.

وسألتني ياناكي "وما الذي كنت ستفعلينه لو كنت مكاني؟"

أجبت "سوف أغادر بالطبع. سوف أعود إلى.."

لكنني في تلك اللحظة فقط كنت قد أدركت معنى ما قصَدَته. أن تعود...؟ ولماذا...؟ إلى ارتباط آخر سوف يتم التخطيط له من جديد ممن هم أكبر سناً؟ وأن تتعلم كيف ستحصل على رضى رجل آخر؟... فهي هنا على الأقل قد أحبت حماتها (والدة زوجها) المستقبلية.

ثم قالت "كما أنني أعلم بأنه طيّب القلب."

كلكن ياناكي كانت قد أثبتت في النهاية بأنها الأكثر حكمة منا جميعاً.، وكنت في كثير من الأحيان أفكّر بمقدار ما كانت محظوظة لأنها لم تعمل بنصيحتي. ليس لأن أنان لم يكن قد استسلم تماماً وعلى الفور، وإنما وعلى العكس كان أنان قد ظلّ مزعجاً ومُنتقداً، لكنه كان بعد ذلك قد وقع بالتدريج في شبكة أكثر الأدوار إرضاء لغروره وهو دور "الرجل الرافض."

كنت ذات يوم قد لاحظت ، بأن أنان أنهى وجبة الغداء بشكل سريع إلى حدّ ما، ثم قال لي ونحن في طريق عودتنا إلى مكاتبنا :

"سوف يقودني أسلوب حديث تلك الفتاة إلى الجنون. أعتقد بأن من الأفضل أن اشتري لها بعض الكتب" ثم أضاف بنوع من الارتباك "بما أنني قد أرغمت على صحبتها."

وكنا قد افترقنا بعد ذلك في المكتبة. ثم علمت منه في حديث لاحق دار بيننا ،بأن ياناكي كانت تؤدي ما عليها من واجبات دراسية بكل مثابرة وبمتعة.

وكانت الأمور منذ ذلك الحين قد بدأت تتطوّر بسرعة كبيرة، وبذلك كنت قد بدأت أتوقع ما سوف يُبديه أنان من العديد من الاقتراحات، مثل: أن نُمضي بعض الوقت في التسوّق خلال فترة استراحة الغداء.، وكان يعبّر عن ذلك عادة بأسلوب سَمح كأن يقول:

"علينا أن نشتري لهذه الفتاة بعض الملابس التي تختلف عن ذلك الساري الريفي المظهر." أو أن يقول "هذه الفتاة لا تستمع سوى إلى موسيقى الأفلام، وعليّ بالفعل أن أجلب لها بعض المقطوعات الكلاسيكية."

لكن الوضع في المنزل كان مع ذلك لايزال عما كان عليه. وكان أنان قد استمر في التعامل مع ياناكي بذلك الأسلوب المُرتجل أو المُستبد، بينما بقيت ياناكي هادئة ومُتقبّلة للأمور، أشبه بطالبة تعلم بأن غباءها يُعتبر أكبر محنة بالنسبة لأستاذها...

لم يكن في ذهني مع ذلك أي شك في ذلك التغيير الذي كان قد بدأ يطرأ على موقف أنان، وكنت أيضاً على يقين من أن قصة "سيدتي الجميلة" سوف يكون لها نهاية واحدة فقط.، وكان والدا أنان أيضاً على ثقة بما سينتج عن ذلك.

كان أنان قد أعلن ذات يوم ، ونحن نتناول الشاي،وبكثير من البهجة، بأن والده سوف يوفده في رحلة عمل

إلى نيويورك. وقال بأنه يشعر بالسرور لأن هذا يعني بأن والده قد بدأ أخيراً يثق به، وبأنه بذلك سوف يوكل إليه مسؤولية حقيقية. وكنت قد قلت :

"سوف تكون عودتك إلى أمريكا فرصة رائعة للتسلية."

لكنه قال "نعم، وهذا أيضاً بالطبع، ولكن لست أدري فيما كان سيتوفر لدي الوقت الكافي لتلك الأضواء ولتلك الحفلات."

كانت شخصية أنان قد تحوّلت بشكل سلس إلى أسلوب تفكير رجل الأعمال المُنضبط، مما جعلني أشعر بالرغبة في الضحك.

ثم استغرقنا جميعاً بعد ذلك في مناقشة تفاصيل تلك الرحلة، إلى أن صُدمنا تماماً بياناكي وهي تقول فجأة بحزم وبصوت يخلو من أي تعبير :

"سوف أغادر أنا أيضاً، سوف أعود إلى بيتي."

ساد صمت قاتل للحظة ثم قالت من جديد "غداً."

وكنت قد بدأت الحديث بالقول "ولكن لماذا؟"

أجابت "هذا قراري".

لم يقل أنان شيئاً، لكنه نهض وغادر الغرفة. كانت جميع خططه الهامة اللامعة قد ذهبت أدراج الرياح. انتظرنا إلى أن سمعنا باب مكتبه يُصفق بشدة. ثم دفعتني عاطفتي نحو ياناكي ـ وفضولي أيضاً بالطبع ـ إلى أن أسالها بعد ذلك:

"ولكن لماذا الآن وفي الوقت الذي بدأت فيه الأمور بينكما تصبح جيدة جداً؟"

قالت "ألم تلك نصيحتك، ألست تذكرين ذلك؟"

"لكن الأمور كانت مختلفة حينذاك."

هزّت ياناكي رأسها كما لو أن كل منا كانت تعلم حقيقة معينة وقالت "نعم."

وكنت قد اعتقدت في ذلك الوقت بأن ياناكي قد أدركت بأنها هُزمت، كما أحسست بالدهشة وبالقلق من أن يكون ما بدا لي بمنتهى البساطة، كان غامضاً بالنسبة إليها، لذا قلت بحرص:

"أصغي إلي ياناكي ، ألا ترين بأن أنان رغم كل شيء قد وقع الآن في حبك ؟"

وكنت أتوقع أن يكون ردّها ابتسامة مُشرقة أو ربما بما يُعبّر عن الشعور بالانتصار، لكن ما لم أتوقعه كان هو أنها كانت قد حدّقت في وجهي كما لو أنني كنت عدوّة لها وقالت:

"الحب!.. لا أريده أن يحبني!... ما أريده هو أن يتزوجني..."

قلت بقدر ما كان بإمكاني أن أبدو مُقنعة :

"لكن الأمر مختلف بالنسبة إليه، فبالنسبة إليه من المهم أن..."

نظرت إلي ياناكي بشَزر وكأنها تُقرّر شيئاً هاماً وقالت "هل أنت مُتأكدة؟"

أجبت "طبعاً كل التأكّيد."

ثم قالت وقد أصبح صوتها قاسياً وضجراً :

"الحب هو الكتب التي تقرؤونها أنتم... إن كنتم تحبون الموسيقى فهذا ذوقكم... أيّاً كان ما يعنيه ذلك، كما لو أن لذلك له أية علاقة بالزواج..."

قلت دون أن يكون لي أي تأثير عليها "حسناً."

كيف بإمكان المرء أن يجعل فكرة الحب الشاعري أخّاذة بالنسبة لشخص لا يريد سوى بيت وزوج وأولاد، حتى لو لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئاً تجاه ذلك؟..

كنت قد اعتقدت بأنني فهمت سبب ذلك اليأس المفاجئ، فلابد أن عودة أنان إلى تجاربه الأمريكية قد بدا تهديداً ساحقاً بالنسبة إليها. حاولت أن أطمئنها، وبأن أذكّرها بأن غياب أنان لن يطول لأكثر من بضعة أسابيع، وبأنه سوف يشعر بالشوق إليها، وبأن أمريكا سوف تبدو له الآن مختلفة تماماً.

لكنها لم تكن ترغب في الإصغاء وظلّت تكرر "يجب أن أحزم أمتعتي وأغادر غداً."

قلت لنفسي، مسكينة ياناكي، بإمكاني أن أتخيّل مدى صعوبة إعادة كل ما قامت به من محاولة إلقاء الشباك مع رجل آخر غير أنان، ذلك المسافر العائد من إنكلترا، وبأن ذلك على ما يبدو سوف يكون أكثر بكثير مما كان بإمكانها أن تواجهه. ولم يكن قد خطر ببالي بأنه كان علي أيضاً أن أدرك بأن ياناكي الذكية كانت الوحيدة من بيننا التي كانت تعرف تماماً ما تريده... هل كانت ستترك البيت؟ لا... لا بالطبع ... فهي تُفضّل أن تقتل نفسها أولاً...

وعندما أستعيد الآن في ذهني كل ذلك ، لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التساؤل إلى أي مدى كانت قد بلغت سذاجتي حينذاك.

لكن الواقع أن النساء، أو ربما أقصد بذلك النساء اللواتي هن من عالم معين، عالم ياناكي، قد ورثن عبر القرون القاسية ذلك الإحساس الذي لا يرحم من الرغبة في حماية الذات. وإن كان يبدو لي بأن من المخيف أن تكون النساء في حاجة إلى ذلك، لكن من الغباء أن نتجاهل بأنهن، وفي غالبية الأماكن على الأرض، لا زلن تلجأن إلى تلك الحماية. وإلى ذلك التصميم البارد المتأصّل بالحصول على الأمان بأية طريقة وعلى التعلّق به.

كانت كل تلك المواقف اللطيفة من ياناكي تجاه أنان ، تلك المواقف التي لم تكن تنبع من الحب ـ الحب الذي أسقطته ياناكي من حسابها ـ ليست سوى عبارة عن حرب ، حرب كانت تخوضها في سبيل ربح أو

خسارة مملكة، ولم تكن مثل تلك الحرب في الحقيقة سوى العالم الذي تستحقه ياناكي. وكما هو الحال في الحروب، فإن الانتصار، والغلَبة، والنجاح، ولنسمي ذلك بما نريده، كان الفضيلة الوحيدة في معركتها. والشيء الأكثر غرابة بالطبع، هو بأنه لم يكن هناك ما هو مروّع أكثر من ياناكي، ما لم تشأ أن تُطلق على ذلك تعبير "ما هو أكثر أنثويّة من ياناكي"

وهذا ما حدث : ففي اليوم التالي كان أنان قد تحدث معي بالهاتف بصوت يوحي بالاضطراب وقال:

"لنتناول طعام الغداء معاً في الساعة الواحدة من يوم الغد في مطعم "جو"، أود التحدث إليك."

كنت متأكدة حينذاك بأن ياناكي كانت قد غادرت إلى بيتها، وبأنها لم تكن تحمل معها سوى ما كانت تلقاه من معاملة مُهينة من أنان ومن بعض الملابس الجديدة، ومن الكثير من الأحاديث المُملّة التي ستذكرها.

لكنني كنت منذ رأيت أنان، قد أدركت بأنني كنت مخطئة تماماً. كانت تبدو على ملامحه تلك النظرة المرتبكة التقليدية التي يتم الإعلان بها عن الأنباء السارة دون النطق بها.

قال " كانت ليلة زاخرة بالأحداث، أليس كذلك؟"

قلت "نعم، كانت بالأحرى كذلك."

تلا ذلك فترة طويلة من الصمت كان يبدو خلالها مُحرجاً ثم قال لي باندفاع :

" اسمعي، سوف يبدو لك ذلك سخيفاً. أقصد ... حسناً... سوف نتزوج ياناكي وأنا..."

قلت له وقد شعرت بارتياح كبير :

"هذا أفضل تصرف عقلاني منك."

لكن علامات الدهشة بدت عليه وقال :

"هل تعتبرينه تصرّف عقلاني؟ قد يبدو الأمر هكذا بالنسبة إليك، ولكن الواقع هو أن كل منا قد أغرم بالآخر..."

قلت وكان في لهجة صوتي ما يشير إلى الشك:

"كل منكما أغرم بالآخر؟..."

لكنني كنت قد أسفت لما قلته.

قال أنان "أعلم بأن الأمر سوف يبدو لك غريباً، أستطيع أن أقول بأنك كنت دوماً تعتقدين بأنني أكرهها." ثم ابتسم بطريقة كان فيها بعض التعالي " وهذا ما كنت قد اعتقده أنا أيضاً لفترة، كما كان لياناكي أيضاً جميع الأسباب التي تجعلها تعتقد ذلك. ويجب أن أقول بأن الأمر قد تطلّب منها الكثير من الشجاعة. أعني، عندما تظنين أن..."

قلت وقد شعرت فجأة بكثير من الكآبة " الأفضل أن تبدأ منذ البداية."

"حسناً. سمعتك ليلة الأمس تغادرين المنزل ، ثم سمعت بعد ذلك صوت خُطى ياناكي وهي تدخل إلى الردهة ـ وأنت تعرفين تلك الطريقة الخجولة التي تمشي بها ـ كانت ياناكي قد توقفت بعد ذلك أمام باب مكتبي. كنت في حالة يرثى لها، ولكن عليّ أن أقول بصراحة، بأنني لم أكن لأفعل أي شيء ما لم تقم هي بذلك ... أعني ما لم يأخذ أحدهم زمام المبادرة."

قلت "نعم" لأنني كنت قد علمت بما الذي سوف يلي ذلك، ولم يكن بإمكاني السيطرة على ما أحسست به من إحباط .

قال أنان "كانت قد جاءت لكي تشرح لي سبب رغبتها في العودة إلى بيتها. أترين؟ ليست ياناكي بالفتاة السلبية كما تعتقدين. قالت لي بأنه على العكس تماماً مما كان لديها من خطط، و بأنه على عكس ما كانت تتوقعه فقد... وقد يبدو لك هذا سخيفاً ... لقد وقعت في حبي..."

قلت "أستطيع أن أفهم ذلك، وهذا ما يُفسّر تصرفاتها. كانت طوال الوقت تُحاول أن تُرضيك."

"نعم، حسناً، وكنت قد أدركت ذلك أنا أيضاً."

قلت وأنا أرغب بأن يُسرع في روايته تلك:

" هذا يعني بأن كان كل ما كنت تُبديه من استياء ومن سوء التصرف كان فقط..."

قال "حسناً، نعم."

قلت باضطراب "حسناً تهانيّ."

قال بصوت تملؤه الثقة "هذا مُضحك، أليس كذلك؟... أن تنجح خططهم ولكن بطريقة مختلفة تماماً. لا أعتقد بأنهم سوف يفهمون ذلك على الإطلاق."

قلت "لا يستحق الأمر أن تشرح لهم ذلك."

وأجاب "لا، بحق السماء، اسمعي، دعوت ياناكي للخروج معي غداً، فهل تأتين معنا؟"

"لا، بالتأكيد."

"لكن ياناكي هي من طلبت مني بشكل خاص أن تأتي معنا، هي تُحبك جداً كما تعلمين، كما أنها من ناحية أخرى، لا تشعر بالارتياح الخروج معي بدون مرافقة."

قلت وأنا أشعر بنوع من الاشمئزاز تجاه أنان" في هذه الحالة..."

وكنت أفكر طوال الوقت، هل كنا جميعاً نُستخدم من قبل ياناكي لهذا الغرض؟... حماة مُتعاطفة ومُؤيدة، ورجل بإمكانك أن تتملّقيه، وصديقة من السهل خِداعها وبالإمكان الحصول منها على المعلومات حول الخلفية وحول ظروف النّزال... صديقة بالإمكان التحقّق منها عن تأثير أساليب وفنون التعامل وحول تأثير الخطط. والآن... وبعد أن ربحت ياناكي الجولة، فلن يتبقى لديها تجاهنا جميعاً سوى الازدراء. لكنني، كنت

من ناحية أخرى، أتساءل فيما إذا كانت تحب أنان بالفعل. فتلك حالة لا تعرف ياناكي كيفية التعامل معها، وبأنها كانت تأمل فقط باستعمال السلاح الذي عرفته، وهو إمكانية الإرضاء أو محاولة الإرضاء. فلِم سيكون عليها، أو كيف سيكون بإمكانها أن تروي لي كل ذلك بنفسها؟ـ فذلك العالم بالنسبة إليها عالم خاص لا تثق به ياناكي على الإطلاق، كما أنه عالم بعيد جداً عن تجاربها في الحياة.

وقد بدأت أدرك الآن، بعد أن قابلت الكثيرات ممن هن مثل ياناكي في هذا العالم، ما هو التفسير الصحيح لذلك.

قال أنان "إذن سوف نتقابل في تاج محل، هل يناسبك ذلك؟"

كان قد حجز طاولة بجانب النوافذ. تأخرت ياناكي قليلاً لكي تتأكد ـ وهذا ما كانت قد بررته وهي تلهث ـ من أننا كنا هناك قبل مجيئها، لأنه يصعب عليها أن تجلس هناك بفردها .

طلبنا من لائحة الطعام الهندي ما سوف نتناوله من مأكولات ، ثم قال أنان وهو يُلقي إلي مجرد نظرة تساؤل سريعة:

"أعتقد بأنه لا حاجة للنبيذ، فليس هناك أي نبيذ يتلاءم مع الطعام الهندي، أليس كذلك؟"...

قصة حب ريفية
A country love story
للكاتبة جين ستافورد

كانت مركبة الجليد الأثرية متوقفة في الفناء، وقد تراكمت فوق عجلاتها المُتآكلة طبقة فوق طبقة من الثلوج. كما انتشرت هنا وهناك على مقعدها المُمزق الذي زال لونه، خِصل من شعيرات حصان، ومن قُصاصات الجلد الأسود اللون الذي كان المقعد قد نُجّد بها. لم تكن تلك العربة بتقوّساتها البهيجة توحي تماماً بالإهمال، بقدر ما توحي بأنها كانت قد تلقّت صدمة، أو كما لو أن خيولها المُنهكة كانت قد عجزت عن متابعة سيرها ولو لخطوة إضافية واحدة وبذلك كانت قد توقفت آخر الأمر في هذا المكان...

كانت تتلك المركبة قد أتت إليهم مع مقتنيات المنزل، حيث كانت المالكة السابقة، وهي سيدة أعمال ذكية من منطقة كاستين تقوم بشراء المنازل القديمة لكي تبيعها من جديد بكل ما قد يكون فيها من عيوب مَستورة، قد قالت لهما عندما كانت تعرض عليهما المكان:

"أعتقد بأن هذه المركبة تبدو أشبه بلوحة فنية رائعة."

ثم صرفت نظرها عنها والتفتت إلى البئر لكي تتحدث مُطوّلاً وبحماس عن مياهها التي لم تَنضب قط . وفي الحقيقة أن مّي ودانيل كانا قد وجدا بأن تلك المركبة كانت تبدو غريبة الشكل أكثر من كونها شبيهة بلوحة فنية رائعة، وبأنها تُشبه كثيراً قطعة من الفنون اليدوية التي قد يشاهدها المرء في الخارج. كما كانت تلك السيدة ، عندما كانوا يغادرون المكان معاً، قد أشارت من جديد إلى المركبة وقالت:

"عليكم طلاؤها بلون بهيج بعض الشيء، وأعتقد بأن في هذا ما سوف يجعلها تُضيف لهذا الفناء بعض الامتداد."

وكان كل من دانيل ومّي قد هزّا كتفيهما باستخفاف بوقت واحد ، فقد كان في نيتهما أن يتخلّصا من تلك المركبة قبل أي شيء آخر...

ولكن ونظراً لما كان عليهما القيام به من العديد من الأمور الأكثر أهمية، ولأنهما لم يعثرا على مكان مناسب لتلك المركبة، فليس بإمكان المرء أن يرمي مركبة جليد، بالمعنى الحرفي للكلمة، ولأنها كانت إلى حدّ ما تبدو كجزء من ذلك الفناء، وكأن من المفروض أن تبقى في مكانها مثلها مثل تلك الأشجار، فقد تركوها في مكانها...

شاهدا أثناء فصل الصيف العصافير التي كانت تقف لفترة وجيزة على واجهتها الأنيقة ، وشاهدا الأمطار المُنعشة تغسل عجلاتها، والأوراق الذهبية تُغطي مقعدها أثناء الخريف وتستقر جافة في داخلها، وها هما يشاهدان الآن الثلوج تتراكم عليها من جديد.

كانت المركبة تبدو عبر نوافذ المطبخ الواسعة المضيئة حيث كانا يتناولان جميع وجباتهما. كانا يجلسان أحياناً في تلك العزلة الريفية، ويُحدقان بذهول بتلك المركبة وقد غفلا عن طعامهما وهما يحاولان تخمين ما كان عليه تاريخ تلك المركبة... قد يكون قد قادها بخيلاء سليل إحدى عائلات الضباط البحارة، أو قد تكون قد أُستخدمت لنقل مجموعة من السيدات في جولاتهم الخيرية هنا وهناك في الريف. ،ولكن لم تكن مّي أو دانيل قد تحدثا معاً على الإطلاق عما قد تكون قد تكون تلك المركبة قد استخدمت لأجله.

كانت مّي تشعر بأنها ودانيل يُمضيان أكثر أوقاتهما بصمت، وبشيء من الكآبة، وكانت تفكّر: إن كنا لا نجد ما نتحدث عنه حتى ونحن ننظر معاً إلى شيء بمثل هذه الغرابة والإثارة ، هذا الشيء الذي أصبح ملكاً لنا على الرغم من أننا لم نكن نرغب به ، فما هو الشيء الذي يُمكن أن يجعلنا نتحدث معاً؟... إلا أنها لم تكن تُزعج دانيل وهو في استغراقه بتأملاته الشخصية، وإنما كانت تظلّ صامتة وترقبه بطرف عينها وهو يُحدق بتلك العربة التي كّستها تلك الحلّة الشتوية من الثلوج...

لكنها كانت تحاول، كما لو أنها تحسب في ذهنها حسبة صعبة، أن تجد الحلّ للغز ذلك الأمر الذي جعلهما يصمتان هكذا قبل الأوان. كانت الأيام قبل مرض دانيل تبدو قصيرة جداً لكثرة ما كانا يتلهفان للتحدث عنه...

لم يكن مجيئهما للعيش في هذا المكان النائي الكئيب، بعد أن غادره جميع النبلاء في عربات الشواطئ فكرتهما ، وإنما كانت فكرة طبيب دانيل. كان الطبيب تيلينباخ قد قال لهما بأن السماء في المنطقة الشمالية ، وبأن الهواء النقي، والنزهات في الريف ولياليه الهادئة (وربما كان يشير بذلك إلى موطنه سويسرا)، من شأنها أن تُساهم أكثر من جميع أطباء ومستوصفات العالم في شفاء رئتي "الأستاذ". وكان قد أضاف، عندما كان يتحدث على انفراد مع مّي ، بأن الفترة الطويلة التي أمضاها دانيل في المصحّة (وكان دانيل قد أمضى هناك مدة عام كامل) ، عندما كانت جميع الأمور قد وصلت إلى تلك الدرجة من التراجع، من شأنها أن تجعل من العسير على "الفتى" (ولم يقل الآن "الأستاذ" على الرغم من أن دانيل الذي كان يكبُر زوجته بعشرين عاماً ويكبر الطبيب بعشرة أعوام وعلى الرغم بأنه الآن في حوالي الخمسين) أن يعود على الفور إلى جو التوتر و المكائد في الجامعة. وهو ما أطلق عليه الطبيب بمزاجه المُشاكس عبارة " ذلك الخليط من الأشخاص" كما كان قد أصرّ أيضاً على أن قسوة الحياة في شتاء الريف، لا يمكن أن تُقارن بذلك التوتر الذي تُسببه الضغائن وحفلات الاستقبال الخ.. ثم قال أليس لدى جميع الأساتذة الرغبة بتأليف الكتب ؟ لذا فمن المؤكّد أن تكون في جعبة دانيل ،بصفته من المؤرخين، كل ما في هذا العالم من معلومات، وهذا الأمر هو أيضاً من الأمور التي قد تُبرر وجوده بعيداً خلال هذا العام...

كانت مّي قد قالت حينذاك بأنها تعتقد بأن لدى زوجها كل ذلك، لكنها ليست مُتأكدة من رغبته من أن يفعل ذلك في الوقت الحاضر. كانت الآن كأنها تسمع ما كان في صوتها من نفور عندما كانت تتحدث إلى ذلك الطبيب وهي تتهرب من نظرته إليها بالنظر إلى الجبال الممتدة أمامها من خلال نافذة المصحّة ...

كانت الأشهر التي غاب فيها دانيل قد مرّت عليها ببطء شديد، وكانت تُعزّي نفسها بانتظار الوقت الذي سوف يعودان فيه إلى ما اعتبره الطبيب وهو يرثي لحاله " بؤرة الشر والفساد" ، ذلك لأن فترة غياب دانيل كانت بالنسبة إليها هي بؤرة للفساد ولكن بالمقياس الأصغر والأقل خطورة... كانت ميّ قد ابتسمت حينذاك بخيبة أمل لسذاجة ذلك السويسري ثم شرحت له بأنهما يعيشان بهدوء، وبأنهما نادراً ما كانا يخرجان معاً لتناول العشاء أو للتسلية خارج المنزل، وليس أكثر من مرتين في الأسبوع.

لكن الطبيب كان قد هتف بذعر "مرتان في الأسبوع!.."

وكانت ميّ قد اعترضت من جديد بأن قالت:

"لكنني أخشى ألا يتمكن دانيل من تحمّل البقاء سنة أخرى بهذا الوضع من عدم الفعالية، هو ينوي بالفعل تأليف كتاب، لكنه يعتزم تأليفه في إنكلترا، وليس بإمكاننا الذهاب إلى إنكلترا في الوقت الحاضر..."

وكان الطبيب تيلينباخ قد رفع يديه إلى الأعلى وقال "إنكلترا..! سيدتي! ما يحتاجه زوجك هو الهواء النقي... الهواء النقي وقلّة الكلام..."

وقالت ميّ حينذاك " أعتقد أن ما يحتاجه دانيل هو الكلام، بعد كل تلك الفترة التي أمضاها بمفرده والتي لم يكن يتحدث أثناءها سوى مع نفسه أو معي أثناء زياراتي له."

كان ذلك الطبيب قد نظر إليها آخر الأمر بصبر نافذ، وقال بكياسة ولكن بلهجة آمرة:

"آمل ألا تعتبريني مِلحاحاً إن قلت بأنني على إطلاع كامل على وضع زوجك، وبصفتي طبيبه المعالج سوف أطلب منه أن يستقيل، وهو يوافقني تماماً على ذلك."

كانت ميّ قد شعرت حينذاك بالكثير من الضيق من أن يكون التفاهم بين دانيل وبين الطبيب أكثر من التفاهم بينها وبين دانيل. وكانت قد اعترضت من جديد على ما قاله وبدأت تروي لذلك لطبيب ما حدث مع دانيل في إحدى زياراتها له عندما كان في المصحّة، وكيف أنه وضع رأسه بين يديه وأخذ يندب ويقول "لست أستمع هنا سوى إلى الحديث عن كؤوس البصاق وعن الأشعة، ألم يَعد هؤلاء الناس يهتمون بالوضع العام العالمي؟"

لكن الطبيب تيلينباخ كان قد تمسّك برأيه وقال لها أخيراً قبل مغادرتهما :

"سوف تلاحظين بعض التغيير في زوجك بعد تلك الفترة الطويلة من المرض، لأن المرض الطويل يُبعد الشخص المريض الذي يستغرق كثيراً في التفكير عن غيره من الناس، وهذا الأمر أسوة بمن يعيش مع عشيقة مُتطلّبة قد لا تكتفي بنصف اهتمام الرجل، و تُطالب بكل اهتمام..."

وجدت ميّ حينذاك بأن أسلوب حديث الطبيب قد وصل بذلك إلى درجة لا تُحتمل من السخف، مما جعلها تزدريه وتُعرِض عن سؤاله عما كان يعنيه بذلك.

لكن ميّ كانت في الواقع، عندما حان الوقت لانتقالهما إلى بيتهما الجديد، ونظراً لأنها لم تكن قد وجدت أية تغيّرات في طباع زوجها، كما أكانت قد وجدت من جهة أخرى، الكثير من المتعة في حياتهما الريفية، قد بدأت تغفر للطبيب تيلينباخ.

كانت حياتهما في البداية أشبه بشهر عسلٍ ثانٍ، فقد انتقلا إلى منطقة شمالية لم يكونا قد زاراها في السابق، وبذلك كانا يتقاسمان السرور باستكشاف مناظرها الساحرة وخِلجانها. كما أن علاوة على ذلك، لم يكن قد سبق لهما امتلاك أي بيت، وإنما كانت إقامتهما في شقق المدينة. وعلى الرغم من أن المنزل الذي اشترياه كان قديماً ومنعزلاً، إلا أن تُخومه وأبوابه وإطلالة نوافذه كانت جميلة، مما جعلهما يغرمان به بشكل كبير، وكانا طوال الصيف يُكرّران هذه العبارة:

"ما أجمل أن تكون لنا كل هذه الأشياء!.. وما أمتع بأن تعود جميعها إلينا!"

كانا يتجولان بين الغرف ويُطلاّن بإعجاب من نوافذها، التي لم تكن أي منها تخلو من إطلالة جميلة. كانا ينظران من جهة الجنوب إلى النهر، ومن جهة الشمال إلى البحيرة ، وإلى الغرب من منزلهما حيث تقع غابات الصنوبر التي كان يُسمع عبرها على الدوام أنين الرياح الذي كان أشبه بتوسّل عقيم، ويُطلان من ناحية الشرق إلى طرف الهضبة حيث يمتد مرج أخضر إلى منزل قديم مُهيب يمتلكه رجل ثري...

صحيح أنه كان قد تخلّل تلك الأيام الساحرة التي أمضياها معاً بعض الأوقات التي كانت أثناءها ميّ ، وهي تجمع أزهار الزنبق المائي، تلمح على وجه دانيل نظرة استغراق وهو يُجدّف ببطء في البحيرة ، وبأنها كانت قد أدركت حينذاك بأنه كان بعيداً عنها وفي عالم آخر مع ذكرياته. لكن... ربما كان ذلك بسبب ما لديه من ذكريات مؤلمة عن فترة المرض التي أمضاها في تلك المصحّة (وهو الأمر الذي لم يكن يرغب بإيراد ذكره على الإطلاق) أو ربما كان مُستغرقاً بالتفكير بذلك الكتاب الذي ينوي تأليفه ـ كما كان يقول ـ على الفور من حلول الشتاء حيث لن يكون لدى المرء ما يقوم به حينذاك سوى العمل. كانت نظرته تلك قد أفزعتها لأنها تذكرت ما قاله لها الطبيب، لكن شعورها بالأمان في زواجها الذي كان عن حبّ كان قد عاد إليها على الفور، وبذلك كانت قد جذبت زنبقة مائية أخرى من ساقها الطويلة واقتطفتها...

كانا قد زرعا الحديقة معاً، كما شعرا بشكل خاص بالفخر عندما نبتت أزهار النيكوتين (مادة التبغ) التي كان عبيرها يصل إلى غرفة نومهما أثناء الليل. كانا يتباحثان بكل بهجة، مع النجارين والدهّانين ومع مُنظفي المداخن. أما أثناء اللّيالي المُظلمة، فكان كلٌّ منهما يُطالع كتابه بهدوء، ولم يكن يصل إلى مسامعهما في ذلك الهدوء المُخيّم على المنطقة سوى صوت الطيور الليلية آكلة السمك فوق البحيرة ونعيق البوم فوق قمم الأشجار.

وعندما بدأت ساعات النهار تتناقص، وأصبح الطقس أكثر برودة، استقر في منزلهما صرصار ليليّ، كان يغنّي طوال الليل وراء مدفأة المطبخ. كما كانا قد جلبا هرّتين أهليتين سمينتين كسولتين كان كل ما تفعلانه هو أن تتمددا أمام الموقد وتُخرخرا (صوت الهرة السعيدة) دون مبالاة.

لم يكن انتقالهما للسكن في ذلك المنزل قد تم إلى أن حلّ شهر تموز (يوليو)، ونظراً لما كان لدى عمّال تلك المنطقة من ارتباطات عديدة أخرى ، فقد تم تأجيل معظم الإصلاحات الأساسية في المنزل إلى فصل الربيع. كان دانيل في شهر تشرين الأول (أكتوبر)، بعد أن تمكّنا من القيام بنفسيهما بكل ما بإمكانهما من إصلاحات في المنزل، قد بدأ بعمله الخاص، وبذلك وجدت مّي نفسها فجأة دون أية مشاغل. كانت الأيام تمرّ بكاملها دون أن تفعل مّي شيئاً سوى أن تطهو الوجبات الثلاث، وأن تتجوّل قليلاً في الحديقة التي يلفّها الضباب الخريفي اللطيف وأن تُلاعب القطط وتنتظر نزول دانيل من مكتبه في الطابق العلوي لكي يتحدّث معها...

ثم بدأت مّي تُفكّر بحنين بتلك الأيام الحافلة التي كانا قد أمضياها في بوسطن في الفترة التي سبقت مرض دانيل، وبأنها حتى عندما كان دانيال في المصحّة في العام الماضي، كانت تذهب إلى الحفلات وإلى العروض الموسيقية، كما كانت تقوم بالكثير من الأعمال الخيرية لصالح الأطفال المُعاقين، كما كانت باستمرار تشتري الهدايا التي من شأنها أن تُخفّف على دانيل وطأة الضجر الذي كان يشعر به في منفاه الإجباري.

ثم بدأت مّي ،بذلك الحنين الذي بدأ ينتابها ،تشعر أيضاً بتأنيب الضمير ، كما لو أنها كانت تخون حياتها هذه لأنها ترغب بحياة أخرى، وبذلك كانت تهرب من ندمها بالنوم. كانت تنام أحياناً لساعات طويلة حتى أثناء النهار كما تفعل للقطط، وكان عليها عندما تستيقظ أن تُغالب النوم من جديد...

وذات يوم كانت ميّ قد طلبت من دانيل، وهما يتناولان طعام الإفطار معاً، أن يصطحبها بعد ظهر ذلك اليوم في نزهة لزيارة إحدى المزارع التي يقوم فيها المالك بتدخين التقانق بنفسه. بأن قالت له:

"أنت لا تخرج على الإطلاق، كما أن الطبيب تيلينباخ كان قد قال بأن عليك أن تخرج، وعلاوة على كل ذلك، فإن هذا يومٌ جميل."

لكن دانيال قال لها "ليس بإمكاني ذلك، كنت أرغب أيضاً التنزّه ، لكن ليس بإمكاني أن أفعل ذلك، فأنا مُنشغل الآن. اذهبي بمفردك."

وكانت مّي قد بكت وقالت وقد انتابها شعور مفاجئ بالعزلة:

"أووه... دانيل، أرجوك، ألا ترى بأنه ليس لديّ ما أفعله هنا!"

وكان دانيل قد قال لها بعد فترة قصيرة من الصمت :

"أنا آسف عزيزتي لأنني أجعلك تمرين بكل هذا، ولكن عليك أن تُسلّمي بأن إصابتي بالمرض لم تكن غلطتي."

وبذلك كانت مّي،بما شعرت به بعد ذلك من خجل وباعتذاراتها السريعة المُبالغ بها، وبإصرارها على أن ليس لديها ما هو أهم من صحته ومن راحة باله، قد جعلت الأمور تنقلب للأسوأ، حيث قال لها دانيل آخر الأمر بإيجاز :

"مّي، لا تتصرفي هكذا كالأطفال، وليدع كلّ منا الآخر بمفرده."

وكانت تلك هي الشرارة الأولى للخلاف في زواجهما الذي كان قد استمر لخمس سنوات، وكما كانت البداية لسلسلة من الخلافات.، فلم يكن يمرّ بهما يوم واحد دون أن يتشاجرا حول أحد الأمور.، فقد يختلفان على أمر مفروغ منه، أو أنهما قد يتجادلان على أمر يتعلق بالذوق، أو قد يلفت أحدهما انتباه الآخر إلى خطأ دون أن يكون لذلك أي سبب وجيه. وكان كل شجارٍ بينهما ينتهي بأن يقول دانيل لمّي:

"لِمَ لا تَدعيني بمفردي؟"

كما أنه كان ذات مرّة قد قال لها:

"كنت مريضاً وأنا حالياً مُنشغل كما أنني لم أعد شاباً بما يكفي لكي يكون بإمكاني أن أغيّر اتجاه تفكيري كلما كان ذلك بما يتوافق مع نزواتك."

وكانت تَلي ذلك دوماً الاعتذارات، ثم يعود دانيل بعد ذلك إلى مكتبه لكي لا يفتح بابه من جديد إلا عندما يحين موعد الوجبة التالية. وبذلك كانت ميّ قد شعرت آخر الأمر، بأن ذلك الحب الذي كان المحور الأساسي لوجودهما، قد اختنق واحتجب واختفى.، وبأن ما أصبح يسود بينهما هو الصّمت والعِداء واللّوم المُبتذل...

كانا يحاولان بكل اندفاع أن يتخلّصا من ذلك الشعور ، ولكن لم يكن بإمكانهما ذلك ، وإنما كان كل ما كانا يفعلانه هو أنهما كانا يزيدا من حدّته ويحفرا في بُؤرته المُبتذلة. كان دانيل بابتعاده عنها وعن الأمور المنزلية ، قد انشغل بأبحاثه التي لم يعد يتحدّث عنها، إلا لكي يقول بأن ذلك قد يجعلها تشعر بالملل، مما جعل مّي تشعر غالبية الوقت بأن دانيل لم يكن يأبه لما يجري بينهما...

ثم بدأت تشعر شيئاً فشيئاً بأن ذلك البيت القديم البارد قد أصبح يُطوّقها بشكل ما، كما لو أنه عدوّهما المُشترك الذي يسعى بخبثٍ إلى أن يوصلهما إلى كارثة...

وبذلك وبعد أن بدأت الثّقة تنعدم بينهما، أصبح كل ما يفعلانه أثناء تناولهما الوجبات، هو أن يُحدّقا باستغراقٍ بتلك المركبة الجليدية الغريبة التي تقف مهمَلة تحت وطأة قسوة الشّتاء ...

وجدت مّي نفسها تفكّر: لو قمنا بإصلاح ودهان بيتنا هذا، فقد يصبح شبيهاً بعض الشيء بالفندق الذي يقع بجانب فندق هنري فورد... قد أشير بذلك على دانيل وقد يستقبل ما أقوله بازدراء، ولكن سوف يكون بإمكاننا حينئذ أن نتحدث معاً... أو قد يكون بإمكاننا أن نتحدث عن ويليامسبرغ، وكيف أن المكان لم يكن قد أعجبهما . واستمرت تلك الأفكار تتدافع في ذهنها كانت منطقة ويليامسبرغ المكان الذي أمضينا فيه رحلة شهر العسل لكن مّي كانت قد أدركت بعد ذلك بسرعة بأنها لم تَعد تَأبه لذلك الاتجاه من

التفكير، وبأنها لم تَعد تَأبه أيضاً حتى بما سوف يكون عليه ردّ دانيال على ما ستقوله...

ولم تكن ماي بتلك الأحاديث الخيالية مع دانيل قد تحدثت مُطلقاً عن مركبة الجليد، إلا أنها كانت قد بدأت بالتدريج تشعر بنفور نحو ذلك الرجل العالِم التّحيلِ المريض الذي كان مرضه وطلبه للعلم قد اغتصب مكانـتها في حياته، إلا أن ذلك النفور لم يكن نفوراً شديداً. لم يكن اكتشافها لذلك، وهو ما حدث في يوم عيد الميلاد بالذات،قد تسبّب لها بالدّهشة، وإنما كان لإدراكها ذلك وَقعه الأشبه بالثقل الكبير على كاهلها، وكانت بذات الوقت قد بدأت تُفكر بتلك المركبة الجليدية، وتربط ما بينها وبين الرائحة التي كانت تنبعث من الحظيرة في الأيام الرطبة. خطر ببالها بأن تلك الرائحة ربما كانت تنبعث من ذات الحيوانات التي كانت في تلك الحظيرة، وبأن رائحتها كانت قد انتشرت بين القطع الخشبية، وبأن هذا البيت كان من زمن بعيد مُفعماً بالحياة ،وبأن الأرضَ التي تقع خلف الحظيرة مباشرة، هي كما يقول الجميع، أرضٌ غنيةٌ جداً بسبب مُخلفات تلك الخيول، على الرغم من أنه لم يعد في الحظيرة أية خيول في ذلك المكان منذ حوالي الخمسين عاماً. لكن مّي كانت قد أدركت أيضاً ،في الوقت الذي كانت فيه تفكّر بتلك التربة التي كانت سابقاً تتلهف للمسها بأصابعها، بأنها لم تعد تنتظر قدوم الربيع بتلك اللهفة، وبأنها لم تعد ترغب حتى بزراعة الحديقة، وبأنها لم تعد ترغب بتفريع الأغصان ،. كما وجدت بأنها لم تعد ترغب حتى برؤية البحر من جديد أو برؤية الأطفال أو الصور التي كانت تحبها، وبأنها لم تعد ترغب حتى بالنظر إلى وجهها في يوم سعيد... كانت مّي قد شعرت لمدة لم تتجاوز الدقيقة أو الدقيقتين بأنها فُتنت (سُلب لبّها) بذلك الوضع من عدم الرغبة بأي شيء، لكنها كانت قد تخلّصت بسرعة من حالة الزهد التي انتابتها... كانت تعلم بأنها لم تكن حقيقية، وبذلك أدركت بأنه لازال لديها بالفعل الكثير من الرغبات... وبأنها ترغب بأن تكون لديها رغبات، وشعرت بأنها بذلك قد وضعت الآن في دوّامة من الأحاسيس ...

ثم خُيّل إليها في تلك اللحظة بالذات، بأن الريح قد حملت إلى مقعد تلك المركبة آخر ورقة من أوراق شجرة الدردار التي كانت إلى جانبها. وخطر ببالها بأن في خشب تلك المركبة التي تقف إلى جانب تلك الشجرة المُفعمة بالحياة، وبأن في تلك الخيول التي قَضت منذ زمن طويل، ما يذكّرها بحياتهما العاطفية وبما تمرّ به من متاعب...

كانت مّي عندما جلسا صباح ذلك اليوم في المطبخ الذي تغمره أشعة الشمس، قد بدأت تتحدث ، ولكن ليس كما لو أنها كانت تتحدث مع دانيل، وإنما وكأنها تتحدث مع مركبة الجليد، مع قطرات المياه المُتجمدة، مع الظلام، ومع أشجار السنديان الساكنة وقالت:

"أتساءل فيما إذا كان من عادتهم في مثل هذا اليوم نقل راعي الأبرشية إلى منزله بعد الغداء بواسطة هذه العربة."

لم يقل دانيل شيئاً وإنما كان كل ما فعله أنه قد ألقى نظرة خالية من أي تعبير إلى المياه المتراكمة إلى جانب البئر . وكانت قد مرّت أمامهما في تلك اللحظة، عربة يجرّها اثنان من الثيران، على قرونهما الأجراس، كانت

تلك الساعة ساعة مرورهما اليومي أمام المنزل، وهما ينقلان رجلاً مُسناً يرتدي قبعة من الفراء وبرفقته سيدة مُسنة، إلى وِجهة غير مُحدّدة. أصغى دانيل ومّي إلى صوت الأجراس ثم قال دانيل فجأة وبتوتر غير مُتوقّع :

"ما الذي كنت قد قلتِهِ للتو؟"

قالت مّي "لاشيء" ثم قالت بعد فترة من الصمت :

"أتوقع أن يكون الطقس جميلاً جداً اليوم في جامايكا بوند."

استدار إليها دانيل فجأة، ضرب بقبضته بعنف على الطاولة وقال :

"لم أسأل عن ذلك!" ثم توهّج خداه النحيلان وبدأت أنفاسه تتلاحق وقال:

"أنت تحاولين أن تجعليني أمرض من جديد. كانت جامايكا بوند رائعة بالنسبة إليك عندما كنتُ غائباً، أليس كذلك؟"

قالت مّي "أووه، لا، لا، كلا دانيل، بل كانت عبارة عن جحيم!"

"فإذن، لابد أنه المكان الذي يرمز إلى الجنة بالنسبة إليكِ. أليس كذلك؟"

ثم ابتسم ابتسامة الأستاذ الذي أمسك بطالب كان يغش في الامتحان .

قالت مّي بصوت يَنطق بالمرارة " الجنة!..."

صاح بها دانيل " لِم تبقين هنا إذن ؟"

كان بذلك كأنه قد وضعها في مأزق رخيص، محزن ،دقيق، وجائر... ولم تجبه مّي .

ثم قال لها دانيل بعد لحظات "يبدو أن لديك شيئاً لم تُعلميني به."

قالت مّي وقد بدأت على الفور تنتحب في الجانب الآخر من الطاولة:

"سبق وقلت لي ذلك، ما الذي عليّ أن أعلمك به؟ وما الذي فعلته؟"

نظر إليها دانيل دون شفقة ودون أن يتأثّر بدموعها، ولكن أيضاً دون احتقارٍ وقال:

"لست أدري، ولكن لابد وأنكَ كنت قد فعلتِ شيئاً ما."

كان ذلك كما لو أنها كانت تبحث بصعوبة في خزائن تعود لشخص آخر أو في أدراج أحد المكاتب، عن شيء لم يتمّ إعلامها بماهيته، ولم يكن بإمكانها العثور في أيّ مكان على ذلك الإثم الكبير الذي ارتكبَتْه.

ثم سألته بلطف فيما إذا كان يرغب بالمزيد من القهوة، لكنه رفض ذلك بشكل قطعي وقال بحزم:

"ألن تُعلميني لِم تحاولين مُضايقتي باستمرار؟ هل هذا نوع من الضغط ؟ أليس بإمكانك السّيطرة على نفسك؟ هل جننتِ؟"

وكانت مّي منذ ذلك اليوم قد بدأت تشعر بنوع من الاضطراب في وحدتها تلك. كانت بين حين وآخر ترفع رأسها عن كتابها لكي تتأكّد من أنّ مدخنة المدفأة مُستوية، أو لكي تُنصت إلى صوت جُرذ يُجدد حِجره داخل المنزل، أو لكي ترقب الثّيران التي تمرّ إلى جانب المنزل.

كانت ترعى جرحها وتحتضنه، وهي تسترجع في مُخيلتها كلماته الرهيبة بالطريقة التي كان قد تفوّه بها تماماً، وتستعيد من جديد شكل شفتيه النَضبتين ونظرة عينيه الثاقبتين اللامعتين. ..

لم يعد بإمكان مّي بعد ذلك أن تقرأ لمدّة طويلة في أي وقت ولم يعد بإمكانها حتى أن تحيك.، كما لم تَعد تهتمّ كثيراً بالتخطيط لإجراء التعديلات في منزلها. كانت تنوي سابقاً طلاء الأرضيّات لكي تظهر الألواح الخشبيّة العريضة .، وكانت تتخيّل الشكل الذي سوف تبدو عليه نوافذ غرفة الجلوس الواسعة عندما ستتدلى عليها تلك الستائر المخمليّة الصّفراء في الربيع. أما الآن، وقد تدرّبت على الصّمت وعلى عدم الاكتراث، فلم تعد تهتم بإجراء أية إصلاحات. ،فقد اعتادت على الأضرار التي سببتها الرياح والثلوج، كما أصبحت، كما يفعل دانيال، تنظر دون نفور إلى ورق الجدران القديمة القذرة، وإلى أرضية المطبخ المتآكلة...

وكانت مّي قد أدركت ذات يوم بأن تلك المركبة الجليدية سوف تبقى مكانها طوال الفترة التي سوف يمضيانها في ذلك المكان .، وكانت حتى مع كل تلك الأفكار التي كانت تدور في ذهنها ، تعود دوماً في أعماقها إلى الإهانة القاتلة التي وجهها إليها دانيل عندما سألها فيما إذا كانت ستصاب بالجنون.

لكنها كانت فيما بعد قد ردّت إليه تلك الإهانة، فعندما كان دانيال يختلي في مكتبه في أصيل تلك الأيام المُظلمة ، دون أن يصدر عنه أي صوتٍ تقريباً، ماعدا عندما كان يُضيف الحطب إلى المدفأة أو عندما كان يمشي قليلاً مُستغرقاً في أفكاره، كانت مّي تجلس أمام طاولة المطبخ وتنظر إلى مركبة الجليد. وكان ردّها للإهانة التي وجهها إليه دانيل بأن تخيّلت بأن لديها بالفعل عشيق. لم تكن تتخيّل شكل وجهه، لكنها كانت تتخيّل شكل ملابسه التي سوف تكون باهظة الثمن تنم عن ذوقٍ رفيع، وتتخيّل طريقة تصرّفه التي لابد وأن تكون لطيفة بحيث يستبق تنفيذ أية رغبةٍ قد تُبديها، وحديثه الرائع، وأسلوب تودّده إليها الذي يجب أن يبدأ في اللحظة التي سوف ينظر فيها إلى العربة الجليدية ويقول: "عليّ أن أتخلّص من تلك المركبة على الفور لأجلك..."

قد تكون أرملة، أو مُطلقة، أو قد تكون ترتكب الفاحشة.، فمن المؤكد بأنه لا حاجة للتحديد في مثل تلك العلاقة المأمونة شرعاً...

ولا حاجة للقول بأن مّي كانت قد وصلت إلى ذلك الحدّ، وبأنها كانت قد وصلت أيضاً إلى أنها لم تعد تعتقد فقط بأن لديها عشيق، وإنما كانت قد بدأت تحب ذلك العشيق وتعتمد كلياً على رفقته...

كانت تشكو إليه من دانيل وكان يواسيها. كانت تروي له القصص عن فترة مراهقتها، عندما كانت تذهب بكل بهجة إلى الحفلات، يرافقها فِتيان من مثل سنها. كانت أحياناً تُبهره بما تُبديه من تعليقات حكيمة

عما تقرأه في الكتب.، وبذلك كان الأمر قد أصبح أشبه بالحقيقة، مما جعلها عندما كانت تُحدّق طويلاً بتلك المركبة، تَضعف وتشعر بالحرمان.

كانت مّي في كثير من الأحيان تشعر بأن عليها أن تتوخى الحذر، ذلك لأن ما تقوم به واجبات منزلية من تحضير الطعام ومن غسيل الصحون وشراء ما يلزم من أغراض من مخزن القرية الكبير، من شأنه أن يقود المرء إلى الجنون. وكانت تعود بذاكرتها دوماً إلى ذلك السؤال الذي وجهه إليها دانيل وكأنه يشحذ طرف الموسى هل جننت ؟. لم يعد بإمكانها أن تضع حدّاً لتلك الأفكار الغريبة، حتى أنها كانت ترتجف وهي تشتري الخضار من المتجر ، لأنها كانت تخشى أن يتمكن الرجال العجائز الذين يُمضون أوقاتهم بجانب الموقد من الكشف عما تحمله على كاهلها من كابوس الخطايا.، كما لم يكن بإمكانها أن تتجنّب مثل تلك الأفكار التي كانت تتدافع في ذهنها أحياناً أثناء تناولها الشاي مع إحدى العجائز المُحافِظات في الجوار، مما كان يجعلها تنسحب في منتصف الحديث ا لكي تبحث عن عشيقها.، عشيقها الذي كان يأتي إليها دوماً بيدين ممدودتين دون أن يكون لوجهه أية معالم ... كانت تتباطأ في تناول أطباق الكعك وفي الإصغاء إلى الأحاديث العادية، لكي تؤخر عودتها إلى المنزل وإلى دانيل الذي كانت تخونه باستمرار.

ولم تكن فترة طويلة قد مرّت على إدراك مّي لما تشعر به من ذلك الحب ،إلا وكانت قد بدأت تستيقظ يومياً حتى قبل الفجر، لكي تقوم بأداء كل ما عليها فعله، وهي تَرقب علامات تقدّم السن وغرابة أطوار زوجها. ثم تقوم لكي تشعره بالإذلال ـ كما كانت تعتقد ـ بمقارنته في ذهنها في كل شيء، بذلك الرجل الذي أصبحت تعتقد لها بأنها كانت دوماً قد أحبته وبذلك القدر من الحرارة.

كانت مّي عندما قبّلها دانيل ذات مرّة ، وهو في مزاج نادراً ما يكون فيه، قد تراجعت لا إرادياً إلى الوراء، وكان قد قال لها بلطف:

"عزيزتي البائسة، بودّي أن أعرف ما الذي فعلتِهِ أثناء غيابي في المصحة ؟" كان يبدو كما لو أنه يقرأ الكلمات المكتوبة على سِمات وجهها.

قالت له برهبة "سبق وقلت لي بأنك تعرف كل شيء."

قال "نعم أعرف ذلك."

ثم قالت وقد اضطربت وارتفعت نبرة صوتها:

"فلِم تودّ إذن معرفة ذلك، أنت بالفعل لا تتحدث بمنطق سليم!"

قال بحزم " بل أنا أتحدث دوماً بمنطق سليم، لكنك أنت التي تتحدثين بموارية."

ثم قال لها بتجرّد " لكنني كنت أودّ معرفة دافعك لذلك."

شعرت مّي حينئذ لدقيقة بأنهما عبارة عن مَهووسَين يُجيب كل منهما الآخر على أسئلة لم يتم طرحها، دون أن يتطرقا إلى الموضوع الأساسي ، لأنهما فعلياً لا يعرفان ما هو الأمر الذي يتحدثان عنه. لكن دانيل كان قد ستدار إليها في اللحظة التالية بشكل عفوي وأخذ رأسها بين يديه وقال أشبه بوالدٍ مُتسامح:

"أنا أسامحك، حبيبتي. أنت لا تعرفين كم تتسبّبين هكذا في تعذيبي، لا أحد يعرف ما هو المرض سوى الشخص الذي يُعاني منه."

وكانت مّي قد أدركت مرّة أخرى، بكل قنوط، بأنهما لم يكونا متوافقَين حتى في شجاراتهما.

ثم حلّت أيام الشتاء وانتهت.، وكان دانيل في كل يوم من تلك الأيام ، بعد تناولهما طعام الإفطار وبعد مرور الثيران، يتهمها بذنبها الخَفي... لم يعد بإمكانها أن تُنكر بأنها مُذنبة لأنها كانت عاشقة، ولأنها كانت تشعر بالمواربة في صوتها وبحرارة الإثم في عروقها، وكان دانيل أيضاً يشعر بذلك ويرقبها بصمت.

كانت مّي عندما تكون بمفردها تشعر بأن وجود حبيبها يحميها ـ وبأنه يحميها عندما كانت تمشي بمفردها وتمر إلى جانب القمم الجليدية حيث تتدلى خيوط الجليد بين الأغصان الصغيرة، أو عندما كانت تمشي إلى جانب ضفاف النهر حيث تختفي المياه الداكنة تحت طبقة الجليد . وكانت عندما تصعد الهضبة في طريق عودتها من المتجر بعد الغسق، تلتقط أنفاسها على الفور من مشاهدتها عربة الجليد تلك. لكن ذلك المخلوق كان أحياناً يسخر منها، عندما كانت ترتعد لشدة خوفها من عواقب ذنبها ثم تركض إلى السلالم وإلى غرفة دانيل لكي تلتجئ برأسها على كتفه وتقول له وهي تبكي:

"دانيل ! تعال إلى الطابق السفلي!... أنا أشعر بالوحدة... أرجوك، تعال معي إلى الطابق السفلي!..."

لكن دانيل لم يكن يستجيب لها أبداً، وبذلك وكانت بعد أن تكون قد هدأت من تأثير نظرته الهادئة المتسائلة، تعود لكي تقف بمفردها أمام نافذة المطبخ، نصف مُختفية وراء الستائر بحياء.

هكذا كانت مّي قد عاشت لأشهر مع خُزيها اليومي، لاهثة، خجلة ومتمسّكة بسرّها الخيالي بعناد. لكنها كانت تشعر أكثر فأكثر بالخوف عندما كان دانيل يقول لها مراراً وتكراراً "لِم تكذبين علي؟ ما الذي يعنيه هذا المزاج الذي أنت فيه؟"

لم تعد تتمكن من النوم، وكانت أثناء تلك الليالي السوداء تستلقي إلى جانب دانيل جامدة، وهو نائم، وتُحدّق في السقف المُضاء بانعكاس لون الثلج الأبيض وهي تحاول عدم التفكير بمركبة الجليد التي تقف في الخارج تحت شجرة الدردار.. ولم يكن بإمكانها التفكير سوى بدانيل وبذلك الرجل، عشيقها الذي يرتبط بشكل ما بتلك العربة. وكانت تُحدث نفسها وهي تُنصت إلى أنفاسه :

لو أنني اعترفت لدانيل، فسوف يتفهم الأمر، سوف يعرف بأنني كنت وحيدة، وسوف يواسيني بالقول" أنا هنا، مّي، ولن أتركك وحيدة من جديد..."

وفي تلك الأوقات، التي كانت فيها مّي مُنفصلة تماماً عن العالم، والتي كانت خلالها قد ابتعدت أيضاً إلى

حدّ كبير عن لمسة دانيل وعن صوته، والتي كانت خلالها وحيدة إلى الحدّ الذي جعلها تُناشد رفقة شخص غريب.، كان دانيل الذي لم يكن لديه أي شعور بالذنب من شأنه أن يقضّ مضجعه ، ينام بعمق . كان بالفعل ينام جيّداً إلى الحدّ الذي جعله لا يسمع حتى صوت تصريف المياه في القنوات أثناء الليالي التي تتساقط فيها الثلوج فوق الهضبة، ولا صوت اندفاع الثلوج من الطريق ، التي كانت تُنذر باقترابها بأضواء حمراء اللون تكون في البداية حمراء اللون ثم تصبح أضواء زرقاء اللون ، تلك الثلوج التي كانت عندما تمرّ ببيتهم تتراشق وتتطاير وتتوهّج أشبه باللهب. كانت مّي تُصغي طوال الليل إلى صوت السناجب التي تجمع البندق في زوايا الجدران، وإلى صوت الصّرير والقعقعة الخفيفة لريح المنزل الشريرة على السّلالم وفي العلّية.

ومع بداية الربيع، عندما كانت الطيور اللّيلية الآكلة للحشرات تبحث عن طعامها في أعشاب البرك وقصب المستنقعات، وعندما بدأت الأنوار الشّمالية تتلألأ على البحيرة وعلى أمواج النهر، وعندما أصبحت النجوم كبيرة وبدأت أوراق الكرمة تتفتّح، كانت مّي تأوي إلى فراشها بشكلٍ متأخّر، وكانت كلّ ليلةٍ تجلس على السلم الخلفي للمنزل تنتظر وتُصغي إلى نباحِ أحد الكلاب التي تبحث عن مأوى، أو إلى صرخةِ عقاب بحريّ.، وكانت ليلة بعد ليلة تنتظر حلول موعد ولادتها من جديد، في الوقت الذي كان فيه دانيل، الذي كان قد تحدث معها بتسامح عن سهراتها الليلية، ينام وقد احتفظ بمعرفته لها لنفسه، بعد أن قال لها بتجهّم واستغراق لدى ملاحظته عادتها الجديدة تلك "هذه إحدى العلامات... لندع الأمر يأخذ مجراه... وقد يكون بإمكانك عندما سينتهي أن تدركي السّبب الذي يجعلك تُعذبيني بتلك الهواجس وسوف تتوقفي حينئذ عن ذلك... أتعلمين، قد يكون لديك بالفعل بعض الاضطراب الذهني، ليس هذا بالأمر المخجل، بإمكانك الذهاب إلى المصحّة..."

وكانت مّي ذات ليلة كانت وهي تنظر من النافذة قد شاهدت بوضوح حبيبها المزعوم الخيالي كان جالساً على مركبة الجليد.، وقد وضع يده فوق عينيه وغطّى ذقنه بوشاح حريري أحمر. كان أشقر الشعر ولم يكن يضع قبعة على رأسه . كان طويل القامة بحيث تصل ساقاه الطويلتان إلى لوح الأرضية. كان أصغر سناً مما تخيلته، لكنه كان يبدو واهناً بذلك الشحوب الذي يبدو على جبينه العالي الذكي. كان مظهره العام يوحي بنوع من وهن الإعاقة، وكان يرتدي سترة بيضاء وقميصاً رمادياً، وفي حجره برعم ورد أصفر اللون. ولم يكن يبدو من جيلها رغم أنه كان صغير السن، وإنما كان يبدو على الأصحّ وكأنه استنسخ من شخصية أحد الأعمام الذين عاشوا منذ خمسين عاماً. لم تتحرك مّي إلى أن اختفى. وعلى الرغم من أنها أدركت في حينه بأنها ربما قد أصيبت بمسّ من الشيطان، لكن الإحساس الوحيد الذي كان قد تولّد لديها كان الحياء الممتزج بالريبة، فلم تكن متأكدة من أن ذلك الشخص هو الشخص الذي أحبها.

نامت مّي قليلاً في تلك الليلة. كانت مستلقية بجانب دانيل الذي كان يبتسم في ضوء القمر . كان بإمكانها أن تقول بأن نومها في تلك الليلة كان بثقل غيبوبة المرض، وبأنها شعرت في اللحظة بأنها قد تخطّت الواقع.

كانت تشعر بأنها مع حبيبها في زورق طويل على مرج من الزنبق المائي كانت مضطربة لشدة خوفها من أن

ينقلب الزورق، لكنها كانت في ذات الوقت مفتونة بذكائه وبالطريقة التي كان يلمس بها كتفها برفق بذلك المجداف اللامع.

"مّي؟ مّي؟ أنا أحبك، مّي!.."

ثم سمعت صوتها تقول بجذل "وأنا أيضاً أحبك!"

"ها قد انتهى الشتاء مّي. يجب أن تُسامحي هلوسة رجل مريض."

استيقظت مّي لكي ترى وجه دانيل الجميل الشاحب. كان يُحدثها وقد انحنى عليها. فكّرت:

"هو رجل مريض وعجوز!" لكنها قالت له من خلال دموعها، لكي تخدعه للمرة الأخيرة:

"أووه... شكراً لله، دانيل!"

كان يشعر بالبرد وبالضعف، وطلب منها أن تُعدّ له فنجاناً من الشاي قبل أن تغادر الغرفة، ثم قبّل يديها وذراعيها وهو يقول:

"مّي، لا تتركيني أبداً لو حدث ومرضت من جديد ..."

وكانت مّي بعد ذلك وهي بمفردها في الطابق السفلي، وفي ذلك المطبخ البارد، في الظلال التي تسبق بزوغ الفجر، قد شعرت برعشةٍ تسري في عروقها. قالت بصوت مرتفع على الرغم من أنها لم تكن تأبه بذلك:

"تُرى كم الساعة الآن؟"

ثم بدأت تتذكر، دون أي سبب، اليوم الذي كانت تقف فيه مع دانيل في الفناء خلال شهر تشرين الأول (أكتوبر) وهي تتساءل فيما إذا كان عليهم أن يُغطّوا المداخن التي لن تُستعمَل. وكيف أن دانيل كان قد قرّر ألا يتم ذلك وبأنه كان قد قال أيضاً:

"آمل ألا يقع في هذه المداخن أي طير."

وبأنها كانت قد أجابته " كنت أعتقد بأن جميع الطيور غادرت في مثل هذا الوقت إلى الجنوب."

وكان قد أجابها بصوت لا يخلو من اللوم والغموض:

"لكن الزرازير لابدّ أن تبقى."

ثم تذكّرت، ودون داعٍ أيضاً عندما كانت ذات مرّة قد دخلت إلى البيت مسرعة وهي تقول بكل فخر وحماس "شاهدت قاقماً. كان يمشي بكل توازن وبشكل عجيب ، وقد تركني أرقبه قليلاً."

وبأنه قال لها جازماً "لا يوجد هنا أية قماقم."

لم تكن قد اعترضت حينذاك، لكنها كانت قد تنهدت كما تنهدت الآن أيضاً ثم التفتت إلى النافذة. كانت مركبة الجليد متوقفة هناك تبدو باهتة في ذلك الضوء ولم يكن بداخلها أحد... كما لم يكن بداخلها أيضاً أحد منذ سنوات طويلة... وفي تلك اللحظة، كان هرّ الحداد قد مرّ باحتراس عبر الحقل النّدي، تسلّق المركبة وكأن ذلك بموجب خطة دقيقة، ثم التف حول نفسه وجلس في مقعد المركبة.

وضعت مّي المزيد من الخشب في الموقد ونظرت إلى النار وهي تُضرم. كانت تفكّر بالبرد والرطوبة وبرائحة الخيول. لم تغادر، وإنما وقفت هناك تُمسك بيدها القضيب وتستند إليه كما لو أنه كان مظلّة.، ليس لديها أي مكان دافئ قد تستطيع الذهاب إليه. ثم تساءلت وهي تنتحب وهي تُحرك القضيب لإذكاء النار في الموقد وتضرب به قدم الأسد في الموقد الخالي من النار وتنتحب بصوت مُنكسر :

"كم الساعة الآن؟"

كانت في تلك اللحظة قد أدركت بأنه لن يحدث أي تغيير في حياتها بعد الآن، وبأنها لن ترى حبيبها المجهول مرة أخرى. خرجت من المنزل وهي في غاية الاضطراب ومشت إلى قرب مركبة الجليد أشبه بفتاة يتيمة في سجن مُنعزل. كان هرّ الحداد الذي ربض على المقعد بهدوء دون أي وجل قد تمدّد وعدّل جلسته. جلست مّي بجانبه ووضعت يديها على حجرها، وهي تتساءل مراراً وتكراراً " تُرى كيف سوف يكون بإمكانها أن تستمر بالعيش بقية حياتها..."

المعطف

The overcoat

للكاتبة سالي بينسون

كان الجو في "نادي الميليجان" مزدحماً صاخباً، وكانت السيدة بيشوب قد تناولت الكثير من الشطائر ومن الكعكات المُثلّجة، وبذلك كانت قد شعرت بالانتعاش عندما خرجت إلى الهواء الطلق في الشارع ، رغم برودة ورطوبة الطقس. لكنها عندما أخرجت محفظة نقودها من حقيبتها، وهي لاتزال في مدخل المبنى وأحصت ما تحتويه من نقود تبيّن لها بأن كل ما فيها هو سبعة وثمانون سنتاً ، وبأنها بهذا المبلغ لن تتمكن من أن تستقلّ سيارة تاكسي من الشارع العاشر وحتى الشارع الثالث والسبعين...

أخذت تُفكّر بأن من البغيض ألا تجد دوماً في محفظة نقودها ما يكفي من المال، وكيف أن كان عليها في كثير من الأحيان أن تنسحب من لعبة البريدج عندما تخسر في اللعب، وهو ما كان يجعلها دوماً تشعر بالارتباك، رغم أنها كانت تتدبر الأمور بشكل جيّد. لكنها كانت تشعر أيضاً بالاستياء من "ليلي هاردي" التي تقول دوماً :

"هل بإمكان أحداكن أن تصرف لي عشرة دولارات؟" ولأن بإمكان ليلي هاردي أن تُخرج من حقيبتها الصغيرة ورقة نقدية من فئة العشر دولارات، في الوقت الذي تبحث فيه النساء الأخريات في محفظة نقودهن عن بعض القطع النقدية الصغيرة...

ثم وجدت بأن الوقت أصبح متأخراً لكي يكون بإمكانها أن تستقّل الحافلة، لذا ربما كان من الأفضل أن تتوجّه إلى قطار الأنفاق، رغم أن الجو الخانق هناك سوف يتسبب لها بالصداع. كانت قطرات من رذاذ المطر الخفيف تتساقط وكانت الأرصفة رطبة. شعرت السيدة بيشوب بالأسف الشديد وهي تقف في الزاوية بانتظار تغيير أضواء إشارة المرور، وتذكّرت كيف كانت تتوهم عندما كانت فتاة شابة ، بأنها سوف تحصل على الكثير من المال عندما تكبر. وكيف كانت تُخطّط لما ستفعله بتلك الأموال وبتلك الملابس التي سوف تشتريها، وكيف سوف تكون نوعية المفروشات في سيارتها...

يتحدث الجميع هذه الأيام بالطبع عن الفقر، وبأنه ليس هناك سوى قدر قليل جداً من وسائل الرفاهية. ولكن هناك فارق بين أن تخسر أموالك وبين ألا يكون لديك في محفظة نقودك أية أموال على الإطلاق... ومع ذلك فمن المنافي للعقل أن يتجوّل المرء وليس في محفظة نقوده سوى ما هو أقل من الدولار. لنفترض بأن شيئاً ما قد حدث لها ؟ كانت أفكارها مبهمة بعض الشيء حول ما قد يحدث، لكن تلك الفكرة كانت قد زادت من استيائها، فهي تُنفق كل شيء لتأمين احتياجات المنزل، كالأكل وبقية اللوازم...

كان روبرت في السنوات السابقة، يتدبر لها بعض الدخل، لكنهما تخليا عن ذلك من زمن بعيد. ومع ذلك هناك دوماً على ما يبدو بعض المال لدى روبرت ، فهي عندما كانت تطلب منه في السابق خمسة أو عشرة

دولارات، كان يتدبر لها دوماً ما تريده... فكّرت، هكذا هم الرجال!.. هم يتدبرون دوماً أمر الاحتفاظ ببعض الأموال في جيوبهم، لكنهم لا يشعرون فيما إذا كنت تحتاج إلى بعض المال. حسناً، يجب أن تطلب منه بعض المُخصصات الإضافية، وبذلك سوف تعرف على الأقل أين تقف.، وعندما قرّرت ذلك كانت الأمور قد بدت لها أكثر بساطة ، وبذلك بدأت تمشي بسرعة أكبر.

توقفت على الرصيف بانتظار قطار الأنفاق .كان الهواء أسوأ من المعتاد، وكان الأشخاص الذين يستلّقون القطارات السريعة يتدافعون فيما بينهم. شعرت بالتعب وكانت ترغب بالجلوس. وكانت عندما جاء القطار قد اتخذت لنفسها مقعداً بالقرب من الباب. وعلى الرغم من أن وجهها كان ينطق بالتمرّد إلا أن ذات التعبير الفارغ الذي كان مرتسماً على وجوه غيرها من الركاب كان قد ارتسم على وجهها . وكان قد صعد إلى القطار في موقف الشارع الثامن عشر عدد أكبر من الركاب، وبذلك وجدت بأن نظرها قد احُتجب برجل كان قد صعد إلى القطار وتعلّق بالحزام الذي كان بمواجهتها. كان ذلك الرجل طويل القامة نحيل القوام، وكان معطفه يتدلى بإهمال على كتفيه ويتأرجح مع حركة القطار، تفوح منه رائحة الصوف الرطب وكانت أزرار المعطف من جلد مزيّف. لاحظت السيدة بيشوب بأن أحد أزرار المعطف من الجهة التي بمواجهتها يبدو كأنه كان قد قُطع ثم أعيدت خياطته بخيط أسود اللون لا يتناسب مطلقاً مع لون المعطف.

كان ذلك المعطف من النوع الذي يُعرف بمعطف الشخص االأنيق، رغم أنه لم يعد فيه الوقت الحاضر ما يمكن أن يشعر به المرء بالخيلاء. كان أحد الأكمام، التي بإمكانها أن تراها من مكان جلوسها، مهترئاً تقريباً حول طرف الثنية. وكانت هناك قطعة ممزقة من البطانة تتدلى منه على يدّ الرجل. وجدت السيدة بيشوب نفسها تنظر إلى يده بإمعان. كانت تلك اليد طويلة وشاحبة ولم تكن نظيفة تماماً. كانت الأظافر قصيرة جداً كما لو أنها قد قُضمت.، وكان على إصبع البنصر، جزء مُتصلّب من الجلد لابد وأنه من أثر استخدام الأقلام. صنفته السيدة بيشوب، التي كانت تفتخر بقوة ملاحظتها، من نوعية الرجال ذوي الياقات البيضاء. حدّثت نفسها" لابد بأنه أبٌ لعائلة كبيرة، ولابد أنه يلاقي بعض الصعوبات في إرسال أولاده إلى المدرسة. كما أنه دون شك لا ينفق المال على نفسه على الإطلاق، وهذا ما يفسّر النوعية الرخيصة للمعطف الذي يرتديه. ولابد أنه أيضاً يخاف جداً من خسارة عمله، وأن منزله مليء بالضجة، تفوح منه رائحة الطهي."

لم يكن بإمكان السيدة بيشوب أن تُقرّر فيما إذا كانت زوجته امرأة بدينة مُهملة أو أنها امرأة مُقْعَدة. فكل من الأمرين يتناسب تماماً مع وضعه هذا...

شعرت بدفء التعاطف مع الرجل. كان بين الفينة والأخرى يسعل سعالاً خفيفاً، مما زاد من حزنها واهتمامها به. وكان شعور بالحزن اللطيف الرقيق قد انتابها مما جعلها تشعر بالاستسلام للحياة.... قرّرت أن تبتسم له عندما تغادر القطار. قد لاتكون تلك الابتسامة من النوع الذي له فائدته في تقديم المساعدة، لكنها سوف تجعله يشعر على نحو أفضل، لأنه هذا ما سيوضح موقفها تجاهه وبأنها تفهمه وتتعاطف معه...لكن تلك المشاعر كانت قد أصبحت أقلّ حدّة ،عندما وصل القطار إلى الشارع الثاني والسبعين،

بسبب رائحة الصوف الرطب في ذلك الجو المُغلق، وكان امتزاج ذلك بهمومها الخاصّة، قد جعل ابتسامتها تفقد شيئاً من ذلك التعاطف، وكان الرجل عندما منحته تلك الابتسامة قد أشاح بنظره عنها بارتباك.

كانت شقتها دافئة جداً. جعلتها رائحة اللحم المشوي تشعر بالغثيان بعد أن كانت قد تناولت ذلك القدر الكبير من الشاي. كان بإمكانها أن تشاهد خادمتها "مود" في غرفة الطعام، وهي تُعدّ المائدة للعشاء. كانت السيدة بيشوب قد اشترت لها بعض الملابس الأنيقة ولكن لم يكن هناك أي شيءٍ أنيقٍ في "مود" ولم تكن تلك الملابس تناسبها.

كان روبرت مستلقياً على الأريكة في غرفة الجلوس، وقد وضع على عينيه صحيفة المساء لحجب الضوء عنهما. كان قد خلع حذاءه وكان خفّاه الرماديان المصنوعان من اللباد، أصغر من قدميه بحيث تظهر منهما أطراف أصابعه، وكان يبدو مُنهكاً. كان روبرت، قبل سنوات، في بداية فترة زواجهما، يرتدي أحياناً ملابسه الرسمية قبل تناول العشاء، وكان يعدّ لها المشروب. وبذلك كانت الأمور أكثر بهجة وكانت تبدو تقريباً بالشكل الذي كانت تتخيّله. لم تكن السيدة بيشوب تؤمن بأن بإمكان المرء أن يَدع نفسه يتخاذل ، لذا كانت تجد بأن روبرت قد بدأ يتحولّ نحو الحماقة الصرفة.

شعرت بالكراهية نحوه وهي تنظر إليه مُمدداً هناك بذلك الاستسلام الكامل. كانت تُغبط ليلي هاردي، فعلى الرغم من أن زوجها من النوع السّكّير إلا أنه مع ذلك شخصٌ ذو شأن. شعرت برغبة في أن تمزق تلك الصحيفة عن وجهه لأن غضبها وكراهيتها له كانت أكثر من قدرتها على الاحتمال.

توقفت لدقيقة أمام البوابة وهي تحاول أن تضبط نفسها ثم توجهت نحو النافذة وفتحتها بعنف وقالت:

"يا إلهي، أليس بالإمكان أن يكون هنا بعض الهواء النقي؟"

تحرك روبرت نهض وقال "أهلاً، مولي، هل عدت إلى المنزل؟"

"نعم، ها قد عدت، وبالقطار!"

وكانت في صوتها لهجة تأنيب. ثم جلست على المقعد المقابل له، وبدأت تتحدث بصوت أكثر هدوءاً، بحيث لا يكون بإمكان الخادمة مود أن تسمعها.

قالت "روبرت، كان من البغيض جداً بالفعل أن أعود بواسطة القطار بعد تناول الشاي، وتحت رذاذ الأمطار ، وألا أتمكن من العودة بواسطة التاكسي، فلم يكن لدي في محفظة نقودي سوى سبعة وثمانين سنتاً... نعم سبعة وثمانون سنتاً فقط!..."

قال زوجها " نعم... نعم... هذا ما يدعو للخجل بالفعل ."

ثم وضع يده في جيبه وأخرج منه رزمةً من الأوراق المالية المثنية. وقال "خذي هذه " وناولها إحداها. تبيّن لها بأنها ورقة من فئة الخمسة دولارات.

هزّت السيدة بيشوب رأسها وقالت "لا، لا، روبرت، ليس هذا هو المطلوب، المطلوب هو أنني يجب أن أحصل على مبلغ إضافي، هذا ليس عدلاً!... ليس لدي دوماً ما يكفي من مال وقد أصبح الوضع محرجاً!..."

نظر السيد بيشوب إلى ورقة الخمسة دولارات التي كانت بين أصابعه وقال:

"فهمت. أنت ترغبين في الحصول على مبلغ إضافي. ما الأمر؟ ألست أعطيك كل مرة كل ما تطلبينه مني؟"

أيدت السيدة بيشوب كلامه وقالت :

"حسناً، نعم، ولكن هذا ليس مثل أن يكون لدي المال الخاص بي، سوف يكون المبلغ الإضافي وكأنه خاص بي أكثر."

حاول السيد بيشوب إقناعها بالقول:

" مولي، لو حصلت على هذا المبلغ الإضافي، فسوف تُبددينه على الأرجح قبل العاشر من الشهر."

أجابت "لا تعاملني كما لو أنني لست سوى طفلة صغيرة، ولن أتقبل منك الإهانة بعد الآن."

جلس السيد بيشوب وأخذ يقلّب بين يديه ورقة الخمسة دولارات مرة بعد أخرى ثم سألها "ما هو المبلغ التقريبي الذي تعتقدين بأن عليك أن تحصلي عليه؟"

قالت وكان في صوتها بعض الحدّة والتوتر:

"خمسون دولاراً شهرياً، وهذا أقل ما يمكنني أن أتدبر به نفسي، حتى أن ليلا هاري سوف تسخر من مبلغ الخمسين دولاراً في الشهر."

كرّر السيد بيشوب ما قالته "خمسون دولاراً شهرياً،" ثم سعل قليلاً، بعصبية، وأخذ يُمرّر يده على شعره ثم قال "لدي هذا الشهر الكثير من الأمور التي يجب أن أتدبرها. ولكن، ربما... حسناً... لو كان بإمكانك الانتظار إلى بداية الشهر المقبل، فقد يكون بإمكاني أن أتدبر الأمر."

قالت "أووه ، لابأس سوف يكون الشهر المقبل ممتازاً."

ثم شعرت بأن من الحكمة أن تؤكد على فوزها وبذلك قالت: "ولكن لا تنسى، لأنني لن أنسى."

كانت السيدة بيشوب وهي تتوجه نحو الخزانة لكي تضع فيها أغراضها قد ألقت نظرة على معطف روبرت. كان زوجها عندما دخل إلى المنزل قد ألقاه دون اهتمام على كرسي خلف الباب. كان أحد أكمام معطف روبرت مُتدلياً، وكان يهتز إلى الأمام والخلف مع حركة قدميها على الأرضية. لاحظت بأن طرف الكم كان مهترئاً تقريباً وقد بدا منه جزء من البطانة. كان يشبه بشكلٍ مرعبٍ كُمّ معطف الرجل الذي شاهدته في قطار الأنفاق...

حينئذ شعرت السيدة بيشوب فجأة وهي تحدّق بذلك المعطف، بإحساس مُفزع وبأن قلبها يغوص بين أضلاعها كما لو أنها كانت تحلم....

المرأة الرخامية
The stone woman
للكاتب روبرت بار

لورين فتاة جميلة صغيرة القامة في الثامنة عشر ، كان لها مركزها الجيّد في صيدلية دوسيام الكائنة في شارع سانت اونوريه. لم تكن لورين مسؤولة عن أحد وبذلك كان كل ما تكسبه من عملها خاصاً بها. كانت ملابس لورين من قماش زهيد الثمن لكنها كانت مع ذلك تتصف بالأناقة التي تتميّز بها الباريسيات مما يجعل المرء لايلقي بالاً إلى أن تلك الملابس من النوع الزهيد الثمن وبذلك كان كل من ينظر إليها لابدّ أن يُعجب بها ... كانت لورين مسؤولة الحسابات والمساعدة الأولى في تلك الصيدلية ، وكانت تُقيم في غرفة صغيرة في شارع ليل الذي يقع الطرف الآخر من نهر السين ،. لذا كان عليها أن تعبر النهر مرتين في اليوم مرّة في الصباح عندما تكون الشمس مشرقة ومرّة أخرى عندما يحلّ الظلام وتكون الأنوار المتألقة على طول الشاطئ أشبه بمجوهرات في عقد ترتديه سيدة جميلة.

كانت لورين بعد أن تقطع حدائق التويليري كل صباح مشياً على الأقدام ، تتجه نحو الجسر الملكي ،. لكنها عندما يحلّ الظلام مساءً ، لم تكن تسلك الطريق التي تمرّ عبر تلك الحدائق مساء، وإنما كانت تسلك في طريق عودتها مساء شارع التوليري إلى أن تصل إلى الجسر الملكي.

كانت تلك النزهة الصباحية اليومية مبعثاً للسرور بالنسبة إليها ذلك لأن شارع ليل كان من الشوارع الضيقة ولم يكن مشرقاً ،لذا كانت تشعر بأكثر من البهجة عندما تسير تحت ظلال الأشجار الخضراء وهي تشعر بلمسة الحصى الهشة تحت قدميها، وكانت أحياناً تجلس لفترة قصيرة على طرف بركة النافورة لكي تتأمل التماثيل الرخامية البيضاء التي تلمع تحت أشعة الشمس.

كان التمثال المفضّل لدى لورين تمثال ينتصب على قاعدة إلى جانب شارع ريفولي يُمثّل امرأة جميلة ترتسم على وجهها الرخامي ابتسامة غامضة، تضع إحدى يديها على رأسها . كان لذلك التمثال تأثيره الكبير على لورين ، تأثير أشبه بالسحر، وكانت كلما نظرت إليه تشعر وكأن تلك المرأة تُحيّيها كل صباح وهي في طريقها إلى عملها في تلك المدينة المزدحمة . كما كانت لورين ،عندما لايكون هناك أحد في الحديقة ، وهو الوضع في كثير من الأحيان في ذلك الوقت المُبكّر من الصباح ، تضع قبلة على رؤوس أصابعها وتقذفها على تمثال تلك المرأة، وكانت تشعر بأن المرأة الرخامية تُقابلها دوماً بابتسامتها الغريبة الغامضة تلك ،. وكانت تشعر أيضاً بأن المرأة الرخامية تعرف عن هذا العالم وعن كل عاداته أكثر بكثير منها هي البارسية الصغيرة التي تُحدق بها كل صباح.

كان من الطبيعي أن تكون لورين سعيدة ،. أليست باريس جميلة ؟ أليست الشمس مشرقة دوماً في باريس؟ أليس الهواء صافياً على الدوام؟ فما الذي قد تتمناه فتاة شابة مثلها أكثر من ذلك ؟ ربما... ربما...

كان هناك ينقصها شيء واحد... لكن ذلك الشيء كان قد حدث أخيراً، وبذلك لم تكن هناك فتاة أسعد من لورين في كل باريس.

وكانت لورين في صباح اليوم التالي لذلك الحدث السعيد ، قد كادت تروي لتمثالها المُفضّل تمثال المرأة الرخامية وبأعلى صوتها ما حدث معها . كان قد خيّل إليها بأن الابتسامة المرتسمة على وجه المرأة الرخامية قد أصبحت ذلك الصباح أكثر اتساعاً عما كانت عليه عندما مرت بها صباح اليوم السابق، وبأن المرأة الرخامية قد عرفت سرّها... سرّ المرأة الإنسان وبأنها تعاطفت معها ...

كانت لورين قد لاحظت بأن هناك شاب وسيم نحيل الجسم رياضي المظهر، يحوم حول الصيدلية منذ عدة أيام، وبأنه كان يسترق النظر إليها من حين لآخر. كانت لورين قد شاهدت ذلك لكنها تظاهرت بأنها لم تلحظ وجوده، إلى أن كان قد تبعها ذات ليلة بعد خروجها من الصيدلية وهي تجتاز الجسر ، لكنها كانت قد أسرعت الخطى وبذلك لم يتمكن من اللحاق بها. لم يحاول ذلك الشاب قطّ الدخول إلى الصيدلية ، وإنما ظلّ يتسكع حولها كما لو أنه كان ينتظر أن تتاح لها فرصة التحدث إليها .

لم يكن لدى لورين من تُفضي له بسرها سوى تلك المرأة الرخامية الذي كان يبدو من ابتسامتها بأنها تُدرك كل ما يجري، وبأنه لاحاجة لأن تُحدثها لورين عن ذلك الرجل الذي ليس بإمكانها اجتنابه... وكان ذلك الشاب قد تبعها في الليلة التالية إلى ذلك الجسر، ولم تكن لورين قد سارعت الخطى كما فعلت سابقاً فليس من المفترض أن يتم تقديم الفتيات اللواتي هنّ في مثل سنها إلى مُحبيهم بالطرق العادية وإنما هنّ يعتمدن عادة على لقاء يتم صدفة على الرغم من أن لورين لم تكن تعلم بذلك.

رفع الشاب قبعته بالتحية ووجه إليها الحديث بأن قال:

" عمت مساء سيدتي"

ألقت لورين بحياء نظرة جانبية إلى ذلك الشاب لكنها لم تجبه ، بدأ ذلك الشاب يمشي إلى جانبها ثم قال:

" كنت منذ مدة أرقبك يومياً وأنا أعلم بأنك تسلكين هذه الطريق كل مساء فهل يضايقك ذلك؟"

أجابته بصوت أشبه بالهمس " لا"

ثم سألها " هل بإمكاني أن أرافقك إلى منزلك؟"

أجابته " لا ، وإنما بإمكانك أن ترافقني إلى زاوية شارع دوليل فقط."

شكرها الشاب ثم استأنفا السير معاً إلى مسافة قصيرة وكان بعد أن تمنى لها ليلة سعيدة قد طلب الموافقة على مقابلتها في زاوية شارع سان أونورور لكي يرافقها إلى منزلها في اليوم التالي.

قالت لورين " ولكن لايجوز لك أن تأتي إلى الصيدلية."

أجابها الشاب وهو يهزّ رأسه ويتمنى لها ليلة سعيدة من جديد :" أنا أتفهم ذلك " ثم أعلمها بأن اسمه هو جان دوريه...

ولم يعد ذلك الشاب يُكثر التردد على الصيدلية ، وإنما كان ينتظرها في زاوية الشارع. ثم اصطحبها يوم الأحد في نزهة قصيرة في النهر ، وكانت لورين قد استمتعت بذلك إلى حدّ كبير.

مرّت عدة أيام على هذا المنوال كانت لورين خلالها في غاية السعادة، وكان تمثال المرأة الرخامية لايزال يبتسم لها كل صباح تلك الابتسامة الغامضة .،ولكن كان يُخيل إليها في الأيام التي تكون فيها السماء مُتلبدة بالغيوم بأن هناك شبه تحذير رقيق في تلك الابتسامة.... حدّثت نفسها "ربما كان ذلك لأنهما كانا قد تشاجرا في الليلة الماضية ولأن جان كان قد تصرف تجاهها ليلة الأمس بفظاظة ".

كان ذلك الشاب قد طلب منها أن تجلب له بعض الأشياء من الصيدلية . كان قد دوّن على قطعة من الورق أسماء ثلاثة أنواع من المواد الكيميائية ثم قال لها بعد أن ناولها القائمة:

" بإمكانك الحصول عليها بكل سهولة فهي متوفرة بكثرة في جميع الصيدليات ولن يكون بإمكان أحد أن يشعر بفقدانها ."

وكانت الفتاة قد قالت بفزع " ولكن هذه تعتبر سرقة."

ضحك الشاب وسألها " كم يدفعون لك لقاء عملك هناك؟" وعندما أعلمته بما تحصل عليه من أجر كان قد ضحك من جديد وقال:

" حقاً !.. ليباركك الله لو كنت سأحصل لقاء عملي على ما تحصلين من مثل هذا الأجر الضئيل، لكنت سآخذ يومياً بعض المواد من الرفوف لكي أبيعها لحسابي."

نظرت إليه الفتاة بدهشة وكان بدوره قد غضب منها واستدار على أعقابه وغادر المكان . أسندت لورين يديها على حاجز الجسر وأخذت تنظر إلى مياه النهر ، ذلك النهر الذي كانت مياهه المتدفقة تفتنها أثناء الليل والذي كانت تقف لكي تتأملها عندما تعبر الجسر، ثم بدأت ترتعد وتبكي وهي تسترجع الأسلوب الذي تحدث به إليها، وكيف كان قد تركها وذهب فجأة وهي تتساءل فيما إذا كانت قد تصرفت تجاهه بشكل أخرق ... ثم فكرت :

لم يكن ما طلبه منها كثيراً جداً على كافة الأحوال كما أن ما تحصل عليه في تلك الصيدلية من أجر ضئيل جداً بالفعل ... ربما كان محبوبها فقيراً ... ربما كان بحاجة ماسّة إلى المواد التي طلب منها جلبها له...أو ربما كان مريضاً لكنه لم يرغب بإعلامها بذلك... ثم شعرت فجأة بيد تلمس كتفها وكانت عندما استدارت قد شاهدت جان إلى جانبها وعلى جبينه تلك التقطيبة القاسية.

قال لها فجأة " أعيدي إلي تلك الورقة."

فتحت يدها وكان قد تناول الورقة منها ثم استدار لكي يغادر المكان. لكنها أوقفته وقالت :

" انتظر ! سوف أجلب لك ما طلبته مني لكنني سوف أسدد ثمن تلك المواد بأن أضيفها إلى درج النقود."

توقف وأخذ ينظر إليها ثم قال:

" لورين ! أعتقد أنك لست سوى فتاة صغيرة مخبولة تماماً. إنهم يُدينون لك بالكثير وبأكثر من قيمة هذه المواد. ومع ذلك ... عليّ أن أحصل على هذه المواد."

ثم أعاد إليها تلك الورقة وقال لها مُحذّراً :

" تأكدي بألا يراك أحد ، وتأكدي من جلب الأشياء التي طلبتها بالذات."

وكان بعد أن رافقها إلى زاوية شارع دو ليل قد سألها قبل أن يفترقا " هل أنت غاضبة مني؟"
همست بضعف " سوف أفعل أي شيء لأجلك ."
وكانت لورين في اليوم التالي ، بعد مغادرة مالك الصيدلية ، قد أخذت المواد التي طلبها منها بعد أن غلفتها جيداً .
ثم اعتادت لورين بعد ذلك أن تأخذ له كل ما يطلبه منها من مواد وكانت تُخفيها في السلّة الصغيرة التي تجلب بها وجبة الغداء. لكن مالك الصيدلية كان رجلاً ثاقب النظر وكان يرقب جيداً سير الأمور في صيدليته كما كان يرقب عمل مساعدته الصغيرة الجميلة. لذا سألها ذات يوم:
" لمن تحملين هذا القدر الكبير من كلورات البوتاسيوم؟"
ارتجفت الفتاة وقالت" لابأس، لقد سددت ثمنها بالكامل من مالي."
قال " نعم بالتأكيد ... بالتأكيد ... لم أكن أتوقع أن تأخذيها دون مقابل ولكن من الذي يشتريها منك؟"
أجابت الفتاة وهي لاتزال ترتجف " هو رجل عجوز" لكن المالك لم يلتفت إلى ما قالته وإنما كان قد بدأ يُحصي ما في الدرج من نقود، وبذلك وجد الحساب صحيحاً. ثم قال لها :
" كنت أتساءل عمن قد يحتاج إلى مثل هذه الكمية الكبيرة من المواد...لو عاد ذلك الرجل من جديد عليك أن تنظري إليه جيداً لكي تصفي لي ملامحه يبدو لي هذا الأمر مريباً ."
حملت لورين سلّتها وغادرت الصيدلية لكي تُقابل جان الذي كان بانتظارها في زاوية الشارع ، لكنها كانت تشعر بالكثير من القلق . كان جان بانتظارها في زاوية الشارع بادرها على الفور بالسؤال التالي:
"هل جلبت لي ما طلبته منك من مواد؟"
أجابت " نعم ، ولكن هل ستستلمها مني هنا؟"
أجاب بسرعة " لا ليس هنا ، ليس هنا." ثم سألها بقلق "هل شاهدك أحد وأنت تجلبن لي هذه المواد ؟"
" لا، لكن المالك قد علم بما أحمله في هذه الرزمة لأنه قام اليوم بحساب ما في درج النقود."
سألها " أية نقود؟"
" حسناً ، قيمة هذه الأشياء . أتعتقد بأنني كنت سأسرقها ؟... هل كنت تعتقد ذلك بالفعل ؟"
ضحك الشاب واصطحبها إلى زاوية من حدائق التويلوري ثم قال لها بعد أن استلم منها المواد :
" لن يكون لدي الوقت الكافي لمرافقتك إلى شارع ليل هذه الليلة."
سألته بقلق " لكنك ستأتي كالعادة مساء الغد أليس كذلك؟"
أجابها " بالتأكيد ، بالتأكيد " ثم قام بإخفاء المواد في جيوبه وغادر.
وكانت الفتاة قد انتظرته بصبر نافذ في مساء اليوم التالي في المكان الذي اعتادا التلاقي فيه ، لكنه لم يأت. ظلت واقفة في إحدى الزوايا المُضيئة بحيث يكون بإمكانه أن يشاهدها على الفور. مرّ بها العديد من الأشخاص وهي واقفة هناك وكان كل منهم قد حاول أن يسألها عما تحتاجه لكنها لم تجب أحد ،. وظلت تنظر أمامها وتنتظر قدوم ذلك الشاب ،. إلى أن شاهدت أخيراً رجلاً يركض بسرعة في الشارع ،. وكانت

عندما أصبح على مقربة منها قد عرفت بأنه جان . وبذلك كانت قد توجهت نحوه عندما أصبح على مسافة قريبة وأمسكت بذراعه وصاحت "أنا هنا جان ما الأمر ؟"

لكنه دفعها عنه بعنف وصاح بها " دعيني أذهب أيتها المخبولة !.." لكنها ظلت ممسكة بذراعه إلى أن رفع قبضته وضربها على وجهها . ترنحت لورين واستندت إلى الجدار بينما ركض الشاب هارباً...

كان أحد أولائك الرجال الذين مروا بلورين وهي تنتظر وحاولوا التحدث إليها ، قد استغرب وقوفها بصمت في ذلك المكان ، لذا ظلّ واقفاً إلى جانب الطريق لكي يرقبها ، وبذلك كان عندما شاهد الاعتداء عليها قد أسرع لنجدتها بأن وضع عصاه بين قدمي الرجل الفار مما جعله يسقط على الأرض . ثم أمسك الرجل برقبته بين يديه كما لو أنه كان ممسكاً بعنق ثعبان وصاح به " أنت أيها النذل! كيف تجرأت على ضرب هذه الفتاة ؟"

و كان اثنان من عناصر الشرطة قد قدما إلى المكان بذات الوقت . قال الرجل لهما :

" تجرأ هذا النذل على مهاجمة هذه الفتاة وقد شاهدت ذلك بنفسي."

قال أحد عنصري الشرطة بتجهم كما لو أن الاعتداء على تلك الفتاة لم يكن بتلك الأهمية وبأنه لم يكن سوى هو أمر تافه:

" لقد تجرأ على فعل ما هو أكثر أهمية من ذلك."

ثم قام الضابطان بالقبض على الشاب وكانت الفتاة عندما كانا على وشك اصطحابه معهما، قد اقتربت منهما وقالت بتردد :

" حدث ذلك بالخطأ ... كانت مجرد حادثة ... لم يكن يقصد أن فعل ذلك..."

سألها أحد الضابطين " ألم يكن يقصد أن يفعل ما فعله وكيف عرفت ذلك من فضلك؟"

قال جان وهو يصّر على أسنانه :

" أنت أيتها الشيطانة الصغيرة، كان كل هذا كان بسبب غلطتك."

حينئذ قال أحد الضابطين لزميله :

" أعتقد أن علينا أن نقبض على هذه الفتاة أيضاً ألم تسمع ما قاله؟"

لكن الآخر أجابه " يكفي ما لدينا الآن ... لو عرف الناس من يكون ..."

كانت لورين فكرت في البداية باللحاق بهم ، لكن صدمتها بالكلمات التي وجهها إليها ذلك الشاب الذي كانت قد أحبته ، كانت بالأحرى أشبه بصفعة مؤلمة تلقتها على وجهها ، وبذلك استدارت على أعقابها وتوجهت إلى مسكنها عبر الجسر الملكي يعتصر الأسى قلبها...

ولم تكن لورين صباح اليوم التالي قد توجهت إلى عملها عبر الحديقة كعادتها ، وكانت عندما دخلت إلى الصيدلية

كان المالك قد صاح :

" ها هي الفتاة الثعلبة !.. من كان بإمكانه أن يعرفها على حقيقتها ... أنت أيتها البائسة، هل كنت تسرقين الأدوية من الصيدلية لكي تعطيها لذلك النذل!.."

" قالت لورين بعناد " لم أكن أسرقها ،كنت أسدد قيمتها وأضيفها إلى حصالة النقود."
قال المالك" أتسمعون ها هي تعترف بذلك!.."
ثم تقدم منها ضابطان وقبضا عليها بصفتها شريكة لجان دوريه الذي كان الليلة الماضية قد ألقى قنبلة على حشد في شارع الأوبرا...
لكن القضاة تبيّنوا بعد ذلك بسرعة بأن لورين بريئة وبأنها كانت ضحية لذلك النذل الذي انتحل اسم جان دوريه، وبذلك تم إطلاق سراحها بينما حُكم عليه بالسجن المؤبد، كما كان قد تبيّن للقضاة بأن ذلك الذل الجبان كان قد حاول إلقاء اللوم عليها وإلصاق التهمة بها لكي يحمي امرأة أخرى كانت شريكته، مما جعل قلب لورين ينفطر لشدة الحزن.
كان بإمكان لورين أن تغفر له وأن تُبرّر كل ما فعله لو لم تكن قد أدركت بأنه لم يكن قد اهتم بها قطّ ، وبأنه كان يستغلّها لكي يحصل على المواد الكيميائية لأنه لم يكن يجرؤ على شراءها بنفسه.
وكانت لورين قد غادرت السجن بعد أن ثبتت براءتها وأطلق سراحها . أخذت تمشي تحت رذاذ المطر وهي مُحطمة النفس. لم تكن تمتلك فلساً واحداً بعد أن أنفقت كل ما كانت تكسبه من مال لكي تؤمن لذلك النذل ما كان يطلبه منها يومياً من مواد كيميائية . مرّت إلى جانب الصيدلية دون أن تجرؤ على الدخول إليها ،ثم استأنفت السير على طول شارع ريفولي إلى أن دخلت إلى حديقة التويلوري . كانت قد نسيت كل ما يتعلق بتلك المرأة الرخامية لكن خطواتها قادتها إليها دون أن تشعر. نظرت بدهشة إلى ذلك التمثال. لم يعد تمثالاً لامرأة تبتسم وإنما كان رأسها مَحنياً وكانت مغلقة العينين . كانت تبدو أشبه بنصب مروع يُمثّل الموت. صُدمت تلك الفتاة البائسة بذلك التغيير الذي طرأ على التمثال، ما جعلها تنسى للحظة ذلك الدمار الذي أصاب حياتها، وكانت قد أدركت بأن ذلك الوجه المبتسم لم يكن سوى قناع ... وشعرت بأن الحياة ليست سوى عبارة عن مأساة وعن مسرحية ، وبأن من يشاهد تلك الابتسامة فقط لايكون قد شاهد سوى نصف الوجه الحقيقي للحياة...
أسرعت لورين إلى الجسر وهي تنتحب بصمت . نظرت من الأعلى إلى السلالم التي تقود إلى مياه النهر العميقة الداكنة ... لم يلتفت إليها أي من المارة. تساءلت لِم لم تكن قد شعرت من قبل بأن مياه النهر باردة قاسية وبأنها لا تعرف الرحمة ؟... ولكن لابدّ أنها الملاذ الوحيد لمن ليس لديهم أي ملاذ... وبأنها المُحب الوحيد الذي لا يخون والذي لا يتغيّر... توجهت إلى أعلى حافة تطل على النهر ثم ألقت نظرة على حديقة التويلوري لكنها لم تتمكن من رؤية ذلك التمثال من خلال الأشجار. ثم قالت :
" سوف أكون أنا أيضاً من الآن فصاعداً امرأة رخامية، امرأة متحجرة القلب..."
ثم ألقت بنفسها في عمق المياه...

زواج على الطريقة العصرية
Marriage a la mode
للكاتبة كاترين مانسفيلد

تذكّر ويليم وهو في طريقه إلى المحطة، وقد انتابه شعور مفاجئ من الألم ومن خيبة الأمل، بأنه لا يحمل معه شيئاً للأطفال . يا للصغار المساكين !... من شأن هذا الأمر أن يؤثر بهما جداً. فأول عبارة يقولانها عندما يتراكضان لاستقباله:

"ما الذي تحمله إلينا معك أبي؟" وها هو الآن لا يحمل لهما معه شيئاً... كان بإمكانه أن يشتري لهما من المحطة بعض الحلوى. لكن هذا ما فعله أيام السبت الأربع الماضية، كانت الفرحة قد تلاشت من على وجهيهما في المرّة الأخيرة عندما شاهدا معه ذات العلب التي كان يحملها إليهما في المرات السابقة.

كان بادي قد قال "كان على علبتي في المرة السابقة مثل هذا الشريط الأحمر!"

كما قال جوني " الشريط على علبتي هو دوماً وردي اللون وأنا أكره اللون الوردي."

ولكن ما الذي كان على ويليم أن يفعله حينذاك ؟ ولم يكن الأمر قد سوّي بتلك السهولة.

كان ما يفعله ويليم في الأيام السابقة ، هو أن يستقلّ سيارة تاكسي ويتوجّه إلى مخزن محترم لكي يختار لهما شيئاً ما خلال خمس دقائق. لكن ما لديهما الآن في تلك المخازن هي الألعاب التي تأتي من روسيا أو من فرنسا أو حتى من صربيا، أو أنها تلك الألعاب التي يعلم الله من أين تأتي... وقد مضى أكثر من عام على قيام إيزابيل بالتخلص من جميع تلك الألعاب القديمة، الحمير والقاطرات وغيرها ... وكانت قد قالت حينذاك :

" لمثل هذه الألعاب تأثير سيء على الطفلين ، وسوف تُفسد ذوقيهما. ، فمن الأهمية بمكان ـ كما شرحت إيزابيل الجديدة ـ أن يميل الطفلين منذ البداية إلى الأشياء المُناسبة، لأن في ذلك ما سوف يوفّر عليهما فيما بعد الكثير من الوقت للتعلّم .، ولأن بإمكاننا أن نتوقع بأنهما بعد أن يُمضيا سنوات طفولتهما وهما ينظران إلى هذه الأشياء الشنيعة، فلابد أنهما سوف يطلبا من والديهما عندما ينشآ، اصطحابهما إلى الأكاديمية الملكية."

وكانت تتكلم كما لو أن زيارة الأكاديمية الملكية تعني الموت المفاجئ لأي شخص...

فكّر ويليم باكتئاب وهو يبحث في جيبه عن بعض القطع النقدية الصغيرة لكي يُسدد بها حساب سيارة التاكسي التي كانت تُقلّه " الحلويات... نعم ،لابد أنها الأفضل". ثم تخيّل الأطفال وهم يطوفون بعلب الحلوى على الموجودين . كان أولائك الصغار كرماء دوماً وبشكل مفزع، بينما لا يتردد أصدقاء إيزابيل الأعزاء في خدمة أنفسهم منها ...

حدّث ويليم نفسه "ماذا عن بعض الفاكهة؟" ثم توقف أمام كشك يقع داخل المحطة تماماً وتساءل "ماذا عن بطيخة لكل منهما؟ فهل سيكون عليهما أيضاً مشاركة الآخرين بها أيضاً ؟ أو ربما ثمرة أناناس إلى باد وبطيخة إلى جوني؟" هل سيكون عليهما مشاركتهم بها أيضاً؟ فقد يجد أصدقاء إيزابيل صعوبة في التسلل إلى غرفة نوم الأطفال في أوقات تناولهم وجباتهم. الأمر سواءً... وكان عندما اشترى البطيخة، وكانت قد تراءت له وهو يشتري البطيخة رؤية مزعجة : شاعر شاب من الأشخاص الذين تستقبلهم زوجته، وهو يلّعق قطعة من البطيخة، ولسبب ما ، خلف غرفة نوم الأطفال.

قفز ويليم بسرعة إلى القطار وهو يحمل العلبتين المُربكتين. كان رصيف المحطة مزدحماً، وكانت الأبواب تُفتح وتُغلق، وكان المُحرك يُصدر صريراً مستمراً يجعل الركاب يهتزّون إلى الأمام وإلى الوراء كأنهم مُصابون بالدوار.

توجّه ويليم مباشرة إلى الدرجة الأولى المُخصصة للمدخنين. وبعد أن قام بتنضيد حقيبته و العلب التي يحملها، أخرج من جيبه الداخلي رزمة كبيرة من الأوراق وقبع في الزاوية وبدأ يقرأ:

"علاوة على ما تقدم، فإن زبوننا هذا من النوع الإيجابي... لذا فنحن نميل إلى إعادة النظر... في الأمـر وهذا أفضل..." أعاد ويليم تصفيف شعره المُبعثر ومدّد ساقيه على أرضية العربة. كان الوخز الذي كان يشعر به عادةً في صدره قد هدأ، ثم استمر في القراءة:

"وبالاستناد إلى قرارنا..." أخرج من جيبه قلماً أزرق اللون وبدأ يُؤشّر ببطء على تلك الفقرة.

صعد رجلان إلى القطار، مرّا به ثم توجّها إلى أبعد زاوية في العربة، ثم جاء شاب كان يُؤرجح بيده مَضارب لعبة الغولف، وجلس بمواجهته. تمايل القطار قليلاً، وكانوا قد انطلقوا. رفع ويليم نظره وشاهد المحطة المُضيئة المُتوهجة من شدة الحرّ تختفي من أمام ناظريه. كانت فتاة، ذات وجه أحمر، تتنقّل بسرعة بين العربات وهي تُنادي وتُشير بيديها بأسلوب يوحي بالاضطراب وتقريباً باليأس . وكان عامل بوجه أسود اللون قد ابتسم له عندما مرّ القطار بنهاية رصيف المحطّة، فكّر ويليم "حياة قذرة!..." ثم عاد إلى أوراقه.

وكان عندما رفع بصره من جديد، قد شاهد أمام ناظريه حقول، وحيوانات تبحث عن الظلّ تحت الأشجار الداكنة. كما كان هناك نهر كبير، و أطفال عُراة يتراشقون المياه في المنطقة الضحلة فيه. ثم اختفى كل ذلك عن ناظريه من جديد، وبَدت السماء باهتة، مرّ فيها طائر واحد في العلو كان أشبه بنقطة داكنة في جوهرة.

ثم تردّدت في ذهنه الجملة الأخيرة التي قرأها :

" قمنا بدراسة ملف المراسلات التي تمت مع زبوننا... وبقيت تلك العبارة معلقّة في ذهن ويليم " قمنا بدراسة..." لكن، لا فائدة، كانت تنقطع في منتصفها، وكانت الحقول، والسماء، والطيور المُسافرة، والمياه، جميعها تقول "إيزابيل." وهذا هو ما يحدث له بعد ظهر كل يوم سبت. عندما يكون في طريقه إلى لقاء إيزابيل، حيث تبدأ تلك اللقاءات الخيالية العديدة بالتوارد إلى ذهنه:

إيزابيل الآن بانتظاره في المحطة وهي تقف على مسافة أبعد قليلاً عن جميع الآخرين... هي الآن جالسة في سيارة تكسي مفتوحة الأبواب خارج المحطة... هي الآن أمام سياج الحديقة... هي الآن تمشي على العشب الجاف... هي الآن أمام الباب أو داخل الرواق... ها هي تقول له بصوتها الصافي العذب "هذا ويليم!" أو "أهلاً ويليم!" أو "ها قد جاء ويليم!" وبأنه يلمس يدها الباردة وخدّها البارد. آه.. ما أرقّ تلك العذوبة المُتناهية في إيزابيل!...

كان في طفولته يشعر بالسعادة بأن يركض إلى الحديقة بعد أن تكون قد اغتسلت بماء المطر، وبأن يهزُ شجيرات الورود فتتساقط منها قطرات المطر، وإيزابيل هذه شجرة ورد وبرعم رقيق مُتلألئ ونَدي. أما هو فلازال ذلك الطفل الصغير، ولكن لم يعد هناك الآن أي ركض في الحديقة، ولا ضَحك، ولا اهتزاز لشجيرات الورود....

عاد ذلك الوخز المستمر إلى صدره، لذا سحب ساقيه وقام بطيّ أوراقه وأغمض عينيه.

وأخذ يتذكّر ما حدث ذات مرّة عندما كانا في غرفة نومهما في البيت الجديد حيث كان قد قال لها برقّة:

"ما هذا إيزابيل؟ ما الخطب؟" كانت إيزابيل حينذاك جالسة على كرسي أمام طاولة الزينة المرتصّة بعلب سوداء وخضراء. انحنت نحوه إلى الأمام وقد انتثر شعرها الجميل الفاتح اللون على خديها وسألته "ماذا تقصد بما هذا ويليم؟"

قال لها وهو يقف في منتصف تلك الغرفة الغريبة التي كان يشعر بأنه غريب عنها " أنت تعرفين بالطبع ما أعنيه!..."

وكانت إيزابيل قد استدارت إليه بكرسيها بسرعة، واجهته وصاحت بتوسّل وهي ترفع فرشاة الشعر للأعلى:

" أرجوك! أرجوك، ويليم ،لا تكن مأساوياً وصعب الإرضاء بهذا الشكل المخيف. أنت تقول لي دوماً أو تنظر إلي أو تُلمّح لي بأنني تغيّرت. أهذا كله لأنه قد أصبح لدي الآن من هم بالفعل من الأشخاص الذين أنسجم معهم؟ أنا على دِراية تامة بكل شيء. أنت تتصرف كما لو أنني ..." ثم أطاحت بشعرها إلى الخلف وقالت وهي تضحك "بأنني قتلت حبنا، أو ما شابه ذلك، وهذا بالفعل من السخف" ثم عضّت على شفتها وقالت "هذا يثير الجنون ويليم، فأنت تستكثر علي حتى هذا البيت الجديد وحتى الخدم."

صاح ويليم "إيزابيل!.."

ثم قالت إيزابيل باندفاع "نعم، نعم، هذا صحيح نوعاً ما، كما أنك تعتقد بأن صداقاتي الجديدة هي من البوادر السيئة الأخرى. أنا أعلم بأنك تظن ذلك وأنا أشعر بهذا أيضاً." ثم قالت بلطف:

"أنا أشعر بهذا في كل مرّة تصعد فيها السلالم، ولكن، ويليم، لم يكن بإمكاننا بالفعل أن نستمر في العيش في ذلك الجحر الصغير. كن عملياً، على الأقل! لماذا؟ لأنه لم يعد هناك حتى مُتسع من المكان لأجل الأطفال. "

لا!.. صحيح أن ويليم عندما كان يعود من المحاكم، كان يجد الطفلين مع إيزابيل في القسم الخلفي من غرفة الجلوس.، وبأنهما كانا يتسابقان على ظهر جلد النمر المُلقى فوق ظهر الأريكة، أو أنهما كانا يلعبان لعبة المتاجر ويستخدمان مكتب إيزابيل كمنضدة، أو قد يكون باد جالساً أمام صحن الموقد يُجدّف بواسطة رفش نحاسي صغير، بينما يُطلق جوني النار على القراصنة بواسطة ملاقط المدفأ.، وبأنهما كانا يتدافعان كل مساء في صعود السلالم الضيقة إلى جدتهما العجوز المُكتنزة. لنفترض أن ذلك البيت بيت صغير، بيت صغير أبيض ضيّق بستائر زرقاء، وبعلب نوافذ مُصنّعة من خشب البوتينيا (خشب من الفصيلة التبغية). كان ويليم عندما يستقبل بعض أصدقائهم يسألهم وهم أمام الباب :

" أرأيتم خشب البوتينيا؟ أليست رائعة تماماً بالنسبة لمدينة مثل لندن؟ أليس كذلك؟"

لكن الشيء الأكثر سخفاً والشيء الأكثر غرابة، هو ألا تكون لدى ويليم طوال ذلك الوقت، أية فكرة عن أن إيزابيل لم تكن تشعر بالسعادة مثله. يا إلهي!... ما هذه الغفلة!... لم تكن لديه في تلك الأيام ولو حتى فكرة بسيطة عن أنها كانت بالفعل تكره ذلك البيت الصغير غير المريح، وبأنها كانت تعتبر والدته الجدّة المُكتنزة التي تُفسد أطفالها الصغار، وبأنها كانت بائسة تشعر بشكل كبير بالوحدة، وتتوق إلى أناس جُدد، وإلى موسيقى جديدة، وإلى صور و إلى أشياء أخرى كهذه... ولكن، لو لم يكونا قد ذهبا معاً إلى حفل السيدة مورا موريسون، ولو لم تكن السيدة موريسون قد قالت له لدى مُغادرتهما الحفل "سوف أُنقذ زوجتك هذه، أيها الزوج الأناني، فهي شبيهة بالتايتانيا" وهي زهرة صغيرة نادرة الوجود. ولو لم تكن إيزابيل قد ذهبت مع مورا إلى باريس ـ لو ... لو... ولو...

توقف القطار في محطة أخرى. هذه هي "بيتنكفورد". يارب السماء ! سوف يصلون خلال عشر دقائق. دسّ ويليم أوراقه في جيوبه. كان الشاب الذي كان جالساً أمامه قد اختفى منذ فترة طويلة، كما كان الاثنان الآخران يغادران القطار الآن. كانت شمس ما بعد الظهيرة تسطع على النساء اللواتي ترتدين الثياب القطنية، وعلى أرجل الأطفال العارية التي لوّحتها الشمس وتتوهّج على زهرة حريرية صفراء انتشرت أوراقها الخشنة على ركام من الصخور.، وكان الهواء المتسرّب من النوافذ ممتزجاً برائحة البحر. تساءل ويليم:

"ترى هل ستكون إيزابيل في عطلة نهاية الأسبوع هذه أيضاً برفقة ذات المجموعة ؟."

ثم تذكّر الإجازات التي كانوا يُمضونها معاً، هم الأربعة فقط، وبصحبتهم تلك الفتاة الريفية الصغيرة "روز" التي كانت مُكلّفة برعاية الأطفال. كانت إيزابيل حينذاك ترتدي قميصاً قطنياً وتبدو وكأنها في الرابعة عشر بشعرها الحريري الذي كان على شكل ضفيرة. يا الله!... كم كان أنفه يتقشّر، وكم كانت كمية ما كانوا يأكلونه من أطعمة، وكم من الوقت ناما على ذلك السرير الواسع المصنوع من الريش... لم يتمكن ويليم من منع نفسه من الابتسام ابتسامة كالحة وهو يُفكر بمقدار الفزع الذي كانت ستشعر به إيزابيل ، لو علمت إلى أي مدى كان قد استرسل في رقّة إحساسه.

"أهلاً ويليم!" كانت إيزابيل مع ذلك في المحطة ، كما كانت تقف كما تصوّرها بعيداً عن الآخرين . خفق قلبه "إنها بمفردها. وجدها ويليم جميلة جداً وكان عليه أن يقول شيئاً ما. بدأ الحديث بالقول " أهلاً إيزابيل ،تبدين مرتاحة تماماً."

قالت إيزابيل "هل أبدو كذلك؟ لست أشعر بأنني مرتاحة تماماً، تعال معي، تأخر قطارك القديم البغيض. سيارة التاكسي تنتظر في الخارج."

ثم وضعت يدها برفق على ساعده ، وهما يجتازان مركز جباية البطاقات وقالت :

"جئنا جميعاً لاستقبالك، لكننا تركنا بوبي كين في مخزن الحلويات وسوف نمرّ لاصطحابه من هناك."

قال ويليم "أووه!.." وكان ذلك كل ما بإمكانه أن يقوله في تلك اللحظة.

كانت السيارة بانتظارهم هناك في وهج الشمس، وقد تمدد في أحد جوانبها كل من بيل هانت ودنيز كرين قبعاتهما على وجهيهما، بينما جلست مورا موريسون في الجهة الأخرى وكانت تضع على رأسها قبعة تشبه ثمرة الفريز الكبيرة، كانت تقفز للأعلى وللأسفل. ثم قالت ببهجة:

"لا يوجد ثلج! لا يوجد ثلج! لا يوجد ثلج!"

قال دنيز وهو يَضجّ من تحت قبعته "لا يوجد ثلج سوى لدى بائع الأسماك."

ثم ظهر بيل هانت وأضاف "والسمك بداخله."

قالت إيزابيل وكأنها تنتحب "يا له من شيء مُضجر!" ثم شرحت لويليم كيف كانوا، وهم بانتظاره، قد بحثوا عن الثلج في كل أنحاء المدينة ثم أضافت :

"ببساطة، كل شيء يذهب الآن إلى البحر بدءاً من الزبدة."

قال دنيز "سوف يكون علينا أن ندهن أنفسنا بالزبدة لأن هناك نقص في المراهم."

قال ويليم "ما هذا؟ كيف سيكون بإمكاننا الجلوس؟ من الأفضل لي أن أجلس إلى جانب السائق."

لكن إيزابيل قالت "لا، سوف يجلس بوبي كين إلى جانب السائق، وسوف تجلس أنت بيني وبين مورا." ثم تحرّكت السيارة.

سألته إيزابيل بعد ذلك "ما الذي أحضرته في هذه العلب السحرية؟"

قال بيل هنت وهو يرتعد من تحت قبعته "رؤوس مقطوعة!"

قالت إيزابيل بسرور "فاكهة! كم أنت حكيم ،ويليم! بطيخة وأناناس. هذا رائع!"

قال ويليم وهو يبتسم، لكنه كان في الواقع يشعر بالقلق "لا،انتظري، اشتريتها للأطفال."

ضحكت إيزابيل وقالت وهي تضع يدها تحت ذراعه :

"يا إلهي! لو أكلها الأطفال فسوف يدخلون في غيبوبة " ثم ربتت على يده وقالت " لا، يجب أن تجلب لهم

شيئاً في المرّة القادمة، فأنا أرفض أن أشاركهم بهذه الأناناس."

ثم قالت مورا " إيزابيل القاسية ! دعيني أشمّ رائحتها." ثم دفعت بذراعيها إلى إيزابيل عبر ويليم بأسلوب مُغرٍ، ،وكأنها قد أصيبت بالإغماء ،مما جعل قبعة الفريز تسقط من رأسها.

قال دنيز "سيدة تقع في حب الأناناس."

وعندما توقفت السيارة أمام متجر صغير له ستارة مخططة. خرج منه بوبي كين وهو يحمل بيديه العديد من الرزم الصغيرة وقال:

"آمل أن تكون طيبة المذاق. اخترتها لأجل ألوانها. هناك بعض الأشياء المستديرة التي تبدو بالفعل رائعة، انظروا إلى قطع حلوى النوكا هذه " وكان يصيح وكأنه قد فُتن بها " انظروا إليها فقط ! هي كرات ذات حجم مثالي بالفعل."

لكن صاحب المتجر كان قد ظهر في تلك اللحظة، مما جعل علامات الخوف تبدو على وجه بوبي ويقول:

"أووه... نسيت. لم يُسدد أحد قيمة كل هذه الأشياء."

حينئذ أعطت إيزابيل صاحب المتجر قيمة تلك الحلويات، وبذلك عاد بوبي إلى مرحه ، ثم التفت إلى ويليم وقال : "أهلاً ويليم! سوف أجلس إلى جانب السائق." كان حاسر الرأس يرتدي لباساً أبيض اللون، وقد ثنى أكمامه ورفعها إلى أن وصلت إلى أكتافه.، قفز إلى جانب السائق وصاح باللغة الإيطالية "إلى الأمام!"

بعد تناول الشاي ذهب الجميع للسباحة بينما جلس ويليم مع أطفاله لكي يأخذ قسطاً من الراحة مع أطفاله ، لكن جوني وبادي كانا قد خلدا بعد ذلك للنوم.

ذبل وهج الوردة الحمراء (غربت الشمس)، وبدأت الخفافيش تطير، لكن السبّاحين لم يكونوا قد عادوا بعد. كان ويليم يتجوّل في الطابق السفلي، ثم مرّت الخادمة بالبهو تحمل بيدها مصباحاً وتبعها ويليم إلى غرفة الجلوس. كانت الغرفة طويلة مَطلية باللون الأصفر .، وكان أحدهم قد رسم على الجدار المقابل له صورة بأكبر من الحجم الطبيعي، لشاب بساقين مَحنيتين جداً، وهو يُقدم زهرة أقحوان إلى امرأة شابة.، كانت إحدى يدي المرأة قصيرة جداً، بينما كانت اليد الأخرى طويلة ورفيعة جداً. كانت تتدلى على كل من المقاعد و الأريكة، قطع من قماش أسود تنتشر عليها نقاط أشبه ببيض مكسور. وفي كل مكان قد ينظر إليه المرء، كانت هناك مِنفضة مليئة بأعقاب السجائر. جلس ويليم على أحد المقاعد وتذكّر رزمة الأوراق التي يحملها في جيبه، لكنه كان يشعر بجوع وبتعب شديدين، ولم يكن بإمكانه أن يقرأ تلك الأوراق. كان الباب مفتوحاً، وكانت أصوات الخدم تصل إليه من المطبخ. كانوا يتكلمون بصوت مُرتفع كما لو أنهم بمفردهم في المنزل. ثم سُمع فجأة صوت ضحكات مرتفعة جداً، تلاها صوت يقول "هس!.."كانوا قد تذكروا وجوده في المنزل...

نهض ويليم وخرج إلى الحديقة عبر النافذة الفرنسية ، وكان وهو واقفاً في الظلّ قد سمع صوت السباحين

القادمين عبر الطريق الرملي كانت أصواتهم تَصدح من خلال السكون قال أحدهم:

"أعتقد أن الأمر يعود إلى مورا التي عليها استخدام خدعها وألاعيبها الصغيرة."

ثم سُمع صوت مورا تقول بصوت يُشبه الأنين المأساوي "يجب أن يكون لدينا فونوغرافاً لكي نستمع أثناء عطل الأسبوع إلى أغنية "عذراء الجبال البكر."

وقالت إيزابيل "لا!... لا!... هذا ليس من العدل بالنسبة إلى ويليم، كونوا ظرفاء معه، فلن يمكث هنا سوى إلى مساء الغد."

صاح بوبي كين "دَعيه لي فأنا أُجيد تماماً رعاية الأشخاص."

ثم تأرجحت البوابة وفُتحت وتوجّه ويليم إلى السطح. كانوا قد شاهدوه.

قال بوبي كين وهو يثب ويدور حول نفسه فوق المرج الجاف ، وقد بدأ بتجفيف جسمه بالمِنشفة :

"أهلاً ويليم ،من المؤسف أنك لم تأت معنا، كانت المياه رائعة، كما أننا ذهبنا جميعاً معاً بعد السباحة إلى الحانة وتناولنا بعض الشراب."

وكانوا الآخرون قد وصلوا بعد ذلك إلى البيت. ثم قال بوبي " أعلميني إيزابيل، هل ترين أن علي أن أرتدي هذا المساء لباسي الرسمي من ماركة نجينسكي؟"

أجابته إيزابيل "لا، لن يرتدي أي منا الملابس الرسمية." وأضافت "نحن جميعاً نشعر بجوع شديد، وكذلك ويليم. تعالوا يا أصدقائي، لنبدأ بأكل السردين."

ثم دخلت مورا إلى الرواق وهي تحمل علبة السردين عالياً وتقول " عثرت على السردين."

قال دنيز بجدّية "سيدة مع علبة سردين."

ثم سأله بيل هانت وهو ينتزع سدادة زجاجة الويسكي "حسناً، ويليم، كيف هي لندن؟"

أجاب وليام "أووه... ، لندن لم تتغيّر كثيراً"

قال بوبي بحسّرة "لندن القديمة." ثم بدأ يبتلع السردين. وكان ويليم بعد لحظات قليلة قد أُهمل تماماً.

أكل كل من بيل ودنيز بشراهة شديدة، وكانت إيزابيل تملأ الكؤوس وتستبدل الأطباق وهي تبتسم بمنتهى السعادة. ثم قالت بعد برهة "بيل، أتمنى كثيراً أن ترسمها."

قال بيل بصوت مرتفع وهو يحشو فمه بالخبز "أرسم ماذا؟"

أجابت إيزابيل "نحن، حول هذه المائدة. سوف يكون ذلك رائعاً بعد عشرين عاماً."

جال بيل بنظره حول المكان وقال بفظاظة وهو لا زال يمضغ الطعام:

"هناك خطأ في الأضواء، والكثير من اللون الأصفر."

ثم استمر بتناول الطعام. وكان يبدو بأن إيزابيل كانت قد فُتنت بذلك أيضاً.

وكان الجميع كانوا قد أصبحوا في غاية التعب بعد العشاء لذا لم يعد بإمكانهم القيام بأي شيء سوى التثاؤب، إلى أن تأخر الوقت بما فيه الكفاية، وبذلك ذهب كل منهم إلى فراشه...

ولم يكن ويليم قد وجد نفسه بمفرده مع زوجته إلا بعد ظهيرة اليوم التالي، عندما كان بانتظار السيارة التي ستقلّه إلى المحطة. كانت إيزابيل عندما أحضر حقيبة ملابسه إلى الرواق، قد تركت أصدقائها وأتت إليه. توقفت، تناولت الحقيبة، ثم قالت وهي تضحك ببعض الارتباك:

"ما هذا الوزن الثقيل! دعني أحملها إلى البوابة."

قال ويليم "لا، لِم عليك أن تحمليها؟ لا بالطبع ، ناوليني الحقيبة."

قالت إيزابيل" دعني أفعل ذلك، أرجوك . فأنا أريد أن أفعل ذلك."

ثم مشيا معاً بصمت، وكان ويليم قد شعر بأنه لم يعد هناك ما يقوله لها في الوقت الحاضر. وضعت إيزابيل الحقيبة على الأرض وقالت بلهجة الفوز:

"ها هي." ثم نظرت بقلق إلى الطريق الرملية وقالت وهي تلهث "يبدو لي وكأنني لم أتمكن من رؤيتك لمدة كافية هذه المرّة، كانت زيارتك قصيرة جداً، أليس كذلك؟ أشعر وكأنك قد جئت لتوّك وسوف تسافر من جديد..."

وثم قالت عندما ظهرت سيارة التاكسي في الطريق:

"آمل أن تحصل على ما يكفي من الرعاية في لندن. آسفة جداً لأن الصغار كانوا طوال هذا اليوم خارج المنزل، كانت الآنسة نيل قد أعدّت لهما مُسبقاً ذلك البرنامج، سوف يشعران بالأسف الشديد لعدم وداعك. مسكين ويليم!... سوف تُضطر للعودة إلى لندن."

وعندما صلت سيارة التاكسي وتوقفت أمام المنزل قبلته إيزابيل قبلة صغيرة سريعة وقالت " وداعاً" وكانت قد تركته وعادت إلى أصدقائها...

انسابت الحقول، الأشجار، وسياج الشجيرات أمام نظر ويليم واختفت في الفراغ الكبير. كانت جميع المدن الصغيرة المُعتمة، والأرض فوق المنحدر تجري به ببطء نحو المحطة.

كان القطار في المحطة. توجّه ويليم مُباشرة إلى مقطورة الدرجة الأولى المُخصصة للمدخنين، ارتمى في إحدى الزوايا، لكنه هذه المرّة كان قد ترك أوراقه جانباً، ثم ضمّ ذراعيه معاً وكان في ذلك الصرير المستمر لعجلات القطار قد بدأ يكتب في ذهنه رسالة إلى إيزابيل.

تأخر البريد كالعادة. كان الجميع جالسون خارج المنزل على المقاعد الطويلة وتحت المظلات الملوّنة، وكان بوبي فقط مستلقيا على المرج بالقرب من قدمي إيزابيل. كان الجو مُملاً خانقاً ،. وقد انحدر ضوء النهار أشبه بعلم.

سأل بوبي بلهجة طفولية "تُرى هل سيكون هناك في السماء أيضاً أيام اثنين؟"

وتمتم دنيز "سوف تكون الجنّة عبارة عن يوم اثنين طويل."

لكن إيزابيل لم تكن قد تمكنت من منع نفسها من التفكير بسمك السالمون الذي أكلوه مساء الأمس على العشاء.، لأنها كانت تنوي أن يكون طعام الغداء سمك بالميونيز فما الذي ستفعله الآن...

أما مورا فقد غَفت، كان النوم اكتشافها الأخير، فهي تقول " النوم رائع جداً، كل ما على المرء هو أن يُغمض عينيه، وهذا كل شيء، كما أنه لذيذ جداً..."

وعندما وصل ساعي البريد العجوز المُتوهّج الخدين، وهو يضرب الأرض الرملية بدراجته ذات العجلات الثلاث، ما يجعل المرء يشعر بأنها مجاديف وليست بالعجلات.، وضع بيل كتابه جانباً، وقال بغبطة "رسائل." وانتظر الجميع. لكن ساعي البريد متحجر القلب... آه... من هذه الدنيا الحقودة ! لم يكن هناك سوى رسالة واحدة ثخينة جداً وهي لإيزابيل بينما لم تكن هناك حتى ولو صحيفة للآخرين.

قالت إيزابيل بأسف " كل ما تلقيته من بريد هو رسالة فقط من ويليم ."

سألها الجميع "من ويليم!... وبهذه السرعة؟ يبدو أنه قد أعاد إليك صكّ زواجكما بمثابة التذكير اللطيف."

سألت مورا "هل لدى الجميع صكّ زواج؟ كنت أعتقد بأنها للخدم فقط."

قال دنيز "صفحات وصفحات! انظروا إليها! سيدة تقرأ رسالة."

حبيبتي الغالية إيزابيل.

كانت تلك الرسالة مؤلفة من صفحات وصفحات. وكان دهشة إيزابيل وهي تقرأ الرسالة، قد تحوّلت إلى شعور بالاختناق وتساءلت:

"ما الذي حدث لويليم بحق الله...؟ هذا غريب جداً... ما الذي قد يكون قد جعله...؟

شعرت بالاضطراب ثم بدأت تشعر بالتوتر أكثر فأكثر وحتى أنها كانت قد شعرت بالخوف. كان ذلك يُشبه تماماً طباع ويليم. هل كان كذلك ؟ هذا سخيف بالطبع، يجب أن يكون الأمر تافهاً وسخيفاً. أطلقت ضحكة عالية ثم فكّرت:

"يا إلهي !" ماالذي عليها أن تفعله الآن؟". ألقت بنفسها على كرسيها وانفجرت بالضحك، وظلّت تضحك إلى أن لم يعد بإمكانها أن تستمر في الضحك.

قال الآخرون "أعلمينا بما فيها. يجب أن تعلمينا بما تتضمنها."

قالت إيزابيل "أنا أشعر بالفعل برغبة شديدة بأن أفعل ذلك." ثم جلست وجمعت أوراق الرسالة وأشارت بها إليهم وهي تقول "تجمّعوا حولي واستمعوا، إنها رائعة جداً، رسالة حب!"

"رسالة حب! هذا رائع جداً!"

حبيبتي الغالية إيزابيل،

لكنها لم تكد تبدأ بقراءة الرسالة إلى أن أوقفتها ضحكاتهم.

"استمري، إيزابيل. هذا مثالي."

"هذا أفضل اكتشاف."

"رجاءً إيزابيل، استمري !"

لا سمح الله أن أكون، ياحبيبتي، عقبة في طريق سعادتك.

قال البعض "آه!... آه!... آه!..."

وقال آخرون "اصمتوا!..، اصمتوا!... اصمتوا!..."

واستمرت إيزابيل في القراءة إلى أن وصلت إلى نهاية الرسالة. بينما كان الجميع أشبه بمن أصابهم مَسّ من الجنون.، تدحرج بوبي على المرج وهو يبكي تقريباً.

وقال دنيز "يجب أن تعطيني هذه الرسالة لكي أُدرج نصّها الكامل في كتابي الجديد. سوف أخصص لها فصلاً كاملاً."

أما مورا فقد تنهدت وقالت "آه... إيزابيل، وهذه الفقرة بالذات، أن يضمك بين ذراعيه، إنها رائعة! كنت أعتقد دوماً بأن مثل هذه الرسائل تصلح لأن تكون وسيلة ناجعة للصلح في دعاوى الطلاق، لكن المشاعر لابد أن تكون قد بَهُتت قبل ذلك."

وقال بوبي كين "دعيني أُمسك بها، دعيني أقرأها بنفسي."

لكن ما أثار دهشتهم جميعاً ، هو أن إيزابيل قامت فجأة بسحق أوراق الرسالة بين يديها. لم تعد تضحك، وإنما كانت تبدو مُنهكة القوى وكانت بعد ألقت عليهم نظرة سريعة قد تمتمت "لا، ليس الآن... ليس الآن..."

ثم كانت إيزابيل قبل أن يستفيقوا مما حصل قد ركضت عبر الرواق إلى داخل المنزل، ثم إلى السلالم ثم إلى غرفة نومها وجلست على حافة السرير وهي تُغمغم :

"كم هذا وضيع، شنيع، قبيح، وسوقي."

ثم ضغطت بأصابعها على عينيها وبدأت تتأرجح من الأمام إلى الوراء. كانت وكأنها تراهم أمامها من جديد ،لكن عددهم لم يكن أربعة فقط وإنما كانوا أربعون ، رأتهم كيف كانوا ،وهي تقرأ رسالة ويليم ، يضحكون ويسخرون ويُبدون ملاحظاتهم بتهكم، ويُشيرون بأيديهم. يالله !.. ما أسوأ ما كان. كيف كان بإمكانها أن تفعل كل ذلك!...

لا سمح الله أن أكون يا حبيبتي عقبة في طريق سعادتك...

ويليم!... ويليم!... ضغطت برأسها على المخدة، لكنها شعرت بأن حتى غرفة النوم تلك التي كانت تجدها كالقبر، تعرف جيداً بأنها كانت سطحية، مُتعالية، لا تُفكّر بالآخرين...

وكانت أصواتهم في ذلك الوقت تصل إلى مسامعها من الحديقة وهم يُنادون "إيزابيل سوف نذهب جميعنا للسباحة. تعالي، يجب أن تأتي!"

"تعالي، يا زوجة ويليم!"

ثم نادوها مرة أخرى" إيزابيل!"

نهضت إيزابيل. حان الوقت... عليها أن تتخذ قرارها الآن . فهل ستذهب معهم، أم أنها ستبقى هنا لكي تكتب رسالة إلى ويليم؟ ما الذي يجب أن يكون؟ ... علي أن أتخذ قراري... ولكن لا... لا مجال للتساؤل. عليها أن تبقى هنا الطبع وتكتب الرسالة..."

ثم نادت مورا بصوتها المخنوق "إيزابيل، يا زهرة التايتانيا،

"إيزابيل؟"

فكّرت إيزابيل بسرعة "لا، هذا صعب جداً. سوف... سوف أذهب معهم وسوف أكتب رسالة إلى ويليم فيما بعد... نعم فيما بعد ...ليس الآن... ليس الآن ... لكنني سأكتب له رسالة بالتأكيد."

ثم ركضت إلى أسفل السلالم وهي تضحك ضحكتها الجديدة تلك...

زوجة مُتفانية
A Devoted wife
للكاتب تيموثي .شي آرثر

قال الشاب بلهجة تنمّ على الكثير من الاكتئاب :

" يئست وفقدت كل أمل، يعلم الله أنني حاولت كل ما بإمكاني أن أحصل على عمل لكن يبدو بأنه ليس هناك من يحتاج إلى خدماتي مع الأسف ! والأجر الزهيد الذي قد أحصل عليه من والدك سيجعلني أشعر بالإذلال وسوف يُحطم قلبي .، ومن ناحية أخرى فهو لا يكاد يكفي لتأمين سكن متواضع ولتأمين ما يسدّ الحاجات الأساسية في الحياة .، ولن ألمس ولو شلناً من أمواله حتى لو تضورت من الجوع.

أجابته الفتاة الرقيقة الطيّبة التي كانت قد تخلت عن الأب والأم وعن المنزل الهانئ لكي تُشارك هذا الشخص الذي تحبه بأعباء الحياة.، بعد أن وضعت إصبعها على شفتيه وأحاطته بذراعيها:

" اصمت إدوار !"

قال الشاب من جديد " رجاء أنيّس ،ليس بإمكاني أن أحتمل والأكثر من ذلك فإن الطبيعة التي فُطرت عليها تتمرد على الوضع الحالي. ها قد مرّ عدة أشهر دون أن أتمكن من العثور على عمل رغم ما لدي من مؤهلات . يبدو أن جميع السُبل مقطوعة بالنسبة إلي في هذا البلد...

كانت الغرفة التي يقيمان فيها مُطلّة على البحر.

أشارت أنيّس من النافذة التي تُطلّ على المياه المُمتدة إلى الأمام من ناحيتي الجنوب والغرب . وقالت بلهجة مُشجّعة :

" لكن هناك أرض أخرى ، ولو كان ما نسمعه عنها صحيحاً فسوف تجد المؤهلات العالية التي لديك مكانها هناك."

قال إدوار " أمريكا! ... وكان قد تفوّه بتلك الكلمة بلهجة تساؤل جديّة.

" نعم"

" أشكرك أنيّس على هذا الاقتراح! لكن عليك حينئذ أن تعودي إلى منزلك الهانئ الذي تركته ، فليس عليك أن تُضحّي لأجل من ليس بإمكانه أن يؤمن لك وسائل العيش المريحة التي اعتدت عليها.، أما أنا سوف أقطع المحيط لكي أبحث عن فرصة أفضل في أرض الميعاد تلك، وأنا على يقين بأن الفراق الذي سيصعب على كلينا لن يطول."

أجابته الزوجة الشابة بحماس وهي تعانقه بحرارة :

" إدوار لن أتركك أبداً ولن أتخلى عنك! ، سوف أرافقك إلى أي مكان قد تذهب إليه ... سوف أعيش معك في

أي مكان تعيش فيه، وسوف يكون لنا دوماً ذات الأناس."

قال إدوار باستغراب " ولكن هل سيكون بإمكانك التخلّي عن كل شيء لكي ترافقيني إلى تلك الأرض الغريبة؟"

أجابت أنيّس الطيبة " إدوار ، لن أشعر بالغربة مادمت سأكون إلى جانبك."

قال إدوار "لا أنيّس لا... لن أقبل بذلك ، فلو كان علي أن أذهب إلى تلك الأرض فمن الأفضل أن أكون في البداية بمفردي."

بَدت علامات الحزن على وجه أنيّس وقالت:

" هل تنوي السفر بمفردك! هذا غير ممكن!"

" أنيّس ، لكن عليك أن تفكري بهذا الأمر ، لو سافرت بمفردي فلن أحتاج إلى مبلغ كبير لكي أتدبّر تكاليف الحياة ريثما أحصل على عمل .، فربما يستغرق ذلك عدة أسابيع أو ربما عدة أشهر."

ولكن ماذا لو مرضت؟ " وكانت عينا أنيس قد اغرورقتا بالدموع وهي تقول ذلك.

" ليس علينا نفكّر بمثل هذا الأمر في الوقت الحاضر."

" إدوار ، ليس بإمكاني أن أمنع نفسي من التفكير بذلك، أتوسل إليك ألا تتركني وأنا مصرّة على أن أرافقك إلى أي مكان ستذهب إليه."

أصبحت ملامح أدوار قد أكثر جديّة ثم قال بعد لحظة تأمل :

" دعينا نتوقف الآن عن مناقشة الأمر أكثر من ذلك، فليس بإمكاني أن أصطحبك إلى ذلك المكان البعيد الغريب .، لذا سوف أعود إلى لندن . فلعلّ الحظ يُحالفني هذه المرّة في الحصول على عمل."

وكان قد تم الاتفاق بينهما آخر الأمر ، بعد بعض المعارضة التي أبدتها أنيّس على أن على يعود زوجها إلى لندن وبأن تقوم أنيّس خلال ذلك بزيارة قصيرة لوالديها.، وبأنها سوف تلحق به على الفور لو عثر على عمل .، أما في حال إخفاقه في الحصول على عمل فسوف يبحثان مُجدداً فكرة ذهابه إلى أمريكا .

وكانت أنيّس بعد الكثير من التردد والأسف قد عادت إلى منزل والدها الذي استقبلت فيه أحسن استقبال بما أنها عادت إليه بمفردها، لكن كرامة زوجها كانت قد منعته حتى من اجتياز عتبة ذلك البيت الذي لم يكن يرحب بدخوله إليه.

انتظرت أنيّس بكل ترقب ولهفة إلى أن وصلتها رسالة من إدوار بعد أسبوع . كانت رسالة حاول إدوار فيها قدر الإمكان أن يُضمنها أكثر ما بإمكانه من أمل وبهجة لكنه لم يكن قد عثر على عمل . ثم مرّ أسبوع بعد الآخر إلى أن وصلتها منه الرسالة التالية:

حبيبتي الغالية أنيس!

بعد أن فقدت الأمل بالعثور على عمل هنا، بدأت أفكاري تتجه من جديد نحو تلك الأرض... أرض الميعاد، لذا فعندما ستصلك هذه الرسالة سوف أكون في طريقي إلى هناك. وأنا متأكد بأن فراقنا سوف يكون لمدة قصيرة، قصيرة جداً. ففي اللحظة التي سوف أحصل بها على عمل سوف أرسل بطلبك وسوف نجتمع من جديد ونحظى بسعادة لم يسبق أن عرفنا مثلها."

كانت الرسالة طويلة ورقيقة لكنها كانت مع ذلك قد تسببت بالأسى وبالألم لتلك الزوجة الشابة المُحبة التي شعرت كما لو أن من تحبه أكثر من حياتها قد هجرها.

أما إدوار فكان بعد مرور بضعة أيام فقط على مغادرته لندن على متن السفينة، قد توعك بشكل كبير بحيث لم يعد قادراً على النهوض من مضجعه طوال الأيام المتبقية من الرحلة. وبذلك تم نقله على زورق من ليفربول إلى نيويورك التي وصل إليها بعد خمسة أسابيع حيث تم نقله هناك إلى جناح المرضى في جزيرة ستيتن، وكان رأي الأطباء بأنه سوف يموت خلال وقت قصير.

بعد مرور يوم واحد على دخوله المشفى سألته الممرضة التي كانت تتولى رعاية ذلك المريض الشاب " هل لديك أصدقاء في هذه المدينة؟"

وكانت الإجابة التي تلفّظ بها المريض بضعف " لا."

قالت الممرضة " يجب أن تعلم بأنك مريض جداً."

نظر المريض بقلق إلى وجه ممرضته دون أن يجيب .

ثم سألته من جديد " هل لديك أصدقاء في لندن؟"

" نعم."

" هل ترغب بأن أنقل إليهم أية رسالة منك ؟"

أغلق إدوار عينيه وظلّ صامتاً لبعض الوقت. ثم قال أخيراً:

"لو بإمكانك أن تجلبي لي ورقة وقلم فسوف أكتب إليهم بضع كلمات."

قالت الممرضة " أخشى ألا تتمكن من بذل مثل هذا الجهد لأنك ضعيف جداً."

قال إدوار " دعيني أحاول ذلك."

ثم غادرت الممرضة الغرفة.

وكان الطبيب قد صادف الممرضة بعد ذلك وسألها:

" هل هناك أي مريض في القسم الذي تعملين فيه باسم إدوار مارفل؟ هناك في المكتب سيدة شابة تسأل

عن شخص بهذا الاسم."

هزّت الممرضة رأسها ثم قالت " مارفل ، مارفل لا أعتقد ذلك."

سألها الطبيب من جديد " هل أنت متأكدة من ذلك؟"

" أنا متأكدة بأنه ليس هناك في الجناح أي شخص بهذا الاسم قد يكون هناك من يستفسر عنه. هناك شاب انكليزي وصل مؤخراً يحمل ذات الاسم الذي ذكرته لكنه أعلمني بعدم وجود أي أقرباء أو أصدقاء له في المدينة."

غادر الطبيب دون أن يبدِ أية ملاحظة أخرى.

وكانت الممرضة قد عادت على الفور إلى مارفل وهي تحمل أدوات الكتابة التي طلبها. سحبت الطاولة إلى جانب سريره وساعدته على الجلوس على طرف السرير وعلى الإمساك بالقلم بيده لكي يكتب الرسالة، لكنها عندما قرأت الكلمات الأولى في الرسالة سألته " هل لديك زوجة ؟"

تنهد الشاب الذي أنهك قواه ذلك الجهد البسيط الذي بذله وسقط القلم من بين أصابعه واستلقى من جديد على ظهره وقال:

"نعم"

" هل تُدعى مارفل؟"

" نعم"

"كانت هناك شابة تسأل عن شخص يُدعى يحمل هذا الاسم."

بدت عليه علامات الدهشة على الشاب وقال:

" أكانت تسأل عن شخص يحمل اسمي؟"

" نعم"

ثم ازداد اهتمامه بالأمر وسألها " هل رأيتها؟"

"نعم"

" هل عثرت على الشخص الذي كانت تبحث عنه؟"

" لايوجد هنا أي شخص عداك يحمل اسماً يشابه الاسم الذي أشارت إليه ، وبما أنك قلت لي بأنه ليس لديك أي أصدقاء في هذه المدينة فلم أفترض بأن يكون الشخص الذي تبحث عنه هو أنت."

هزّ الشاب المريض رأسه وقال ببطء " لا، لا، لا أعتقد بأن هناك من يسأل عني . ثم سألها من جديد هل قلت بأنها امرأة شابة؟"

" نعم كانت امرأة شابة ذات شعر أشقر وعينين زرقاوين."

نظر مارفل إلى الممرضة واصطبغ وجهه فجأة بالحمرة.

قالت الممرضة من جديد " كانت شابة نحيلة الجسم ذات شعر أشقر ووجه شاحب ويبدو وكأن ذلك نتيجة الكثير من المعاناة."

هتف مارفل وهو يحاول النهوض " أنيس ! أنيس! " استلقى من جديد على فراشه وأضاف بأسى :

" لكن هذا غير ممكن . كنت قد تركتها في مكان بعيد جداً بعيد جداً إلى ما بعد هذا المحيط الكبير."

سألته الممرضة بعد لحظات "هل لازلت ترغب بالكتابة؟"

هزّ المريض رأسه دون أن يفتح عينيه. وكانت الممرضة بعد أن لازمت الغرفة لفترة قليلة قد انصرفت.

أغلق إدوار مارفل عينيه وهمس لنفسه وهو يهيم بأفكاره مع أمواج البحر :

" أنيّس، أنيّس الغالية ! تُرى هل سيكون بإمكاني أن أشاهد وجهك المُحبب من جديد؟ وأن أشعر بلمسة يديك. آه!... ليتني لم أتركك ! ليساعدني الله على تحمّل هذه المحنة!"

ظلّ الشاب مستلقياً لبضع دقائق مُغلق العينين بنفس حزينة. ثم سمع صوت يشير إلى أن الباب قد فتح ثم أغلق من جديد بلطف، لكنه لم يفتح عينيه، وبينما كان يهيم بأفكاره بعيداً، بعيداً جداً سمع صوت وقع أقدام تقترب من سريره بسرعة، لكنه لم يلتفت إليها.، ثم انحنى شكل إنساني عليه لكنه لم يفتح عينيه كما لم يفتحهما عندما كان أحدهم قد طبع قبلة على جبينه إلى أن سمع صوتاً خافتاً هزّ كيانه بالكامل يهتف:

" إدوار!"

ضمّ إدوار زوجته إلى صدره بلهفة وهو يهتف " أنيّس !... أنيّس!...نعم، كان ذلك كابوساً ؟ فهل استيقظت من ذلك الكابوس؟"

نعم ، كانت من تقف إلى جانبه بالفعل هي أنيّس .

أما ما حدث فهو أن أنيّس كانت على الفور من تلقّيها رسالته، التي أعلمها بها بأنه غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قد عقدت العزم على اللحاق به على متن أول سفينة ستبُحر بعد رحلة سفينته. كانت قد أعلمت والديها بذلك واعترضا في البداية ثم وجدنا بأنها على الأرجح سوف تهرب من رقابتهم وسوف ترحل على الرغم من الجهود التي سيبذلانها لمنعها من ذلك.، لذا وجدا بأن من الحكمة أن يزوداها بكل ما هو ضروري لتلك الرحلة وبأن يضعاها تحت رعاية القبطان الذي سوف يقود السفينة في تلك الرحلة إلى نيويورك . كما زوداها ببعض رسائل التوصية لبعض أصدقائهما في نيويورك طلبا فيها مساعدة ابنتهم ورعايتها .

كانت أنيّس قد وصلت إلى نيويورك بعد أسبوعين من وصول السفينة التي سافر زوجها على متنها . كانت قبل سفرها قد بحثت دون جدوى عن اسم السفينة التي سافر زوجها على متنها.،وبذلك لم تكن متأكدة لدى وصولها إلى نيويورك، فيما إذا كانت تلك السفينة قد وصلت قبل وصولها أم أنها كانت لاتزال في

الطريق.

كان أصدقاء والديها قد استقبلا أنيّس بكل ترحيب وقدموا لها كل ما تحتاجه من مساعدة. لكن مرّ أسبوعان دون أن دون أن تكون قد تلقت أية معلومات عن الأمر الأكثر أهمية الذي يشغل تفكيرها ، مما جعل صحتها تتأثر بذلك القلق الذي تعيش فيه ...

ثم تم الإعلان ذات يوم عن وصول مجموعة من الأشخاص على متن سفينة من ليفربول وبأنه قد تم نقل بعض أولائك الأشخاص إلى المستشفى لإصابتهم بالحمى.

سَرت رعشة في قلب الزوجة القلقة ، وكان قد تم التأكد بسرعة من قبل أصدقاء والديها بأن مارفل كان أحد المسافرين على تلك السفينة ولكن لسبب ما لم يكن بالإمكان معرفة أي شيء آخر عنه ... حدثها قلبها بأن زوجها لابد أن يكون قد أصيب بسوء فإما أن يكون قد توفى أو أنه قد أصيب بمرض خطير. وعندما استفسرت أنيّس في المستشفى تم إعلامها بأن الشخص الذي تبحث عنه ليس هناك ،لكنها عندما كانت قد عرفت الحقيقة عندما على وشك العودة إلى المدينة . سألت الطبيب وهي تحاول التماسك" هل هو مريض جداً ؟"

وكانت الإجابة " نعم، زوجك مريض جداً لذا قد يكون من الأفضل ألا تريه في مثل هذه الظروف."

بدأت الدموع تطفر من عيني أنيّس لكنها أجابت:

" هل تعتقد بأنه قد يكون من الأفضل ألا تراه زوجته ، وقد وبألا يسمح لها أن تكون إلى جانبه في نهايته ؟وأضافت"

" لا تقل هذا ، دعوني أراه وسوف أنقذ حياته! ..

قالت الممرضة " ولكن يجب أن تكوني هادئة جداً لأن أقل انفعال قد يقضي عليه."

بدأت أنيّس ترتجف وقالت:

" سوف أحاول أن كون هادئة وعاقلة."

وكانت قد تمكنت من التماسك عندما دخلت إلى غرفته رغم الصدمة التي أصابتها عندما شاهدته. بعد مرور شهر على ذلك وبينما كان إدوار جالساً مع زوجته في غرفتهما في نيويورك قال لها:

" حبيبتي أنيّس ! أنا أدين لك بحياتي، فلولا قرارك السريع باللحاق بي إلى نيويورك لكنت الآن في عداد الأموات. أنا على استعداد لأن أفعل أي شيء لأجلك."

ثم نظر من النافذة وكَست وجهه نظرة حزن وقلق . لاحظت أنيّس ذلك وسألته برقّة:

"لم هذا القلق والحزن؟"

أجاب الشاب " لاحاجة لأن أجيبك ، لازال الأمر كما كان عندما تركنا منزلنا القديم . فعلى الرغم من أنني قد بدأت أستعيد صحتي إلا أنني لازلت أشعر بالحرج من أن أكون عبئاً على أصدقاء والديك."

قالت أنيّس وهي تبتسم "لاحاجة لأن تشعر بالقلق والاكتئاب فسوف تصبح أيامنا المقبلة أكثر إشراقاً، وسوف يكون كل شيء أفضل."

أجابها إدوار " أنت على حق أنيّس لكن ليس من المناسب أن أعتمد على الغرباء."

قالت أنيّس " لن يطول الأمر فقد استطعت بواسطة أصدقائنا هنا أن أحصل لك على عمل . هناك عمل بانتظارك عمل مناسب سوف يكون بإمكانك الالتحاق به على الفور من تماثلك للشفاء التام واستعادتك لمقدرتك."

قال أدوار وقد غلب عليه انفعاله أمام ذلك النبأ غير المتوقع" أنيّس أنت ملاك."

وأجابته أنيّس بهدوء ورقّة:

" أنا لست ملاكاً . أنا لست سوى زوجة مُحبة مُخلصة، وعليك ألا تعتقد بعد الآن بأن زوجتك ليست قادرة على مشاركتك في مواجهة كل ما قد تتعرّض إليه من متاعب الحياة. دعني أن أكون لك زوجة فقط ، فلست أطمع بأية مَنزلة أو بأية مَكانة أخرى.."

مقالة لدي جميع الحقوق التي أرغب بها
I have all the rights I want
للكاتب توماس ونورث هيغنسون

كانت إحدى السيدات قد سألت الدكتور جونسون عندما نشر معجمه كيف حدث وكان هناك أحد الأخطاء في المعجم ؟ وكانت إجابته:

" هو الجهل سيدتي! الجهل التام.."

وأنا أيضاً أشعر دوماً بالرغبة بأن أبدي ذات الملاحظة عندما تؤكد أية سيدة بأنها قد حصلت على جميع الحقوق التي تتطلع إليها .... ذلك لأن كل امرأة سواء أكانت أماً أم كانت غير متزوجة، عندما تعلم بأنه حتى في عصرنا هذا ، ليس للمرأة المتزوجة وفي كثير من أنحاء العالم، أي حق شرعي بطفلها ، فسوف يلتصق لسانها في فمها قبل أن تنطق مرة أخرى بمثل هذه العبارة السخيفة.

ومن المؤسف ألا يتم التركيز ،في جميع المواضيع التي سمعت بها أو التي قرأت عنها ضد الاستعباد على مثل هذا العمل العدائي لمشهد كنت قد رأيته في أحد السجون من عدة سنوات .

كنت جالساً هناك عندما جاء رجل لكي يشتري طفلة صغيرة لكي تصبح الخادمة المرافقة لزوجته. تم إحضار ثلاث فتيات شقيقات صغيرات السن يتراوح سنهن بين الثامنة والحادية عشرة. كنّ يتميزن باللطف وبحسن التصرف ولابد وكانت ملابسهن نظيفة وأنيقة . وكان الرجل بعد أن اختار الرجل إحداهن قد سألها بطريقة كانت بالأحرى ودّية بعض الشيء فيما إذا كانت ترغب بالذهاب معه . وكانت الطفلة قد انفجرت حينئذ بالبكاء وقالت:

" أريد أن أبقى مع أمي!... "

لكن دموعها لم تُجدها نفعاً بالطبع كما لو أنها لم تكن سوى قطرات من الملح سقطت في مياه المحيط، وكان هذا كل شيء ،ولم تكن القصص التي كنت قد سمعتها بعد ذلك عن العبيد ذوي الظهور التي جرّحتها الندبات الذين هربوا بالمئات في أماكن إيواء الملونين ، لم تكن قد أثرت بي كما أثر بي ما حدث في ذلك السجن... ولا تزال المهنة المحتملة الكاملة لتلك الطفلة المسكينة المظلومة فاقدة الأم الجفلة أمام عيني حتى الآن. يبدو لي بأن الذي لايكون على استعداد لأن يهب حياته ثمناً لكي يتم إلغاء هذا الأسلوب لابدّ أن يكون قد فقد كل مشاعر الرجولة ... كما يبدو لي بأن المرأة التي كان بإمكانها أن تسمح بذلك والتي ،الأكثر من ذلك ، لم تكن قد دافعت عن حقها بطفلتها، لن تكون هي ذاتها صادقة ولا يمكن أن تكون امرأة عفيفة أو أنها لابّد أن تكون امرأة جاهلة وبشكل مفزع ومعيب.

أنت أيتها السيدة الرقيقة المُذعنة تقولين بأن ذلك كان رهيباً لكن شكراً لله ! بأن ذلك كان في الماضي، الماضي؟؟ هل الأمر بالفعل كذلك ؟ هل كان من الماضي؟لكن من فضلك ، في الحقيقة لازال الوضع القانوني للمرأة كما هو الوضع بالنسبة إلى قانون الاستعباد، مروعاً . فلم يمر بعد وقت طويل أو سنوات

عديدة على المشهد الذي حدث في قاعة إحدى المحاكم والذي كان أيضاً أسوأ مما رويته سابقاً حيث كان قد تم بحضور إحدى السيدات وبموجب حكم قضائي أخذ طفل من والدته. كان ذلك الحكم المُشين قد صدر بقرار من أعلى سلطة قضائية في الدولة. كما كان قد تم اخذ طفلتين صغيرتي السن من والدتهما من قبل الوصي. كان والدهما قد توفي ثم صدر الحكم بتسليمهما للوصي ضد إرادة والدتهما. كانت الصغيرتان قد تأثرتا للغاية بانفصالهما عن والدتهما مما استدعى استخدام القوة لإخراجهما من قاعة المحكمة وتسليمهما للوصي، وكان أسى الأم أيضاً لا يوصف..

سوف تقولون بأنه لابد أن يكون هناك سبب جوهري لمثل ذلك الانتهاك الفاضح لحقوق الأمومة: فربما كانت تلك المرأة سيئة السمعة... ولكن لا... بل كانت تلك السيدة سيدة تتمتع بأرفع مستوى من الاحترام. لم يكن قد صدر بحقها أي حكم ولكن كل ما في الأمر أنها كانت قد بعد أن أصبحت أرملة قد تزوجت من جديد ، وكانت المحكمة لذلك السبب فقط قد أصدرت حكمها بأن يتم إلغاء وصايتها على طفلتيها اللتين هما من دمها ولحمها ، طفلتيها اللتين كانت هي من حملتهما وولدتهما لكي يتم تسليمهما لشخص آخر...

سوف تقولون " لكن ذلك لأن الزوج الثاني قد يُسيء معاملتهما!.. قُد يفعل ذلك؟ ولكن ذلك الوصي قد يفعل ذلك أيضاً... وفي هذه الحالة لن تكون والدتهما إلى جانبهما لكي تحميهما...

لو كان الأب هو الذي أصبح أرملاً أو لو أنه كان قد تزوج لعدة مرات على التوالي، وجلب لأولاده زوجة بعد الأخرى لن يتدخل القضاء بذلك، ذلك لأن الأب يُعتبر أمام القانون الوصي الشرعي على الأولاد. أما الأ فليس لديها هذا الحق سواء أكانت قد بقيت أرملة أو لا.... ونتيجة لذلك هناك سلسلة من الانتهاكات التي لا يتم معرفة سوى القليل منها، مثلها مثل العبودية، ومثل العديد من الفتيات الصغيرات السن اللواتي يتم بيعهن من قبل والديهم، دون أن تتم الإشارة إليها في أي من الصحف اليومية.

وتقودنا هذه القضية إلى ضرورة تعديل القانون لكن الشيء ذاته قد يحدث وبذلك فإن إمكانية حدوث شيء واحد يبيّن بأنه لازال هناك خطأ أساسي في الوضع القانوني للمرأة، وما يجعل هذا الخطأ يتفاقم هو أن أكثر النساء لا يعرفن ذلك في الواقع. كما أن الغالبية العظمى من الرجال وحتى المحامين منهم يمرون مرّ الكرام بمثل هذه الأمور كما كانوا يمرون بموضوع العبودية.

لايوجد أي دواء ناجع أو أي حلّ نهائي لمثل هذه الأخطاء ما عدا بأن يتم منح المرأة حقوقها السياسية لكي تتم حمايتها .

لم يسبق أن وجد أي عرق أو أية طبقة اجتماعية أو جنس من الأجناس لديه من النبالة ما يكفي للثقة بالسلطة السياسية بالجنس الآخر أو بطبقة اجتماعية أو بعرق آخر . لذا فان تحتاج المرأة إلى ممارسة حقوقها السياسية ومنها حقها في الانتخاب لكي تتمكن من الدفاع عن نفسها.... لذا فأنا من هذا المُنطلق أهاجم كل امرأة تُعلن بأنها قد حصلت على جميع الحقوق التي ترغب بها وهذا إما أن يكون انطلاقاً من ما لديها من مشاعر الأمومة أو بسبب الجهل... الجهل التام...

الأنوثة والأمومة مقالة
Womanhood and Motherhood
للكاتب توماس ونورث هيغنسون

أشعر دوماً بالضيق عندما يقول أحد المؤيدين أو المدافعين عن حق المرأة بالانتخاب ، مدفوعاً بالحماس، أي شيء يمسّ احترامه للأمومة. وأنا على يقين بأن مثل هذا الأسلوب في الحديث عن تلك المؤسسة العائلية التي لا يمكن أن تُقدّر بثمن، وبهذه الطريقة التي تجعلها تبدو كأنها من الأمور المبتذلة والمُخزية التي لايليق بالمرأة المتحررة، يُناقض حتى الاتجاه العام لموقف المصلحين الاجتماعيين.. صحيح بأن من النادر أن يتحدث أي شخص بهذه الطريقة.، لكن مجرد إشارة واحدة إلى المقصود بمثل تلك العبارات قد يكون له تأثير أكبر من تأثير أي من الحِجج التي قد يُدلي بها أعداء المرأة.

لكن كل شخص يُفكر بعقلانية يُدرك جيداً بأن رعاية الأم لأولادها ،على الرغم من أنها ليست الواجب الوحيد للمرأة ، تُعتبر من واجباتها الأساسية في الحياة .، وبأن أية نظرية أخرى حول حياة وواجبات المرأة تعتبر بأن رعاية الطفل لا تقع على عاتق المرأة هي نظرية خاطئة، وبأن المرأة تنشأ على هذا المبدأ حتى في تربيتها المدرسية...

ومن الأمور المُتفق عليها بوضوح هو أننا عندما نُطالب بحق المرأة بالاقتراع ندّعي دوماً بأنها تحتاج إلى ذلك لأجل مصلحة أولادها... وبأن ذلك الحق هو لحماية حقها بأطفالها ... وبأنه لكي يكون لها دورها الفعّال في موضوع تعليمهم... وبأنه لكي يكون لها صوتها في الحكومة التي سوف يعيشون في كنفها الخ ... تلك هي النقاط التي نادراً ما تحذف من بيان المطالبة بحق المرأة في الاقتراع . وأي شيء آخر سوف يكون خطأ...

ولكن من ناحية أخرى هناك خطأ أكبر في الإفراط أو التطرف باتجاه آخر ، وهو الأمر الأكثر أهمية.، فليس على المرأة أن تكرّس نفسها لطفلها أكثر من تكريس نفسها لزوجها أيضاً . ومع ذلك فنحن نسمع في كثير من الأحيان من يقول بأن هذا كل ما على المرأة أن تفعله...

وقد يقول البعض : ما هي أهمية عمل المرأة وما الذي قد تُنجزه المرة أة ؟ و ما هو الشيء الهام الجيد الذي بإمكانها أن تقدمه بما ستقوله وبما ستتحدث عنه وبما ستفعله في ميدان العمل السياسي بالمقارنة بما ستفعله عندما تقوم بتنشئة طفل صالح؟... وأعتقد بأنه ليس من السهل أن يفهم المرء منطقية مثل ذلك الرأي...

فما هي الخدمة التي قد يُقدمها الطفل للعالم ، ما عدا أنه سوف يقوم هو أيضاً بالكتابة أو بالتحدّث أو بالتصّرف بما هو جيّد وصحيح وصادق؟ ... وبأن الأم لو أضاعت الأم كل ذلك على الطفل أثناء فترة تنشئته فقد يقوم الطفل بكل بساطة بإنجاز ما لم تنجزه الأم فقط وبأن العالم لن يكسب العالم شيئاً بذلك ...

ولكن عندما تضحي الأم أيضاً بما عليها القيام به من واجبات أخرى لأجل ولدها فهي علاوة على ذلك تستبدل أمر جيد موجود بأمر محتمل الوقوع...

ولو كانت الأم سوف تفعل ذلك انطلاقا من محبتها الجامحة لطفلها فلن يكون بإمكاننا حينذاك أن نوجّه إليها اللوم ،. لكنها مع ذلك لن تتمكن من تبرير الأمر من الناحيتين المنطقية والعقلانية. فقد يتوفى طفلها وتزول بوفاته بالتالي الخدمة التي كان سيقدمها للمجتمع ،. وقد ينشأ طفلها وتكون لديه ما يُخالف ما لديها من مؤهلات ومن مواهب،. أوقد لاتكون لديه أية مؤهلات على الإطلاق . أو قد تكون الفرصة التي تكون فيها الأم قد قدمت الكثير من الأمور الجيدة لطفلها أو لطفلتها قد انقضت قبل أن يكبر ذلك الطفل أو تلك الطفلة ...

لو كان عمل المرأة يجب أن يقتصر على رعاية الأطفال ، ولو كان ذلك فقط ما ينتظره المجتمع من المرأة، فسوف تكون النتيجة ألا يتم انجاز أي من تلك الإنجازات لصالح المجتمع...

يجب أن تتم تأدية الأمور التي لها أهميتها في هذا العالم عندما تسنح الفرصة لتأديتها ، ومن قبل أول شخص جريء تكون لديه الرغبة والإمكانية لتأديتها ، سواء أكان من سيؤديها هو الرجل أو المرأة . ولو كان جميع الأولاد في جميع العائلات سوف يؤهلون لإنجاز الأعمال التي تفيد المجتمع عندما سيحين دورهم ، فسوف يكون ذلك بالفعل من صالح المجتمع ،. ولكن سوف يكون من الأفضل مع ذلك أن يقوم المرء بتحقيق الإنجازات الهامة عندما تسنح الفرصة لأداء تلك الإنجازات وبشكل مباشر ،. فليس لنا الحق بان نحيل تلك الانجازات إلى أشخاص آخرين حتى لو كان أولائك الأشخاص هم أولادنا ،. وإنما علينا ان نقوم بها بأنفسنا كما علينا أن نقوم بذات الوقت بتدريب أولادنا على ذلك.

لذا فأنا على استعداد لأن أتقبّل بأن العملية التربوية هي بأي شكل من الأشكال مهمّة لها أهميتها الكبرى مثلها مثل أية مهمّة أخرى ، لكنني لا أستطيع أن أحدّد ما هو الأكثر أهمية،. فليس هناك من سبب لأن نقوم بالتأجيل من جيل لجيل ، فلِم سيكون من الأفضل أن ينشىء المرء شخصاً مفيداً للآخرين من أن يقوم بتأدية ما يُفيد المجتمع بنفسه.

فلنعمل إذا بهذه النظرية باتّساق:

لو كان على كل أم أن تقوم فقط بتنشئة ابنتها لكي تقوم هي أيضاً بدورها بتنشئة شخص آخر ،. فهذا ما سوف يؤدي لأن تؤول الرغبة بالعمل الاجتماعي لدى كل جيل إلى الجيل الذي يليه بحيث تكون آخر النساء فقط هي التي سوف تقوم بنفسها بأي إنجاز قد يفيد المجتمع ، ما عدا تفرّغها لواجبات الأمومة وبذلك سوف يكون الأوان قد فات عندما سيأتي دورها لتقديم أية خدمة للمجتمع.

ولو قال أحدهم " ولكن سوف يصبح بعض أولائك الأطفال رجالاً وسوف تكون لهم فائدتهم في المجتمع أكثر من النساء" وأنا شخصياً أرفض مثل هذا المبدأ .

ولو قال آخر " قد يكون للأم الواحدة العديد من الأطفال وبذلك سوف يكون عليها أن تُضحي بنفسها...

والإجابة على ذلك هي التالي:

كما قد يكون لإنجاز هام واحد ما يُعادل الكثير من الإنجازات الصغيرة. فقد لا تُعادل أهمية أولائك الأطفال والأحفاد أهمية ما قد تُقدمه سيدة للمجتمع بمفردها. وأعتقد بأن تلك الأم ، لو كانت أسوة بالكثيرات من النساء، قد تمسكت منذ بداية أمومتها قد تمسكت فقط بواجبها العائلي فقط ،وبأنها كانت بالتالي قد تخلت عن جميع واجباتها الاجتماعية وعن اهتماماتها الأخرى أسوة بما تفعله العديد من النساء ، لكان العالم بكامله وحتى أولادها سيخسر أكثر مما سيستفيد منها لو أنها لم تكن قد تفرغت لرعاية أولادها فقط...

لذا فإن النظرية الأصحّ تبدو بسيطة جداً ، والحقيقة أن المرأة سوف تصبح بذلك خلال نصف سنوات حياتها غير قادرة على احتمال متاعب إنجاب الأطفال الذي قد تكون حتى بالنسبة إلى أكثر الأمهات عطاء وتكريساً من الواجبات التي لا تدخل في واجبات الأمومة. وحتى أن أكثر النساء عقلانية يحاولن خلال السنوات الأكثر استغراقاً بالأمومة المحافظة على مظهرن وعلى علاقتهن بالمجتمع، وبالأدب وبما يجري في العالم لأجل مصلحة أولادهن فقط . قد لا تصبح العديدات من النساء أمهات، وقد تجد أفضلهن حظاً بأن الاستفادة من أمومتهن تفوق إلى حدّ ما يمكن أن يقمن به من انجازات اجتماعية أخرى. ولكن هناك أيضاً من يجمعن بين الاتجاهين، كما أن الشيء ذاته صحي، ولكن بدرجة أقلّ ،بالنسبة لواجبات الأبوة...

مقالة زوجات يعتمدن على أنفسهن
Self supporting wives
للكاتب توماس ونورث هيغنسون

لم أكن قد فُتنت في وقت من الأوقات بالأسلوب الذي تُصوّر فيه الروايات الانكليزية الحياة العائلية ، وهو أسلوب الحياة الذي تكون فيه حوالي نصف الفتيات غير المتزوجات مقيمات مع عائلتهن، وأن يكون كل ما تقمن به هو حياكة النسيج الصوفي ورعاية آبائهن ... أعتقد بأن هناك قدر كافي من الأعمال الأخرى وبما يكفي لشغل طاقات الجميع بأسلوب طبيعي وأكثر فعالية، وبرأي بأنه في حال عدم وجود ما يكفي من أعمال للاستفادة من طاقات الجميع في العائلة، قد يكون من الأنسب للشابات أن يُغادرن كنف العائلة كما تغادر الطيور الصغيرة عشها الأبوي. لو أن ذلك العمل الإضافي يتم لأجل المال فلا بأس وهو أمر جيد جداً. لكن الشعور بكرامة الاعتماد على النفس هو في الحقيقة الأمر الذي يُزيل اللعنة التقليدية في موضوع عمل المرأة .، وللمرأة الحق بالمطالبة بالمشاركة في هذا الوضع الاجتماعي المحترم.

إلا أنني من جهة أخرى لا أوافق على رأي من يتحفّظ على أن يكون على المرأة أن تعتمد على نفسها حتى لو كانت متزوجة. يُعتبر دور المرأة في المهام العائلية من رعاية الشؤون المنزلية والأولاد من الأمور الأساسية في بناء الثروة العائلية مثله مثل أي عمل آ خر يقوم به من يعمل خارج المنزل .، لكن مساهمة الزوجات الشابات المتزوجات بشكل مباشر في تأمين الدخل للعائلة هو أمر غير مرغوب به على الإطلاق في كثير من الحالات وهذا ما يعني بأن يطلب منهن الكثير.

وليس هذا لأنه سوف يُشجعهن على التكاسل، ولكن لأن لديهن بشكل طبيعي ما يكفيهن من مهام.

وأنا في هذه النقطة بالذات أختلف بالرأي عن البعض وسوف أشرح بدقة ما الذي أقصده:

هناك الآن في قسم آخر من المنزل الذي أكتب فيه هذه المقالة، رجل وزوجته يعملان معاً في إلصاق ورق الجدران كل منهما في سن الخامسة والأربعين أو الخمسين . كبر أولادهما وتزوج البعض الآخر ولكن لديهما ابنة في المنزل هي في سن تجعلها قادرة على تولّي الأعمال المنزلية وبذلك فهي تقوم بها بالنيابة عن الأم .، وليست هناك بالطبع أية وسيلة أفضل لترتيب المهام المنزلية ، حيث يعمل الزوجان معاً أثناء النهار ثم يعودا مساءً للراحة في المنزل، وهما زوجان سعيدان لم يسبق أن صادفت من هما أسعد منهما.

لكن ميّزة هذا العمل بالنسبة لتلك الأم هو عدم وجود أية التزامات أخرى لديها.، فلو أنها كانت أماً شابة لديها العديد من الأطفال الصغار السن فسوف يضطرها عملها إلى إهمالهم أو إلى إيداعهم أثناء النهار في روضة للأطفال أو إلى أن تُرهق نفسها بالقيام بعدة أعمال معاً وسوف تكون تلك الأم بذلك مثيرة الشفقة. الأمومة شيء مقدس وهي أمر في غاية الأهمية يتطلب اهتمام الأم بواجبها تجاه أولادها .، وهذا ما يتطلب من الأم التفرغ له بصرف النظر، لو كان ذلك ممكناً عن الأعباء المنزلية الأخرى. فلو كان لدى الأم ما

يكفي من المقدرة البدنية ومن العزم للقيام بالأمور الأخرى على سبيل التسلية والاستمتاع فلا بأس من ذلك .، لكن عليها في هذه الحالة أن تُعفى منها على أساس أنها ليست من واجباتها الأساسية .

أما بالنسبة لاعتماد المرأة على نفسها فليس بإمكاني أن أقول أكثر من أن ذلك سوف يكون بالنسبة لأم لعدة أطفال صغار السن عبارة عن كارثة. وهذه الكارثة تحدث كثيراً كما نعلم، وكنت قد شاهدت أمثال تلك الأمهات بين النساء العاملات في المصانع وبين النساء السود اللواتي يعملن في حقول القطن.، وهن في الحالتين بوضع مأساوي وهو وضع يجعل جسم وعقل كل من الأم والأطفال يُعاني أشد المعاناة .أما التوزيع الصحيح للمسؤوليات فهو بأن تكون مهمة الأم أن تحمل وأن تضع وأن تحضن وأن تربّي بينما يقوم الأب بالدعم المالي وبالحماية... ولكن هل ينطبق هذا الأمر بأي شكل على الاقتراع؟ لا !.. على الإطلاق، لأن بإمكان المرأة أن تطّلع على الأمور الاجتماعية أثناء أوقات فراغها من المهام العائلية أثناء قيام زوجها بذلك وبينما يكون طفلها في سريره . كنت قد شاهدت من بين أكثر الأمهات تفانياً من يطالعن يومياً الصحف والكتب مهما كان لديهن من أعباء عائلية مما يجعل أذهانهن تبقى مُتجدّدة .، لكن أن يقال بأن على المرأة بالإضافة لمهامهما العائلية أن تكسب المال فهذا يعني أن يطلب منها الكثير والكثير جداً.

ومع ذلك فأنا أعلم بأن هناك الكثير من أصحاب العقول المُتحجرة ممن يُعارضون هذا الرأي...

الشبهة
Suspision
للكاتبة دوروثي سيرس

كان جو عربة القطار قد بدأ يُصبح عبِقاً برائحة السجائر، مما جعل السيد مومري يشعر أكثر فأكثر بأن الإفطار الذي تناوله لم يكن مناسباً له . قد لا يكون بما تناوله من أطعمة ما هو ضار بحدّ ذاته ـ خبز أسمر غني بالألياف ـ تماماً كما نصح به الخبير الصحّي في مقالته التي تم نشرها مؤخراً في صحيفة مورنينغ ستار ـ ولحم مُقدّد ، وبيض تم تحضيره بالطريقة المناسبة، وقهوة أعدّتها له السيدة ستون بالطريقة التي لا يتُقنها أحد مثلها.

كانت السيدة ستون اكتشافاً حقيقياً بالنسبة إليهما، وهو الأمر الذي على المرء أن يشعر بالامتنان لأجله. كانت زوجته إيثيل كانت قد أصيبت الصيف الماضي بانهيار عصبي، وهي في الحقيقة لم تعد قادرة على التعامل مع الفتيات غير المُدرّبات اللواتي تتالى مجيئهن وذهابهن إلى منزلهما بشكل عاصف. كما أن إيثيل قد أصبحت مؤخراً تتوتر من أقل شيء ، تلك الطفلة المسكينة !..

كان السيد مومري يبذل كل ما بإمكانه لتجاهل ذلك الشعور الداخلي المتزايد بعدم الارتياح، على أمل ألا يؤدي ذلك إلى أن يقع هو أيضاً فريسة للمرض.، ففي ذلك ما قد يتسبب باضطراب عمل المكتب، كما لابدّ أنه سيتسبب أيضاً بالكثير من القلق لإيثيل، والسيد مومري على استعداد لأن يُكرّس حياته التي كانت بالأحرى مُملة، وبكل رضى ، كي يوّفر على إيثيل ولو لحظة واحدة من القلق.

ابتلع أحد الأقراص التي تساعد على الهضم، والتي كان قد اعتاد مؤخّراً على أن يحملها معه ، ثم فتح صحيفته. لم يكن في تلك الصحيفة على ما يبدو الكثير من الأخبار الهامة جميعها من الأخبار التافهة: كان هناك ما كُتب عن الاستفسار الذي طُرح في مجلس الوزراء حول وضع ضاربات الآلة الكاتبة اللاتي تستخدمهن الدولة.، وعن أن أمير ويلز كان قد افتتح معرضاً للأحذية البريطانية.، وعن أن انشقاقاً آخر قد حدث في الحزب الليبرالي.، وعن أن الشرطة لا تزال تبحث عن المرأة المتهمة بتسميم إحدى العائلات في لينكولن.، وعن احتجاز فتاتين في مصنع مُحترق.، وعن حصول إحدى ممثلات السينما على حكم بالطلاق معلّق على شرط...

نزل السيد مومري في محطة باراجون واستقلّ الحافلة. كان شعور عدم الارتياح في أحشائه قد بدأ يأخذ شكل الغثيان.، وكان من حسن الحظ أنه قد تمكن من الوصول إلى المكتب قبل أن يحدث الأسوأ. جلس على مكتبه وقد شحب وجهه، لكنه استطاع مع ذلك السيطرة على نفسه، عندما دخل شريكه إلى المكتب بشكل عاصف.

قال السيد بروكس بصوته المرتفع :

"عمت صباحاً مومري" ثم أضاف سؤاله المعتاد " أليس الطقس بارداً بعض الشيء النسبة إليك؟"

أجاب السيد مومري "تماماً، الطقس شديد البرودة بالفعل."

قال السيد بروكس " نعم هذا الطقس بغيض، هو بغيض، بالفعل .. ولكن هل تشعر بأنك بخير تماماً ؟"

اعترف السيد مومري " ليس تماماً. في الحقيقة كنت أشعر... "

قاطعه شريكه بالقول " آسف أسف بالفعل. كان عليك أن تُصاب بنزلة البرد هذه قبل فترة. أصبت بها في الأسبوع الماضي. لكن منزلي الصغير سوف يصبح بهيجاً في فصل الربيع بالنسبة لحديقة في البلدة. من حسن حظك أنك تقيم في الريف. لابد وأنك تجد ذلك أفضل من العيش في "هول" أليس كذلك ؟ رغم أن لدينا ما يكفي من الهواء النقي في المنطقة العليا من الطرقات المُشجّرة. كيف حال السيدة ؟"

"شكراً، هي الآن بوضع أفضل بكثير."

"أنا سعيد بسماع ذلك، أنا في غاية السعادة. آمل أن نراها من جديد بيننا هذا الشتاء كالمعتاد. أنت تعلم بأنه ليس بإمكانهم الاستغناء عنها في جمعية الدراما...

بحق السماء ! ليس بإمكاني أن أنسى دورها في قصة الحب تلك، ذلك الدور الذي لعبته في العام الماضي مع الشاب ويلبيك في تلك المسرحية التي هزّت مشاعر المشاهدين ، ألم تكن كذلك ؟ كانت عائلة ويلبيك قد سألتني عنها في الأمس ."

"شكراً لك، نعم. آمل أن تتمكن من استعادة نشاطها الاجتماعي عما قريب. لكن الطبيب يقول بأن عليها ألا تُرهق نفسها. و بأن أهم شيء هو ألا تقلق، وأن تأخذ الأمور ببساطة، وألا تندفع وألا تبذل الكثير من الجهد."

" هذا صحيح تماماً، صحيح تماماً. القلق شيطان. لقد توقفت عن القلق منذ سنوات، أترى كيف أصبحت الآن ! أنا على استعداد الآن لتحمّل كل شيء، هذا لأنني بدأت أنظر إلى الأمور كما هي. بالمناسبة أنت لا تبدو لي بخير."

قال مومري " هو مجرد سوء هضم، لا أكثر، أو ربما كانت نوبة تشنج في الكبد، هذا ما توصلت إليه."

انتهز السيد بروكس مناسبة الحديث وقال على سبيل الدعابة " هل تستحق الحياة أن نعيشها؟ هذا يتوقف على الكبد..." ثم ضحك ضحكة عالية وقال :

"حسناً، حسناً، أعتقد بأن علينا أن نبدأ الآن بالعمل. أين عقد إيجار عائلة الفيرابي؟"

وبما أن السيد مومري لم يكن ذلك الصباح ميالاً إلى التحدّث، فقد رحب إلى حدّ ما بذلك الاقتراح، وكان بإمكانه بذلك الاستمرار في أداء مهامه كسمسار للعقارات بهدوء لو لمدة نصف ساعة فقط، لأن السيد بروكس عاد للتحدّث من جديد. قال فجأة :

"بالمناسبة، لم تعثر زوجتك بعد على طاهية جيّدة، أليس كذلك؟"

أجاب السيد مومري "حسناً، لا، فليس من السهل الحصول عليهن في الوقت الحاضر. لكننا تدبرنا أمرنا. ولكن لم تسأل ؟ هل ستتركم طاهيتكم العجوز ؟ هل ستفعل ذلك؟"

أطلق السيد بروكس ضحكة من القلب وقال " لا، بحق الله! سوف يحتاج تحريك تلك الطاهية العجوز من مكانها إلى زلزال. أنا أسأل لأجل عائلة فيليبسون ، سوف تتزوج ابنتهم، وهي من أسوأ الفتيات من ناحية التدبير المنزلي . قلت لفيليبسون عليك أن تكون حذراً بما ستفعله، يجب أن تحصل على شخص تعرف عنه كل شيء، وإلا فسوف تجد نفسك قد رسوت على تلك المرأة التي تُسمّم الناس ـ ما اسمها ـ تذكرت كان اسمها أندورس. لا أعتقد بأنك ترغب بأن يتم إرسال أكاليل الزهور إلى جنازتك بعد فترة قصيرة... هذا ما قلته له. كان قد ضحك ولكن ما قلته من الأمور ليس من الأمور المضحكة. ببساطة، لست أدري لماذا ندفع المال لعناصر الشرطة، فقد مرّ أكثر من شهر دون أن يتمكنوا من القبض على تلك المرأة. وكل ما يقولونه هو أنها ولابد لا تزال في المنطقة المجاورة، وبأنها ربما كانت تبحث الآن عن عمل طاهية لدى إحدى العائلات، لذا سألتك الآن عن طاهية ما!"

قال السيد مومري "فإذن، أنت لا تعتقد بأنها قد انتحرت ؟"

أجاب السيد بروكس بفظاظة "انتحرت؟ تلك الحقيرة؟ هل تعتقد هذا يا رجل؟ كان المعطف الذي عثروا عليه لمجرد التمويه. أمثال تلك النوعية من الناس لا يقتلون أنفسهم."

"من هي تلك النوعية؟"

"المهووسون باستعمال الزرنيخ. إنهم من الأشخاص الذين يخافون على أنفسهم. هم ماكرون كابن عرس، هم هكذا. كل ما يأمل به المرء الآن هو أن يتمكنوا من القبض عليها قبل أن تقضي على شخص آخر. وكان هذا ما قلته لفليبسون-"

" فإذن أنت تعتقد بأن السيدة أندروس هي من كانت قد فعلت ذلك؟"

"أتسألني فيما إذا كانت قد فعلت ذلك؟ هي من فعلت ذلك بالطبع ! وهذا أمر واضح وضوح النهار. كانت قد تولّت رعاية والدها العجوز ثم مات فجأة وترك لها بعض المال. ثم تولت إدارة منزل رجل عجوز ويموت ذلك العجوز فجأة. وهناك الآن هذا الرجل وزوجته ـ يموت الرجل وتُصاب المرأة بمرض شديد نتيجة تسمّمها بالزرنيخ وتهرب الطاهية.. وأنت تسألني هل فعلت ذلك؟.. لا أمانع من الرهان على أنهم لو حفروا قبور كل من الأب ومن ذلك الرجل العجوز لوجدوا فيهما أيضاً كمية كبيرة من الزرنيخ...

عندما يبدأ الشخص بارتكاب مثل هذه الجرائم لن يتوقف، فهي كما يمكن أن نقول تنبع من داخل نفوسهم."

قال السيد مومري " أعتقد أن الأمر كذلك"

ثم أمسك بصحيفته وبدأ يبحث عما كُتب عن موضوع المرأة المفقودة ثم قال " تبدو لي هذه المرأة غير مؤذية على الإطلاق، بل على العكس، فهي تبدو امرأة لطيفة من النوع الطيّب والعطوف."

قال السيد بروكس "لهذه المرأة فم قبيح " ذلك لأنه كان يؤمن بالنظرية التي تقول بأن شكل الفم يوحي بالشخصية "لذا فأنا لن أثق بمثل هذه المرأة على الإطلاق."

كان السيد مومري مع مرور ساعات النهار، قد بدأ يشعر ببعض التحسّن لكنه كان مع ذلك يشعر بالقلق حول ما سيكون عليه أن يأكله في وجبة الغداء. . لذا كان قد اختار بعناية بعض الأسماك وحلوى الكاسترد، كما حاول ،بشكل خاص، ألا يُسرع بتناول الحلوى بعد تناوله تلك الوجبة. وكان قد أحسّ بارتياح كبير، لأن السمك والكاسترد استقرا في معدته، ولأنه لم يشعر بعد تناوله الطعام بذلك الألم المضني الذي أصبح ينتابه منذ أسبوعين بعد كل وجبة طعام. وكان السيد مومري مع نهاية اليوم قد بدأ يشعر تماماً بالراحة وبالجذل وكان الخوف الذي كان ينتابه من المرض ومن أدوية الأطباء قد توقف. اشترى باقة من الأقحوان الذهبية اللون لكي يحملها معه إلى زوجته إيثيل، وكان بعد أن غادر القطار، قد بدأ يمشي في الطريق التي تمر عبر حديقة "مون أبري"، وهو يتطلع إلى ما ينتظره من متعة.

لكنه كان قد أصيب ببعض الخيبة لأنه لم يجد زوجته في غرفة الجلوس. دلف إلى الممر وفتح باب المطبخ وهو يمسك بباقة الأقحوان بيده، لكنه لم يجد هناك سوى الطاهية. كانت جالسة أمام المائدة بظهرها إليه، وكانت عندما اقترب منها قد نظرت إليه وكأنها تشعر بالذنب وقالت:

" ياإلهي !سيدي، لقد أجفلتني. لم أسمع صوت فتح الباب الأمامي."

قال مومري "أين السيدة مومري؟ أليست بخير من جديد؟"

"حسناً، كانت تلك المسكينة قد شعرت ببعض الصداع، لذا جعلتها تستلقي في فراشها. وقد حملت إليها كأساً من الشاي في الساعة الرابعة و النصف. أعتقد أنها الآن تنام نوماً هادئاً."

قال السيد مومري "يا للعزيزة المسكينة."

قالت السيدة ستون " لو سألتني عما تسبب بذلك، فسوف أعلمك بأنها كانت تقوم ببعض التغييرات في غرفة الطعام. قلت لها 'سيدتي، لا تُتعبي نفسك الآن' لكنك تعلم كيف هي سيدي، لديها ذلك الشعور الدائم بالضجر، فهي لا تحتمل أن تبقى بدون انشغال."

قال السيد مومري "نعم ، نعم أعرف ذلك، هذه ليست غلطتك، سيدة ستون.، أنا متأكد من أنك تعتنين بكلينا بشكل ممتاز. سوف أصعد إلى الأعلى لكي ألقي عليها نظرة، ولن أزعجها إن كانت نائمة. بالمناسبة ما الذي سنتناوله على العشاء؟ "

قالت السيدة ستون " أعددت لكم فطيرة لذيذة بشرائح اللحم والكلية، "

وكانت تبدو على استعداد لتغيير الوجبة إلى اليقطين أو إلى أية وجبة أخرى في حال عدم موافقته على ذلك.

قال السيد مومري "مُعجنات، حسناً. ولكنني ... "

سارعت السيد ستون بفتح باب الفرن لكي يلقي السيد مومري نظرة على الفطيرة وهي تحتج بالقول:

"ولكن سيدي، لقد طهوتها بالزبدة، لأنك قلت لي أن زبدة الخنزير تتسبب لك بسوء الهضم."

قال السيد مومري "شكراً لك، شكراً لك سيدو ستون . أنا متأكد بأنها سوف تكون ممتازة. الأمر هو أنني لم أكن أشعر مؤخراً بأنني بخير، يبدو أن زبدة الخنزير لم تعد تناسبني هذه الأيام."

أكدت السيدة ستون على ما قاله بالقول :

"حسناً، هي بالفعل لا تناسب بعض الأشخاص، هذا هو الأمر. لن أعجب أيضاً فيما لو كنتَ قد أصبتَ ببعض البرودة على كبدك، أنا متأكدة بأن هناك في مثل هذا الطقس ما يكفي لإزعاج أي شخص."ثم هرعَت فجأة إلى المائدة وقامت بإزالة الصحيفة المُصوّرة التي كانت تقرأها، وقالت: "قد تُفضّل السيدة تناول وجبتها في الأعلى؟"

قال لها السيد مومري بأنه سوف يذهب إليها كي يستطلع الأمر، ثم صعد على رؤوس أصابعه إلى الطابق العلوي.

كانت إيثيل مُستكينة تحت غطاء من الرياش . كانت تبدو هزيلة ضعيفة في ذلك السرير المزدوج. وكانت عندما دخل قد تحركت وابتسمت له.

همس السيد مومري " مرحباً حبيبتي!"

قالت "مرحباً ! هل عدت؟ يبدو أنني كنت نائمة . كنت قد شعرت ببعض التعب والصداع، لذا جعلتني السيدة ستون أصعد إلى الأعلى."

قال زوجها " لابدّ أنك كنت تتعبين نفسك كثيراً، حبيبتي، " ثم أمسك بيدها وجلس إلى جانب السرير.

"نعم، كنت قد تصرّفت بشكل أخرق. ما أجمل هذه الزهور، هارولد. أهذا كله لأجلي؟"

قال مومري برقّة " نعم هذا كله لأجلك، ألا أستحق شيئاً لقاء ذلك؟" وكانت السيدة مومري قد ابتسمت له، وبذلك شعر السيد مومري بأنه قد حصل على مكافأته أضعافاً مضاعفة.

ثم قالت السيدة مومري "هذا يكفيك تماماً، أيها العجوز العاطفية ، اذهب الآن، سوف أنهض من الفراش."

قال زوجها " من الأفضل لك أن تبقي في فراشك، يا غاليتي، وسوف تجلب لك السيدة ستون وجبة العشاء إلى هنا."

احتجت إيثيل، لكنه كان صارماً وقال لها بأنها لو استمرت في عدم العناية بنفسها، فلن يسمح لها بالذهاب إلى اجتماعات جمعية الدراما، ثم أعلمها بأن الجميع يتلهفون لعودتها، وبأن عائلة ويلبيك سألت عنها، وبأنهم قالوا بأنه ليس بالإمكان أن تسير الأمور بدونها.

قالت إيثيل ببعض الحماس " هل سألوا عني بالفعل؟ من اللطف أن يرغبوا بوجودي. حسناً، ربما علي أن أبقى في الفراش. ولكن كيف أمضى زوجي العجوز يومه؟"

"لا بأس، لا بأس."

"ألم تعد تشعر بتلك الآلام في المعدة؟"

"حسناً، شعرت بالقليل فقط من آلام المعدة، لكنها توقفت تماماً الآن. ليس هناك ما يستدعي قلقك."

لم يكن السيد مومري قد شعر في اليوم التالي ولا في اليوم الذي تلاه بأية أعراض لتلك الآلام المبرحة .، وكان قد اتبع النصيحة التي قرأ عنها في الصحيفة، وبدأ يشرب عصير البرتقال، و شعر بالرضى لنتيجة ذلك العلاج. لكنه ليلة الخميس بدأ يشعر من جديد بالكثير من التوعّك ، مما جعل إيثيل تشعر بالخطر وتُصّر على استدعاء الطبيب. ولم يجد الطبيب .بعد أن قام بجسّ نبضه وبالنظر إلى لسانه، بأن الأمر جديّاً . لذا كان بعد أن استفسر منه عما تناوله من أطعمة، قد أدرك بأن وجبة العشاء كانت تتألف من كوارع الخنزير وبأن السيد مومري كان قد تناول بعد ذلك بعض حلوى الحليب، كما أنه كان ،قبل أن يأوي إلى فراشه، قد شرب كأساً كبيرة من عصير البرتقال، وفق الحمية الجديدة التي كان يتبعها.

قال له الطبيب جريفث ممازحاً:

"هذه هي مشكلتك، قد يكون عصير البرتقال جيّداً، لكن ما جعل ذلك المزيج ضاراً للكبد هو أنك كنت قد شربته مع الكوارع. لست أدري لماذا، لكن الأمر هكذا دون شك. سوف تتقيد الآن بوصفة طبيّة بسيطة: عليك أن تتناول السوائل فقط لمدة يوم أو يومين، وأن تبتعد عن تناول لحم الخنزير."

ثم استدار إلى السيدة مومري وقال :

"لا تقلقي عليه سيدة مومري زوجك قوي سليم البنية. أنت الشخص الذي يحتاج إلى العناية. أنت تعلمين بأنني لا أريد أن أرى هذه الهالات السوداء تحت عينيك. نعم ـ كانت ليلة مُقلقة بالنسبة إليك بالطبع. هل تتناولين الشراب المُقوّي بانتظام ؟ جيّد. حسناً ! لا تقلقي على زوجك. سوف نراه خلال وقت قصير وهو يتجوّل هنا وهناك في الخارج."

تحقق ما قاله الطبيب ولكن ليس على الفور . ثم وجد السيد مومري بأن يتقيد بإتباع حِمية خاصة، بحيث يكون كل ما يتناوله من الأطعمة شبيهاً بما يتناوله الأطفال

ـ خبز وحليب ولحم عجل ـ وبالإضافة إلى ذلك الشاي الذي تُعدّه السيدة ستون بكل عناية، والتي كانت إيثيل تحمله إليه بنفسها إلى سريره . أما إيثيل فكانت قد ظلّت متوعكة الصحة طوال يوم الجمعة، ثم استطاعت بعد ظهر يوم السبت أن تنزل السلالم وهي ترتجف . كان السيد مومري لايزال يعاني بالطبع من بعض الوهن العام. لكنه تمكن مع ذلك من الاطلاع ومن توقيع بعض الأوراق التي كان السيد بروكس قد أرسلها إليه من المكتب ، كما قام بتدقيق دفاتر الحسابات العائلية، ذلك لأن إيثيل لم تكن من سيدات

الأعمال، لذا كان السيد مومري يراجع معها تلك الحسابات. وكان بعد أن قام بتسوية حسابات اللحّام والخباز وبائع اللبن وتاجر الفحم، قد نظر إلى زوجته وسألها:

"هل هناك أية أمور أخرى تحتاج للتسوية ، حبيبتي؟"

قالت إيثيل "حسناً، هناك موضوع السيدة ستون، هذه نهاية الشهر كما تعلم."

قال "جيّد، هل أنت مقتنعة بها تماماً ؟"

"نعم، وما رأيك أنت ؟ أنا أرى بأنها طاهية جيدة، كما أنها هي عجوز لطيفة وعطوفة أيضاً. ألا ترى بأنني كنت قد تصرفت بذكاء، بأن استخدمتها هكذا على الفور؟"

قال السيد مومري "أعتقد ذلك، بالفعل."

" كان من العناية الإلهية بالفعل أن تأتي إلينا هكذا بعد أن تركتنا تلك البائسة الحقيرة جين حتى دون أن تُعلمنا برغبتها في ذلك. كنت في غاية الإحباط . كان استخدامها على الفور وبدون شهادات مرجعية عبارة عن مقامرة بالطبع، ولكن بما أنها كانت تقوم برعاية إحدى الأرامل فلم يكن من المتوقع أن نحصل منها على مثل تلك الشهادات المرجعية."

قال السيد مومري " لا ، لا بالطبع "

لكنه كان بذات الوقت قد بدأ يشعر بالضيق من هذا الموضوع، إلا أنه لم يكن يرغب بالطبع في أن يقول الكثير. كانا ببساطة في حاجة إلى استخدام إحداهن ،. وقد ثبت نجاح التجربة، لذا لم يعد هناك الكثير مما قد يقال. كما أنه كان قد حاول ذات مرّة أن يقترح عليها الكتابة إلى كاهن الأبرشية التي تتبع لها السيدة ستون للسؤال عنها، لكن إيثيل قالت حينذاك بأنه ليس بإمكان الكاهن أن يعلمهم بأي شيء حول الطبخ والطباخين فهذه ليست من مهامه وإنما هي مهمة رئيس الطباخين."

وبعد أن قام السيد مومري بحساب الراتب الشهري للسيدة ستون لمدة شهر قال "بالمناسبة، عزيزتي، أرجو إعلام السيدة ستون بأنه في حال رغبتها بقراءة صحيفة الصباح قبل قدومي، فسوف أكون مُمتناً لو أنها تقوم بعد ذلك بطيّ الصحيفة بعناية."

وقالت زوجته " يالك عزيزي من عجوز مُتطلّب."

تنهد السيد مومري. فلم يكن بإمكانه أن يشرح لها بأية طريقة بأن من الضروري أن تصل إليه جريدة الصباح أنيقة وجديدة، وحدّث نفسه ـ لا تهتم النساء مطلقاً بمثل هذه الأمور...

كان السيد مومري قد شعر يوم الأحد بتحسن كبير ـ وبأنه عاد تماماً إلى وضعه القديم ، وكان قد استمتع بتناول إفطاره في الفراش وهو يقرأ صحيفة " أنباء العالم". كان مومري يحب أن يطلع على أنباء حوادث القتل بشكل خاص ،. كان يشعر بإطلاعه على مغامرات الآخرين بنوع من الرعشة المُحببة، وبأنها من الأمور البعيدة عن مجرى الحياة اليومية وفي ضواحي مدينة "هول".

ثم تبيّن له بأن السيد بروكس كان على حق . فقد تم إعادة حفر قبر والد السيدة أندروس ربّ العمل السابق للطاهية، وثبت بأنه كان بالفعل قد تسمم بالزرنيخ.

نزل إلى الطابق السفلي لتناول العشاء ـ قطعة لحم عجل مع بعض البطاطا المطهوّة مع اللحم ، وطبق من حلوى البودينغ الخفيفة، تلا ذلك قطعة من فطيرة التفاح. كان من الممتع ، بعد تلك الحمية التي استمرت لمدة ثلاثة أيام، أن يتذوق بعض الدهون الخفيفة غير المُشبعة تماماً. أكل باعتدال وهو يشعر بالمتعة...

من ناحية أخرى، لم تكن إيثيل تشعر بالكثير من الميل لتناول الطعام، وهي على كافة الأحوال لم تكن من الأشخاص المُغرمين بأكل اللحوم. كانت من النوع الذي يصعب إرضاءه، كما أنها علاوة على ذلك، كانت تخشى دوماً ـ دون داع ـ أن يزداد وزنها...

حدث ذلك في الساعة الثالثة من بعد ظهيرة أحد أيام الربيع الجميلة، حيث كان قد خطر ببال السيد مومري ، بعد أن تأكّد بأن اللحم المشوي الذي تناوله قد استقر بشكل جيّد في معدته، أن يقوم بزراعة ما تبقى من الفسائل (الشتلات) في الحديقة . ارتدى على الفور معطفه القديم المخصص للبستنه وبدأ يتجوّل في الحديقة حول الأحواض وهو يحمل معه كيساً يحتوي على مسطار (أداة للزراعة) وبعض فسائل أزهار الخزامى . لكنه تذكر بأنه يرتدي بنطالاً لا يتناسب مع العمل في الحدائق، لذا وجد بأن من الحكمة أن يضع البساط على الأرض لكي يجثو عليه. تساءل عن المكان الذي ترك فيه ذلك البساط آخر مرة ؟ لم يتذكّر ذلك في البداية، ثم خطر بباله بأنه قد يكون قد تركه في إحدى الزوايا تحت المصطبة. انحنى إلى الأسفل وبدأ يبحث عنه في العِتمة بين أصص الزهور. نعم، ها هو ! لكنه وجد إلى جانبه شيئاً صغيراً. رفع ذلك الشيء الصغير إلى الأعلى بعناية. نعم، إنها بالطبع بقايا تلك العُشبة الضارة .

ألقى السيد مومري نظرة سريعة إلى اللصاقة الوردية اللون التي كتب عليها بأحرف مطبوعة:

" عُشبة قاتلة ـ سُمّ الزرنيخ" ثم شعر بالكثير من الاضطراب فقد تبيّن له بأنها من نفس النوع الذي ارتبط بمقتل السيدة أندروس الضحية الأخيرة التي قرأ عنها في الصحف ... لكنه بذات الوقت ببعض السرور، لأنه أصبح على نحو ما، ولو كان ذلك عن بعد، على تواصل بتلك الأحداث الهامة. لكنه شعر بالضيق عندما تبيّن له بأن سدادة الزجاجة لم تكن مُحكمة الإغلاق تماماً.

تمتم " كيف حدث أن تركتها هكذا ؟ ليس من المستغرب أن تكون فترة صلاحيتها قد انتهت." رفع السدادة ونظر بداخل الوعاء المعدني، الذي بدا نصف مليء. ثم أعاده إلى مكانه وضغط على السدادة بقوّة لمزيد من الأمان. ثم غسل يديه بعناية فهو من النوع الذي لا يؤمن بالتعرض للمخاطر.

لكنه شعر ببعض الارتباك لأنه كان عندما عاد إلى منزله بعد أن أنهى زراعة الخزامى قد وجد بعض الزوار في غرفة الجلوس. صحيح أنه كان يُسرّ دوماً برؤية السيدة ويلبيك وابنها، لكنه كان يُفضّل أن يكون على علم مُسبق بتلك الزيارة، وبأن يكون على الأقل قد تخلّص تماماً من التراب الذي كان على يديه، وعدا عن أن السيدة ويلبيك كانت قد جاءت لزيارتهم دون إعلام مسبق، فهي أيضاً امرأة ثرثارة لا تهتم مطلقاً سوى

بما تريد أن تتحدث عنه. وكان أكثر ما تسبب للسيد مومري بالضيق، هو أنها اختارت التحدّث عن الموضوع المتعلق بقضية التسمم في لينكولن، فكرّ السيد مومري " هذا هو الموضوع الأقل تناسباً مع تناول الشاي، حتى في أفضل الأوقات. كان اضطرابه الشخصي كان لا يزال شديداً، مما جعله يشعر بالغثيان من ذلك الحديث الذي تناول جميع الأعراض الطبية للتسمم. وعلاوة على ذلك، فإن مثل ذلك الحديث لم يكن جيّداً بالنسبة لزوجته إيثيل.، فمن المفترض أن الشخص الذي قام بعملية التسميم لايزال في الجوار . وفي ذلك ما يكفي لأن يتسبب بالاضطراب لأية امرأة حتى لو كانت امرأة قوية الأعصاب. وكان السيد مومري بنظرة سريعة ألقاها على إيثيل، قد أدرك مقدار ما كانت عليه من شحوب وبأنها كانت ترتجف... فكّر "عليه أن يوقف حديث السيدة ويلبيك بأية طريقة، وإلا فسوف تتكرر الآن تلك المشاهد الهستيرية المفزعة التي حدثت سابقاً."

تدخّل في الحديث فجأة بشيء من الفظاظة وقال:

"سيدة ويلبيك، أعتقد بأنه الوقت المناسب للحصول على فسائل نبات الفرستيه. لو رغبت بمرافقتي إلى الحديقة، فسوف أجلبها لك الآن."

لاحظ حينئذ بأن إيثيل تبادلت مع الشاب ويلبيك (ابن السيدة) نظرة تنم عن الكثير من الارتياح . لابد وأن ذلك الفتى قد تفهّم الوضع وبأنه كان يشعر بالضيق من تصرف ولدته المنافي للباقة . نهضت السيدة ولبيك وهي تلهث قليلاً، واتجهت إلى الحديقة برفقة مُضيفها. كانت على ما يبدو تشعر بالحماس لتلك المهمة الجديدة. و بينما كان السيد مومري يُقلّم شتلات النبات، بدأت السيدة ويلبيك تثرثر بمرح عن أمور البستنة، وتُطري عليه وعلى نظافة الممرات المفروشة بالحصى. ثم قالت :

"ببساطة، ليس بإمكاني أن أتخلّص بسهولة من الأعشاب الضارة."

أشار السيد مومري عليها باستخدام قاتل الأعشاب الضارة (الزرنيخ) وأشاد بفعاليته.

حدقت به السيدة ويلبيك حينئذ وقالت " أتقصد أن أستعمل تلك المادة ؟ " ثم ارتعدت وقالت بحزم ":

لن احتفظ بمثل هذه المادة في بيتي حتى لو أعطيتني ألفاً من الجنيهات."

ابتسم السيد مومري وقال " نحن أيضاً نُبعد هذه المادة عن المنزل، رغم أنني من الأشخاص المُهملين..."

ثم أنهى الحديث فقد تذكّر فجأة تلك السدادة غير الثابتة، مما جعله يشعر وكأن مجموعة من الأفكار السوداء قد بدأت تحتشد في أعماق ذهنه. توقف عند ذلك الحدّ، وذهب إلى المطبخ لكي يجلب صحيفة قديمة يُغلف بها تلك الفسائل.

من المؤكد أن اقترابهما من المنزل كان قد شوهد من نافذة غرفة الجلوس، كان ويلبيك الشاب عندما دخلا إلى الغرفة قد وقف على قدميه وأمسك بيد إيثيل وهو يتظاهر بوداعها ثم قام بعد ذلك بتدبّر أمر خروج والدته من المنزل بسرعة وبلباقة ...

عاد السيد مومري بعد ذلك إلى المطبخ لكي يقوم بإعادة ترتيب الصحف التي كان قد أخرجها من الدرج، ولكي يتفحصّها أيضاً عن كثب. كان هناك ما استوقفه وجلب انتباهه في تلك الصحف، وكان ذلك ما يرغب بالتأكد منه. تفحّصها بعناية كبيرة صفحة صفحة. نعم ـ كان على حق. لقد تم ،وبكل عناية، قصّ جميع الصور التي كانت قد نشرت في تلك الصحف للسيدة أندروس، كما تم قصّ كل سطر وكل فقرة كُتبت عن قضية التسمم في لينكولن .

جلس السيد مومري في المطبخ بجانب المدفأة . كان يشعر بأنه بحاجة إلى الدفء، وبأن هناك كتلة باردة تحفر في معدته، وبأن هناك ما كان يخشى التحقّق منه...

حاول أن يتذكّر مظهر السيدة أندروس كما كانت الصحف قد صوّرتها، لكنه لم يكن يمتلك ذاكرة بصرية. تذكّر كيف كان قد قال لبروكس بأن لها وجهاً عطوفاً. ثم حاول بعد ذلك حساب الفترة الزمنية التي مرّت منذ اختفائها. فترة تقارب الشهر كما قال بروكس. ولكن يجب أن تكون المدة قد تجاوزت الشهر حتى الآن . شهر... ذلك لأنه كان قد سدد للتو حساب الشهر للسيدة ستون.

إيثيل!.. كانت تلك هي الفكرة الأولى التي خطرت بباله. عليه أن يتغلب على شكوكه المريعة هذه بأي ثمن... عليه أن يُجنبّها أية صدمة، أي قلق.... عليه أيضاً أن يتأكد من الأرض التي يقف عليها. لو كان سيطرد الطاهية الوحيدة المناسبة التي حصلا عليها لمجرد بعض الأفكار الجنونية، ولأجل ذعر لا أساس له، فسوف يكون ذلك من الاستهتار ومن القسوة بالنسبة للامرأتين معاً. لو كان عليه أن يقوم بذلك، فسوف يكون تصرفه اعتباطياً وبعيداً عن الصواب... لا، ليس بإمكانه أن يقترح على إيثيل مثل تلك الأشياء المرعبة. وكيفما كان ذلك سيحدث، فسوف تكون هناك مشكلة، ولن تفهم إيثيل ذلك، كما أنه لن يجرؤ مطلقاً على إعلامها بذلك.

ولكن ماذا لو كان هناك بالصدفة بعض الحقيقة في هذا الشك المخيف، كيف بإمكانه أن يُعرّض إيثيل إلى ذلك الخطر المروّع، بأن يترك تلك المرأة في المنزل ولو للحظة واحدة؟ ثم بدأ يُفكر بتلك العائلة التي تسممت في لينكولن، ذلك الرجل الذي مات وتلك المرأة التي نجت بأعجوبة. هل هناك أكثر من مثل هذه الصدمة ومن هذه المجازفة؟...

شعر السيد مومري فجأة بالوحدة وبإرهاق شديد ، ولكن ... ربما كان مرضه ما جعل تلك المشاعر تنطلق ... متى بدأت تلك الأعراض المرضية لديه ؟... كانت النوبة الأولى منذ ثلاثة أسابيع. نعم، لكنه كان دوماً عرضة لمشاكل مِعدية، ولنوبات في القناة الصفراوية... ربما لم تكن تلك النوبات عنيفة جداً كما أنها لم تكن تستمر طويلاً كما يحدث معه الآن، لكنها كانت دون شك نوبات القناة الصفراوية...

جرجر نفسه وذهب بتثاقل إلى غرفة الجلوس. كانت إيثيل قابعة هناك في إحدى الزوايا.

"هل أنت متعبة، حبيبتي؟"

نعم، قليلاً."

"لابد أن تلك المرأة قد أتعبتك بثرثرتها. كان عليها ألا تتحدث كثيراً."

"لا" ثم تنقلت برأسها بسأم بين الوسائد وقالت:

"كان كل حديثها عن تلك القضية الرهيبة. لا أحب سماع مثل تلك الأشياء."

"بالطبع لا، ومع ذلك فعندما تحدث مثل تلك الأمور فلابد من أن يتحدث الناس عنها وأن يُثرثروا حولها. سوف يكون من المريح أن يلقوا القبض على تلك المرأة، لا يميل المرء إلى التفكير..."

" لا أريد التفكير بأي شيء يتعلق بتلك الأمور الكريهة. لابد وأن تلك المرأة مخلوقة رهيبة."

"هي رهيبة بالفعل، وهذا ما قاله لي اليوم السيد بروكس..."

"لست أرغب في سماع ما قاله. لا رغبة لدي بسماع أي شيء عن كل ما يتعلّق بهذا الموضوع. أريد أن أشعر بالسكينة . أريد أن أشعر بالهدوء والسلام !..."

أدرك السيد مومري حينئذ بأنها كانت بداية لنوبة الهستريا.

"سوف أصمت، لا تقلقي، حبيبتي. لن نتحدث بعد الآن عن مثل هذه الأمور المفزعة."

"كلا. لن يفيد التحدث عنها."

ذهبت إيثيل إلى فراشها في تلك الليلة بوقت مبكّر. كان من المتفق عليه أن يبقى السيد مومري يوم الأحد مع إيثيل إلى أن تأتي السيدة ستون ، كانت إيثيل تشعر دوماً ببعض الضيق من ذلك الأمر، لكن السيد مومري أكّد لها بأنه يشعر بأنه في وضع جيّد.

كان السيد مومري بالفعل بوضع جيّد من الناحية الفيزيائية، أما بالنسبة لوضعه النفسي، فهو في الحقيقة كان يشعر بالضعف والاضطراب. كان قد قرّر أن يُبدي ملاحظة عابرة للسيدة ستون حول الصحف الناقصة لكي يرى ما الذي ستقوله.

وكان في الساعة العاشرة إلا الربع قد سمع صوت الطقطقة المألوفة لمزلاج سور الحديقة. اجتازت بعض الأقدام الممر المفروش بالحصى، ثم سُمع صوت صرير الباب الخلفي، تلاه صوت سُقاطة الباب، ثم صوت إغلاق الباب، ثم قعقعة المزاليج مما يدلّ على أن السيدة ستون قد أصبحت في المنزل. تلا ذلك فترة مؤقتة من السكون لابد وأن السيدة ستون تخلع الآن قبعتها، سوف يحين الوقت !...

عندما سمع مومري وقع الأقدام في الممر فُتح الباب ظهرت السيدة ستون أمام عتبة الباب بثوبها الأسود الأنيق. شعر مومري ببعض التردد بأن يقوم بمواجهة مثل تلك المرأة ذات الوجه الممتلئ والعينين اللتين تحجبهما نظارات ذات إطار داكن. ربما كانت هناك بالفعل بعض القسوة في شكل فمها ؟ أم أن هذا لأنها فقدت أكثر أسنان الصف الأمامي؟

قالت "سيدي، هل ستطلب مني شيئاً مُحدّداً لهذه الليلة، قبل أن أصعد إلى الأعلى؟"

"لا، شكراً لك، سيدة ستون."

"أرجو أن تكون قد بدأت تشعر بالتحسّن، سيدي."

بدا له وكأن تلك اللهفة والاهتمام بصحته من النوع الشرير، كما كانت نظرة عينيها، من وراء النظارات، تبدو له غامضة.

"أفضل بكثير، شكراً لك، سيدة ستون."

"أرجو ألا تكون السيدة مومري متعبة، هل هي متعبة؟ هل علي أن أحمل إليها كأسا من الحليب أو غير ذلك؟"

"لا، شكراً، لا."

كان يتحدث بسرعة مما جعلها تبدو مُحبطة وتقول:

"جيّد جداً، سيدي، عِمت مساءً."

"عمتِ مساءً. أووه ..! بالمناسبة، سيدة ستون !"

"نعم، سيدي؟"

قال السيد مومري " أووه... لا شيء، لا شيء."

فتح السيد مومري صحيفته في صباح اليوم التالي بلهفة. كان سيشعر بالسرور لو أنه قرأ نبأ القبض على أحد الأشخاص خلال عطلة الأسبوع، لكن لم تكن هناك أية أنباء هامة بالنسبة إليه ـ أقدم رئيس مجلس إدارة شركة توصية على الانتحار ـ أما باقي العناوين فكانت تتعلق بالأحداث المتعلقة بخسائر الملايين وبإفلاس المساهمين. كان ذلك كل ما في تلك الصحيفة، وكانت مأساة تسمم العائلة في لينكولن قد نُقلت إلى مجرد نبأ مُبهم في الصفحة الأخيرة من الصحيفة مما يدل على أن الشرطة لا تزال في حيرة من أمرها.

كانت الأيام التالية من أسوأ ما مرّ به السيد مومري، فقد اعتاد على العودة مبكّراً في الصباح، وعلى التجوّل خِلسة في المطبخ. وهذا ما كان يجعل إيثيل تشعر بالكثير من التوتر. أما السيدة ستون فلم تكن تبدِ أية ملاحظة، وإنما كانت ترقبه ، كما يعتقد ، نوع من التسامح وحتى بشيء من التسلية . كان ذلك سخيفاً على كافة الأحوال. فما الفائدة من مراقبة وجبة الإفطار، مادام عليه أن يكون يومياً خارج المنزل من الساعة التاسعة والنصف صباحاً وحتى السادسة مساء؟

أما في المكتب، فقد بدأ بروكس يُمازحه ويُعلّق على كثرة اتصالاته بإيثيل. لكن السيد مومري لم يُلق بالاً لكل ذلك، وكان يشعر بالطمأنينة لسماع صوتها والتأكّد من أنها بخير وبأمان.

لم يحدث شيء بعد ذلك. و كان السيد مومري في يوم الخميس الذي تلا ذلك، قد بدأ يشعر بأنه كان أبلهاً

بظنونه.

عاد السيد مومري قد عاد إلى المنزل متأخراً في تلك الليلة، كان بروكس قد أقنعه بالذهاب معه إلى حفل عشاء عِزابي بسيط، أقيم لوداع لصديق لهم كان على وشك الزواج. لكن السيد مومري ترك الآخرين في الساعة الحادية عشر، فلم يكن يرغب في أن تضيع الليلة بكاملها لأجل تلك الدعوة. كان جميع من في المنزل نياماً، لكنه وجد على الطاولة ملاحظة تركتها له السيدة ستون تُعلمه فيها بأن في المطبخ بعض شراب الكاكاو لأجله يحتاج فقط للتسخين. قام السيد مومري بتسخينه في القِدر الذي كان فيه فلم يكن فيه أكثر ما يملأ كأساً واحدة.

وقف إلى جانب موقد المطبخ وارتشف منه رشفة واحدة دون انتباه، لكنه كان بعد الرشفة الأولى، قد وضع الكأس جانباً وتساءل هل ما يشعر به كان مجرد تخيّل أم أن فيه بالفعل بعض الطعم الغريب؟ ثم ارتشف رشفة أخرى من ذلك الشراب، وأخذ يمتصها بلسانه. خُيّل إليه أن فيها مذاق خفيف لمعدن، كان ذلك المذاق حاداً وكريهاً. شعر بذعر مفاجئ وبذلك أسرع إلى حجرة غسيل الأطباق وبصق كل ما في فمه في الحوض. وقف للحظة أو لحظتين دون حراك. ثم قام، بنوع من التروّي الفضولي، كما لو أن حركاته كانت تُملى عليه، بالبحث عن زجاجة فارغة على رفّ حجرة المؤن. غسل الزجاجة في المغسلة بعناية وكان بعد أن أفرغ فيها محتويات الكأس،قد دسّ الزجاجة في جيب معطفه وتوجّه على رؤوس أصابعه إلى الباب الخلفي. لم يكن من السهل فتح المزاليج دون أن يصدر عنها بعض الصوت، إلا أنه تمكن أخيراً من تدبّر الأمر. تسلّل عبر الحديقة إلى مصطبة الزرع، وهو لا يزال على رؤوس أصابعه. توقف هناك وأشعل عود ثقاب. كان يعرف تماماً المكان الذي كان قد خبأ فيه زجاجة الزرنيخ القاتل. لابد أنها في الخلف تحت الرفّ ووراء القِدر. رفعها بفضول، لكن عود الثقاب سقط وأحرق أصابعه، لكنه استطاع مع ذلك، حتى بدون أن يتمكن من إشعال عود ثقاب آخر، وبمجرد حاسّة اللمس، أن يتبيّن بأن غطاء الزجاجة كان مُتقلقلاً من جديد.

شعر السيد مومري بذعر شديد وهو يقف في ذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الأرض بمعطفه وبلباس السهرة الرسمي، يحمل معه السدادة في يدّ وعلبة الثقاب في اليدّ الأخرى. كان يرغب بإلحاح بأن يهرب من هذا المكان، وبأن يُطلع أحدهم عما اكتشفه.

لكنه أعاد وضع السدادة مكانها كما كان قد وجدها وعاد إلى المنزل. وكان وهو يجتاز الحديقة، قد لاحظ ضوءاً منبعثاً من نافذة غرفة نوم السيدة ستون. شعر بالرعب مما فعله أكثر من كل مما جرى قبل ذلك. تُرى هل كانت تراقبه؟ كانت نافذة غرفة نوم إيثيل مظلمة. فلو كانت قد شربت ما قد يتسبب لها بالموت، لكانت جميع الأنوار مُضاءة، ولكان هناك بعض الحركة في المنزل، وقد يكون قد تم استدعاء الطبيب كما حدث عندما أصيب هو بتلك النوبات أو بتلك "الهجمات" وهذا هو التعبير الأصحّ!..

وكان مع ذلك قد دخل إلى المطبخ، وهو تلك الحالة الغريبة من الاتقاد الذهني ومن التيقّظ. غسل الإناء

وأعدّ كمية أخرى من شراب الكاكاو وتركها بجانب القدر. ثم تسلل بهدوء إلى غرفة نومه.

سمع صوت إيثيل ترحب به على العتبة. قالت:

"هارولد، لقد تأخرت كثيراً، أيها الفتى الكبير الشقي! هل أمضيت وقتاً ممتعاً ؟ "

"لا بأس. هل أنت بخير، حبيبتي؟"

" أنا بخير تماماً، هل تركت لك السيد ستون شراباً ساخناً؟ كانت قد أعلمتني بأنها ستفعل ذلك."

"نعم، لكنني لا أشعر بالعطش."

ضحكت إيثيل " آه، هل كانت الحفلة من نوعية تلك الحفلات؟... هل كانت كذلك؟..."

لم يحاول السيد مومري الإنكار. خلع ملابسه وذهب إلى فراشه، وضم زوجته إلى صدره، وكأنه بذلك كان يحاول أن يتحدّى أن يأخذها منه الموت والجحيم. سوف يتصرّف في صباح اليوم التالي.... نعم سوف يتصرف ... شكراً الله لأنه لم يكن قد تأخر كثيراً...

كان السيد ديميثروب الكيميائي من الأصدقاء المُقربين لعائلة السيد مومري. كانا يجلسان معاً في كثير من الأحيان في مخزن صغير في سبرينج بانك، ويتبادلان الآراء حول لعب الورق. روى مومري للسيد ديميثروب قصته كاملة وبكل صراحة ، وسلّمه زجاجة الكاكاو. هنأه السيد ديميثروب على حكمته وذكائه. وقال:

"سوف تكون النتيجة جاهزة هذا المساء. وإن كان الأمر كما تعتقد، فسوف تكون أمامنا قضية واضحة تتطلب منا سرعة التصرف."

شكره السيد مومري وتوجه إلى عمله .لكنه كان طوال اليوم حائراً، شارداً، ومهملاً لعمله. لم يكن لذلك أهميته بالنسبة إلى السيد بروكس الذي كان قد أنهى حفلته بالعربدة حتى الهزيع الأخير من الليل، وبذلك لم يكن في مزاج يُؤهله لأن يكون دقيق الملاحظة.

في الساعة الرابعة والنصف، أغلق السيد مومري مكتبه وأعلن بأنه سوف يغادر المكتب في وقت مّبكّر، لأن عليه أن يُجري اتصالاً هاتفياً.

كان السيد ديميثروب متأهباً لاستقباله وقال:

"ليس هناك أدنى شكّ في الأمر، فقد استخدمت اختبار مارش، إنها جرعة قوية، وليس من المستغرب أن تكون قد أحسست بطعمها. لابد وأن في تلك الزجاجة أربعة أو خمسة غرامات من الزرنيخ الصافي. انظر هذا هو أنبوب الاختبار. بإمكانك الآن أن تنظر إلى نفسك في المرآة لكي تتأكد من أنك لاتزال على قيد الحياة.

حدّق السيد مومري بالأنبوب الزجاجي الصغير الذي كانت تبدو فيه تلك البقع المشؤومة السوداء والأرجوانية اللون.

سأله الكيميائي "هل ستتصل بالشرطة من هنا؟"

قال السيد مومري "لا، لا... أريد الذهاب فوراً إلى المنزل، يعلم الله بما يجري هناك. لدي فقط ما يكفي من وقت لكي أستطيع اللحاق بالقطار."

قال السيد ديميثروب "حسناً، اترك الأمر لي. سوف أتصل بهم بدلاً عنك. "

لم يكن القطار المحلي سريعاً بما يكفي بالنسبة إلى السيد مومري. كان يهذي بينما كانت العجلات تُدوّي في أذنيه : ـ إيثيل ـ مسمومة ـ إيثيل تموت ـ ميّتة ـ إيثيل ـ مسمومة ـ تموت ـ لقد ماتت ... وكان يركض وهو في طريقه من المحطة إلى المنزل.

كانت هناك سيارة متوقفة أمام المنزل. وكان مومري عندما شاهدها عن بعد من نهاية الشارع، قد بدأ يركض. ها قد حدث ما كان يخشاه. لابد أن الطبيب هناك الآن. إنه هو المخبول القاتل. إنه هو لأنه ترك الأمور تتأخر إلى هذا الحدّ... لكنه عندما أصبح على مسافة مائة و خمسين ياردة من المنزل ، شاهد الباب الأمامي يُفتح، ثم خرج منه رجل تتبعه إيثيل بنفسها. استقل الرجل سيارته وغادر. وعادت إيثيل إلى الداخل.شكراً لله إنها سالمة... سالمة!...

أسرع بالدخول، واستطاع بجهد أن يضع قبعته ومعطفه على المشجب، وأن يلتزم الهدوء. كانت زوجته قد عادت إلى مقعدها بجانب الموقد .استقبلته ببعض الدهشة. ولاحظ بأن على المائدة بعض أدوات الشاي.

قالت " عدت مُبكّراً، أليس كذلك؟"

"نعم، هناك بعض الركود في العمل. هل كان هنا من تناول معك الشاي؟"

"نعم، إنه ويلبيك الشاب. جاء لكي يتحدث معي حول بعض الترتيبات الخاصّة بجمعية الدراما."

كانت تتحدث بإيجاز، ولكن بصوت خفيض يملأه الاضطراب.

شعر السيد مومري بالسكينة، هل يمكن أن يكون لذلك الضيف دوره في حمايتها؟ كان وجهه على ما يبدو يوحي بما كان يعتريه من مشاعر، ذلك لأن إيثيل نظرت إليه بدهشة ثم قالت :

"ما الأمر هارولد، تبدو غريباً."

قال مومري "حبيبتي، هناك ما أريد أن أعلمك به."

جلس، وأمسك بيدها بين يديه وقال:

"هو أمر أخشى أن يتسبب لك بالإزعاج-"

في تلك اللحظة ظهرت الطاهية على عتبة الباب وهتفت

"أووه، سيدتي! أعتذر، سيدي... لم أكن أعلم بأنك هنا. هل ستتناولان الشاي أم عليّ أن أحمل الكؤوس؟ أووه، سيدتي... شاهدت الآن عند بائع السمك شاباً وصل لتوه من جريمسبي. لقد تم القبض على تلك المرأة

الرهيبة ـ تلك السيدة أندروس. أليس هذا جيّداً ؟ كان أكثر ما يخيفني هو التفكير بأنها لازالت تتجول في الجوار، لكنهم ألقوا عليها القبض الآن. كانت قد حصلت على عمل مديرة منزل لدى سيدتين مُسنتين، وقد وجدوا السمّ معها. سوف تتم مكافأة الفتاة التي أبلغت عنها. كانوا يبحثون أبحث عنها، لكنها كانت طوال الوقت في جريمسبي."

تشبّث السيد مومري بيد المقعد. كان كل شيء خطأً فادحاً منه. كان يرغب بالصراخ أو بالبكاء. كما كان يرغب بالاعتذار لتلك المرأة المخبولة التي يملأها الحماس الآن. كان كل شيء خطأً فادحاً منه...

ولكن هناك الكاكاو وما عثر عليه السيد ديميثروب. بذلك الاختبار. والخمسة غرامات من الزرنيخ. فمن هو، إذاً ؟ من هو ؟... ثم نظر إلى زوجته، وكان في تلك اللحظة فقط، قد لمح في عينيها شيئاً لم يكن قد شاهده فيهما من قبل...

الرؤية
Vision
للكاتب رابندراناث طاغور

١

عندما كنت زوجة شابة أنجبت طفلاً ميتاً وكدت أموت أنا أيضاً، لكنني عندما بدأت أستعيد صحتي وببطء شديد كان نظري قد بدأ يضعف بالتدريج شيئاً فشيئاً .

كان زوجي في ذلك الوقت لايزال يُتابع دراسته في كلية الطب، وبذلك لم يكن قد أسف تماماً لحصوله على فرصة تجربة معلوماته الطبية علي، وإنما كان قد أصرّ على معالجة عينيّ بنفسه.

وذات يوم جاء لزيارتنا شقيقي الأكبر سناً الذي كان يُتابع دراسة القانون في كلية الحقوق، وكان قد صُدم جداً عندما شاهد وضع عينيّ وقال لزوجي:

" ماالذي تفعله بحق الله ؟ سوف تقضي على عيني كيمو ، عليك استشارة أحد الأطباء الأخصائيين على الفور."

لكن زوجي كان قد أجابه بنزق:

" ما هو العلاج الأفضل الذي قد تتلقاه كيمو من أي طبيب آخر جيد ... كما تقول... أكثر مما أقوم به أنا ؟ هذه الحالة من الحالات البسيطة جداً كما أن علاجها معروف تماماً."

وكان شقيقي دادا قد أجابه بازدراء:

" أظنك تعتقد بعدم وجود أي فارق بينك وبين أستاذك في كلية الطب."

أجابه زوجي بغضب:

" أعتقد أنك لو تزوجت ذات يوم وحصل خلاف بينك وبين زوجتك حول الأمور المالية، فلن تطلب حينذاك مشورتي حول الأمور القانونية، فلِم تأتِ الآن لكي تُشير علي بأمور طبية تخصّ مهنتي."

وكنت قد قلت لنفسي حينذاك وهما يتشاجران:

" العشب دوماً أكثر من يعاني عندما تحدث الحروب بين اثنين من الملوك " (مثل هندي). و بذلك عليّ أنا الآن أن أحتمل الكيّ بالنار...

كما بدا لي أيضاً بأنه ليس من العدل أن تتدخل عائلتي في حياتي الخاصة بعد زواجي، وبأن سعادتي ومعاناتي هما في نهاية الأمر من شأن زوجي وليستا من شأنهم.

كانت العلاقة بين زوجي وشقيقي قد بدأت توتر أكثر فأكثر منذ اليوم الذي حدث فيه الخلاف بينهما حول عينيّ.

كنت قد دهشت عندما جاء شقيقي لزيارتي ذات يوم في غياب زوجي مصطحباً معه أحد الأطباء وكان قد طلب منه فحص عينيّ. كان الطبيب بعد أن أجرى فحصاً دقيقاً لعينيّ بكل عناية واهتمام، قد بدا جديّاً للغاية وقال لشقيقي بأن هناك خطورة على بصري لو استمر هذا الإهمال في إتباع العلاج المناسب ثم كتب لي وصفة وطلب من شقيقي جلبها لي على الفور.

وعندما غادر الطبيب الغريب كنت قد رجوت شقيقي ألا يتدخل في الأمر لأن زيارة هذا الطبيب التي تمت في الخفاء من شأنها أن تتسبب في خلق المشكلات بيني وبين زوجي.

لكنني بعد ذلك عَجبت من نفسي ، ومن أن أكون قد تجرأت على التحدث مع شقيقي الأكبر بتلك الطريقة وكنت قد بدأت أخشاه منذ ذلك الوقت لأنني أدركت بأن شقيقي كان قد استغرب تصرفي ووقاحتي تجاهه.

ظلّ شقيقي صامتاً لبعض الوقت ثم قال لي:

" حسناً كيمو ، لن أزورك مع أي طبيب بعد الآن ، لكن عليك أن تستخدمي ما وصفه لك هذا الطبيب فقط من أدوية."

بعد أن غادر شقيقي " دادا" وصلني الدواء من الصيدلاني -- زجاجات وذرور ووصفات تركيبية -- لكنني رميتها بأكملها في البئر...

وكان زوجي الذي تضايق جداً من تدخل شقيقي، قد بدأ يُعالج عينيّ بأكثر من المتابعة والاهتمام. كنت قد عَصبت عينيّ كما طلب مني، وارتديت النظارات الطبية واستخدمت القطرات التي وصفها لي، وشربت زيت كبد الحوت الذي أعطاه لي رغم أنني كنت أشعر بالغثيان كلما شربته.

وكنت في كل مرّة يعود فيها زوجي من المشفى الذي يعمل فيه ويسألني بقلق عن وضع عيني ، أجيبه: " أووه ! لابأس هي الآن أفضل بكثير."

وكنت قد أصبحت خبيرة في خداع الذات أيضاً ،. لأنني عندما كنت ألحظ أن الماء الذي ينضح من عيني كان يتزايد وباستمرار، كنت أعزّي نفسي بفكرة أن من الجيّد أن أتخلص من كل ذلك السائل الضار. ثم بدأ السيلان من عينيّ يتناقص بعد فترة من الزمن وكان في ذلك ما جعل زوجي يتفاخر بمهارته في علاجي.

لكن معاناتي أصبحت بعد ذلك لا تُطاق،. كان بصري قد بدأ يبهت بالتدريج، كما كنت أصاب باستمرار بصداع شديد أثناء الليل...

لاحظت حينذاك بأن قلق زوجي قد بدأ يتزايد، كما تبيّن لي من أسلوب تصرفه بأنه كان يبحث عن ذريعة لمراجعة طبيب آخر. وبذلك كنت قد نوّهت إليه بأنه قد يكون من المفيد أن نطلب مشورة أحد الأطباء الزملاء ولكن على سبيل الاستئناس فقط. كان بإمكاني أن أتبيّن بأنه كان بذلك قد تحرّر من الكثير مما كان يُثقل عليه،. وكان في ذات اليوم قد استدعى أحد الأطباء الانكليز وطلب منه فحص عينيّ . لست أدري ما دار بينهما من حديث، لكنني استطعت أن أستنتج بأن الطبيب الزميل الذي تحدث إليه بكل حدّة كان يوجّه إليه اللوم .

ظلّ زوجي صامتاً لبعض الوقت بعد مغادرة الطبيب. وكنت قد أخذت يده بين يدي وقلت:

" كم كان ذلك الطبيب جلفاً في أسلوب تحدثه إليك ! لِم لم تطلب رأي أحد الأطباء الهنود؟ ربما كان ذلك أفضل بكثير. هل تعتقد بأن ذلك الطبيب يعرف أكثر مما تعرفه أنت عن وضع عينيّ؟"

ظلّ زوجي صامتاً تماماً ثم قال بصوت مُنكسر:

" كيمو ، سوف تحتاج عيناك إلى عملية جراحية."

تظاهرت بأنني صّدمت، ولكن ليس لما قاله الطبيب، وإنما لأن زوجي كان قد أخفى عني هذه الحقيقة طوال المدة السابقة وقلت:

" لابد أنك كنت طوال الوقت على عِلم بوضع عينيّ، لكنك لم تُعلمني بحقيقة الأمر! فهل تعتقد بأنني طفلة صغيرة وبأنني قد أخاف من إجراء مثل تلك العملية ؟"

وكان لما قلته أثره الكبير في استعادة زوجي لمزاجه الجيّد وبذلك قال لي وهو يبتسم:

" القليل جداً من الأشخاص، وحتى من الرجال، من لديهم شجاعة التعرّض إلى مداخلة جراحية دون خوف."

كنت قد ضحكت وقلت " نعم، هذا هو الأمر بالفعل، الرجال أبطال أمام زوجاتهم فقط."

لكنه نظر إلي بجديّة وقال:

" أنت على حق تماماً. كما أننا نحن الرجال متكبرون بشكل مخيف."

وكنت قد ضحكت لكي أخفف من جديّة الموقف وقلت:

" أأنت متأكد أن بإمكان الرجال أن يكونوا أكثر تكبراً من النساء ؟"

وكنت عندما جاء شقيقي دادا لزيارتنا من جديد قد أخذته جانباً وقلت:

"ربما كان بإمكان الطبيب الذي أحضرته إلي أن يُفيدني جداً ، لكنني مع الأسف كنت قد أضعت الورقة التي تضمنت الوصفة التركيبة للقطرات، وبذلك بدأ وضع عينيّ يسوء بالتدريج، بحيث أصبحت الآن بحاجة إلى مداخلة جراحية."

لكن شقيقي قال لي" لابد أنك كنت تستخدمين ما يصفه لك زوجك من علاج، لذا لم أعد أرغب بزيارتك."

وكنت قد أجبته " لا، الحقيقة أنني كنت استخدم العلاج الذي وصفه لي طبيبك ولكن في السرّ."

آه !... كم من الأكاذيب التي قد تضطر إليها النساء ! فالمرأة تكذب عندما تكون أماً لكي تهدئ من روع أطفالها. وهي تضطر إلى الكذب عندما تكون زوجة لأجل آباء أطفالها... نحن لسنا أحراراً في أي وقت!...

كانت لخدعتي تلك أثرها في تخفيف ما كان بين زوجي وشقيقي من برود، وبذلك كان شقيقي قد لام نفسه لأنه أخفى الأمر عن زوجي، وكان زوجي من ناحية أخرى قد ندم لأنه لم يكن قد عمل بنصيحة شقيقي منذ البداية.

ثم كنت بالاتفاق بين الاثنين زوجي وشقيقي، قد راجعت أحد الأطباء الانكليز .، وكان ذلك الطبيب قد أجرى عملية جراحية لعيني اليسرى على الفور، لكن تلك العين كانت قد أصيبت سابقاً بضعف شديد ولم تعد تحتمل الجهد وبذلك كنت قد فقدت آخر شعاع من نور البصر فيها، كما كنت بعد ذلك قد فقدت بصري بالتدريج في العين الأخرى...

وكان زوجي قد جلس إلى جانبي ذات يوم وقال:

" كيمو ، لم يعد بإمكاني أن أواجه الأمر أمامك بهذه الصفاقة ، علي أن أعترف بأنني كنت السبب في فقدانك بصرك."

شعرت حينذاك بأن صوته كان مُتهدجاً وبأنه يبكي، وبذلك أخذت يده بين يدي وقلت:

" لَم تقول هذا ! بل كنت على حقّ تماماً . كما أنك كنت قد تعاملت مع الموضوع كما لو أن العين كانت عينك. تصوّر فقط لو أن أحد الأطباء الغرباء كان من تسبب بفقدي البصر، فما الذي كان قد يُعزّيني حينذاك ؟ بينما أنا أشعر الآن بأن كل شيء كان قد تم بأفضل ما يمكن.، وما يُعزيني أكثر من أي شيء آخر هو أن أكون قد فقدت بصري على يديك. لابد أنك تذكر قصّة الناسك الهندي" راشماندرا " فهو عندما وجد بأن زهرة لوتس واحدة قد تكون قليلة جداً لتقديمها قرباناً لله ، كان قد قدم عينيه الاثنتين قرباناً ...

وأنا الآن أقدم إليك عينيّ... كل ما عليك الآن هو أن تصف لي كل ما تراه حولي من بهجة ومن متعة وسوف أشعر بكلماتك بأن الله (عزّ وجلّ) قد ترك لي هدية قِدسية بوجودك مُبصراً إلى جانبي..."

لست أقصد بالطبع بأنني كنت قلت كل تلك الأشياء لزوجي في ذات اللحظة لأن المستحيل أن يفكر المرء بكل تلك العبارات دفعة واحدة. وإنما كنت أفكّر لأيام وأيام بما سأقوله لزوجي من مثل تلك العبارات المُطمئنة لكي أجعله يشعر بالراحة...

وكنت كلما شعرت بالحزن والإحباط، وبأن إيماني قد بدأ يضعف، وبأن الأسى يعتصر قلبي لسوء طالعي، أقرر تكرار تلك العبارات لنفسي أيضاً الواحدة تلو الأخرى، كما قد يُعيد الطفل قصة رويت له.، وكنت أشعر بذلك من جديد بسكينة السلام والحب... كما كنت في كل مرّة نتحدث بها معاً أنا وزوجي أقول له ما يكفي من العبارات التي من شأنها أن تُظهر له مقدار ما في قلبي من المحبة...

إلى أن قال لي زوجي ذات مرّة:

"كيمو ، لم يعد بالإمكان إصلاح ما تسببت به لك من الأذى بحماقتي ، وكل ما بإمكاني الآن هو أن أفعل شيئاً واحداً.، وهو أن أبقى إلى جانبك لكي أحاول تعويضك عن نظرك الذي فقدته بسببي وبكل ما لدي من إمكانية ومن طاقة."

لكنني قلت له حينذاك:

" لا، هذا غير ممكن. لن أطلب منك أن تحوّل منزلك إلى مستشفى لفاقدي البصر.، الأمر الوحيد الذي يجب أن يتم الآن هو أن تتزوج من جديد..."

وكان صوتي قد اختنق بالبكاء وأنا أحاول أن أشرح له ضرورة ذلك، وبذلك تظاهرت بالسعال لكي أخفي انفعالي لكن زوجي اندفع بالقول:

" كيمو ، أعلم بأنني كنت أحمقاً ، ومُتبجّحاً، لكنني لن أكون وغداً بأن أتزوج من جديد ! أقسم لك بأكثر الأقسام قِدسية ، بأنني لو تزوجت فليوقع الله علي عقاب من ارتكب أكثر الخطايا شناعة، وهو عقاب إثم من يقتل الأقرباء!..."

ولكن آه!...كان علي ألا أدعه أبداً يُقسم مثل ذلك القَسم الرهيب!...

كانت دموعي حينذاك قد خنقت صوتي، ولم أتمكن من التفوّه بأية كلمة أخرى لشدّة سروري بذلك القسم، دفنت وجهي في وسائدي وبدأت أبكي وأبكي من جديد، وكنت بعد أن تمالكت نفسي قد وضعت رأسي على صدر زوجي وقلت:

" لِم أخذت على نفسك مثل هذا العهد ؟ هل اعتقدت بأنني طلبت منك أن تتزوج من جديد لكي تحصل على مِتعة قذرة ؟ لا، بل كنت أفكر في نفسي لأن زوجتك الثانية سوف تقوم بأداء ما كنت أؤديه لك من خدمات قبل فقداني بصري."

قال زوجي بتوتر " خدمات ! خدمات ! بإمكان الخدم القيام بذلك. يا إلهي !هل تعتقدين بأن لدي من الخبل ما قد يجعلني أجلب عبدة إلى منزلي وأن أطلب منها أن تتقاسم العرش معك؟"

وكان لدى تفوّهه بتلك الكلمات قد أخذ رأسي بين يديه وقبلني بين حاجبيّ. شعرت في تلك اللحظة بأنني بتلك القبلة، قد مُنحت قدسية الحكمة وبأنني حصلت دون ريب على ما يؤكد إخلاصه لي وقلت لنفسي:

" هذا جيّد. إن لم يعد بإمكاني أن أقدم له أقل الخدمات المنزلية ، فسوف أنتقل إلى مجال أرفع. سوف أطلب له بركة الله (عزّ وجلّ)، وبأنه لاحاجة بعد الآن للمزيد من الأكاذيب ! ولا للمزيد من الخداع ! وبأنني سوف أقلع وللأبد عن كل ما كان في حياتي سابقاً من نفاق ووضاعة!.."

لكنني طوال ذلك اليوم كنت قد شعرت بما يُشبه الصراع الداخلي. الفرحة الغامرة بأن لا يكون بإمكان زوجي بذلك القَسم أن يتزوج من جديد ،، وهذا ما دعّم جذوره في داخلي لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي:

" قد يأتِ الوقت الذي سوف يكون من الجيّد أن ينكث زوجك بقسمه وبذلك سوف يتزوج من جديد."

لكن قلب المرأة في داخلي عاد وحدثني من جديد :

" قد يحدث ذلك ، لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك، وليس بإمكان المرء أن ينكث بالقَسم ."

لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي أيضاً:

" ليس هناك من داعٍ لابتهاجك لذلك"

ثم عاد قلب المرأة في داخلي يُحدثني من جديد:

" لاشك أن هناك الكثير من الصحّة بما تفكرين به، لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك على ذلك."

واستمر ذلك الصراع الداخلي يُلهب حواسي من جديد مرّة بعد مرّة إلى أن تملكّني ظلام الخوف المقيت.

لم يكن زوجي قد سمح للخدم بتقديم ما كنت أقدم إليه من خدمات، وإنما كان يقوم بذلك بنفسه. وكان في ذلك ما جعلني في البداية أشعر بالسرور بأن يكون قد اعتمد على نفسه حتى بأقل الأشياء.، واعتقدت بأن في ذلك ما يُشير إلى عزمه استبقائي إلى جانبه...

كانت رغبتي ببقائه إلى جانبي قد ازدادت منذ إصابتي بالعمى.، بحيث أصبحت أتوق بكل حواسي إلى وجوده إلى جانبي وإلى مشاركته لي في الأمور التي فقدتها بفقداني بصري. أصبحت أشعر أثناء غيابه عني بأنني معلقّة في الهواء وبأنني فقدت كل ما كان حولي من الأشياء الملموسة.

كنت في السابق، عندما يتأخر زوجي في العودة من المستشفى، أفتح نافذتي وأنتظره وأنا أحدقّ في الطريق. كانت تلك الطريق في السابق الحلقة التي تربط بين عالمه وعالمي. لكنني بعد فقداني بصري أصبحت وكأنني أبحث عنه عبر تلك النافذة بكل كياني. كانت الرابطة التي وحّدتنا قد أفسحت المجال لذلك في السابق ، لكن هناك الآن تلك الهوة التي لم يعد بالإمكان تخطّيها...

كان العالم بكامله ينغلق علي عندما يتركني زوجي ، ولكن كل ما كان بإمكاني أن أفعله هو أن أنتظر أن يعود إلي من عالمه.

لكن ذلك التلهف الشديد إليه وذلك الاعتماد الكلي عليه لم يكن جيّداً.، لأن الزوجة تعتبر دوماً وفي كافة الأحوال بمثابة العبء على الرجل، وماذا لو أضيف إلى ذلك عبء العمى الذي لابد من أن يجعل حياته لا تطاق... وبذلك كنت قد أخذت على نفسي عهداً بأن أعاني بمفردي ، وبألا أطوّق زوجي مُطلقاً بكل ما يُحيط بي من ظلمة.

واستطعت خلال وقت قصير وبشكل لا يُصدّق ، أن أدرّب نفسي على جميع الأعمال المنزلية بواسطة حاستي السمع والشمّ.، ووجدت بسرعة بأن بإمكاني أن أقوم بذلك حتى بأكثر مما كان لدي من المهارة قبل فقداني بصري .، فقد يؤدي النظر أحياناً إلى صرف الانتباه عن الأشياء أكثر من التركيز عليها.، فعندما عجزت حركة عيناي عن القيام بعملها كانت جميع حواسي الأخرى قد أخذت دورها في القيام بالعديد من الوظائف وبكل هدوء وإتقان .

ومع استمرار المِران كنت قد اكتسبت الخبرة في أداء الأعمال المنزلية بحيث لم أعد أدع زوجي يقوم بها بالنيابة عني . كان زوجي قد تذمر كثيراً في البداية من أنني بذلك كنت قد حرمته من التكفير عن ذنبه.، لكنه رغم من كل ما كان يقوله لم يتمكن من إقناعي.، وكان بإمكاني من جهة أخرى أن أدرك بأنه شعر بالراحة عندما تخلّص من عبء تلك الواجبات المنزلية.، فليس القيام بخدمة امرأة عمياء مما يتناسب مع حياة أي رجل...

٢

وعندما أنهى زوجي أخيراً دراسته في كلية الطب، غادرنا كالكوتا لكي يلتحق بعمله كطبيب متدرب في إحدى القرى الصغيرة.، وكنت، بما أنا فيه من عاهة فقدان البصر، قد بدأت أشعر بالكثير من البهجة في تلك المنطقة الريفية الهادئة، وبأنني عدت من جديد إلى ذراعيّ والدتي... كنت قد غادرت القرية التي ولدت فيها مذ كنت في الثامنة من عمري.، وبذلك كانت ذكرى القرية التي نشأت فيها قد بدأت تبهت في مخيلتي بعد مرور عشر سنوات على وجودي في تلك المدينة الكبيرة. كانت كالكوتا بحياتها الصاخبة قد حجبت عني طوال المدة التي كنت أنعم بها بالبصر، كل ما لدي من ذكريات عن سِني حياتي الأولى .، إلا أنني عندما فقدت بصري شعرت للمرة الأولى بأن كالكوتا قد تسببت بإيذاء عينيّ .، وبأنها ،بكل ما فيها من مباهج، لايمكن أن تُشبع نفس المرء.، وبدأت ذكريات طفولتي تتوارد إلى ذهني من جديد أشبه بالنجوم التي تظهر في السماء في نهاية النهار.

كنا قد غادرنا كالكوتا إلى هارسينغبور في بداية شهر تشرين الثاني (نوفمبر). كان المكان بالطبع جديداً بالنسبة إلي، لكن روائح تربة الريف وأصواتها كانت قد طوقتني بعد ذلك إلى حدّ كبير. كانت نسمات الصباح تُثير من الأرض الحديثة الفلاحة الرائحة اللطيفة لأزهار الخردل .، وكان صوت ناي الراعي وصرير العجلات وهي تطأ الطريق غير المستوية للقرية قد ملأ عالمي بالبهجة.

وبذلك كانت جميع ذكريات حياتي الماضية قد أصبحت حقيقة واقعة بالنسبة إلي، بكل ما كان فيها من ضجيج وبكل ما فيها من عبير يفوق الوصف .عدت أعيش طفولتي من جديد لا ينقصني منها سوى شيء واحد هو وجود والدتي إلى جانبي .

كان بإمكاني أن أرى بمخيلتي منزل العائلة بتلك الأشجار الضخمة التي تنتشر على طول البحيرة.، وأن أتصوّر بعيني مخيلتي جدتي جالسةً على الأرض تُدفئ ظهرها في الشمس وتُعدّ كرات العدس لكي تجففها وتستخدمها في إعداد الطعام.، لكن لم يكن بإمكاني أن أتذكر تماماً الأغنيات التي كانت تُدندنها بصوتها الضعيف المُتهّدج. كنت كلما سمعت خوار الماشية في المساء، أكاد أرى وجه والدتي أمامي وهي تتجول كعادتها حول المكان وبيدها المصباح. كانت رائحة العلف الرطب ورائحة الدخان اللاذعة التي تنبعث من نيران القش، تخترق قلبي.، كما كنت أسمع من بعيد صدى رنين جرس المعبد الذي كانت النسمات تحمله إلى مسامعي من طرف النهر.

وشعرت بذلك بأن كالكوتا بكل صخبها وبكل ما فيها من قيل وقال من شأنها أن تُفسد النفوس ، وبأن كل ما في الحياة من مبادئ وواجبات لابدّ أن يخسر هناك براءته ونقاءه...

أذكر بأن إحدى صديقاتي كانت قد جاءت إلي ذات يوم وقالت :

" كيمو، لم لا تشعرين بالاستياء نحو زوجك ؟ لو كنت قد عوملت مثلك من زوجي لما نظرت إلى وجهه ثانية."

كانت صديقتي تلك قد حاولت أن تجعلني أنقم على زوجي لأنه انتظر طويلاً إلى أن عرضني على طبيب مختص. قلت لها حينذاك:

" كان في فقداني لبصري بحدّ ذاته ما يكفي من شؤم ، فلِم علي أن أجعل الأمر أكثر سوءاً بأن أترك لقلبي العنان كي يمتلأ بالحقد والنقمة على زوجي ؟"

وكانت صديقتي عندما سمعتني أتلفظ بتلك العبارات غير العصرية أشبه بطفلة ساذجة ، قد هزّت رأسها بدهشة ثم أعرضت عني بكل ازدراء...

ولكن... ومهما كانت عليه إجابتي في ذلك الوقت، فإن مثل تلك العبارات لابد أن تترك أثرها الذي لابد أن يُسمم نفس المرء، والذي لن يكون من السهل إزالة ما يتركه من غلّ في النفس.

وهكذا ترون بأن كالكوتا بما فيها من قيل وقال قد تجعل القسوة تتغلغل إلى قلب المرء. لذا كنت، عندما استقرينا في تلك المنطقة الريفية، قد وجدت بأن كل آمالي ومبادئي السابقة قد عادت من جديد إلى ما كانت عليه من نقاء وصفاء، وبأن الله (عزّ وجلّ) ملأ قلبي بالسكينة كما ملأ عالمي بالهدوء والأمان ، وركعت وقلت:

" يا إلهي!... لاشكّ أنك بعد أن أفقدتني بصري، قد شملتني برحمتك بأن تركت لي قلبي المُفعم بالإيمان، وأنا أعلم بأنك معي على الدوام..."

آه!... لكنني في الحقيقة كنت أخدع نفسي بعض الشيء. فنحن نقول دوماً مثل هذه الأشياء، حتى عندما نخسر كل شيء، لأننا بالإيمان وبالإيمان وحده، نستطيع الاستمرار في تحمّل أعباء الحياة.

٣

وكنا أنا وزوجي قد أمضينا معاً بضعة أشهر بكل سعادة. كان زوجي قد اكتسب بعض الشهرة في مهنته كطبيب وبذلك بدأت مواردنا المالية تزداد.

لكن هناك دوماً ما هو سيء وضار في كثرة المال...

ليس بإمكاني الآن التركيز على نقطة معينة تخصّ هذا الأمر، ولكن، نظراً لأن من يفقدون بصرهم لابدّ أن تصبح حاسة الإدراك لديهم أكثر حدّة من غيرهم ،. فقد كان بإمكاني أن أتبيّن مدى التغيير الذي طرأ على زوجي بالتزامن مع ازدياد ثروته.

فعندما كان زوجي أصغر سناً كان يتمتع بقدر أكبر من الإحساس ومن التعاطف مع الآخرين.، وكان عندما حصل على شهادة الطب قد أعلمني عن رغبته الشديدة في مساعدة الفقراء.، وكان لديه الكثير من الازدراء لزملائه في المهنة ممن ليس لديهم أي شعور بالمسؤولية، بحيث كانوا يُحصّلون أجور الكشف الطبي قبل البدء بفحص المرضى...

لكنه كان قد أصبح بعد ذلك قاسياً وبشكل لا يقبل التصديق. فعلى سبيل المثال :

جاءت إليه ذات مرّة سيدة عجوز لكي ترجوه أن ينقذ حياة ولدها الوحيد من باب الإحسان، لكنه رفض ذلك بكل فظاظة.، وعندما رجوته وألحت عليه أن يساعدها ، كان قد أدى ذلك الواجب الإنساني دون أية عناية ودون مبالاة.

كان زوجي عندما كنا أقل غِنىً يكره التكالب على المال ويكره جميع أشكال التعامل في الأمور المالية.، وبذلك كان جديراً بالاحترام بما لا يقبل الشك. لكنه بعد أن ارتفع رقم حسابه الضخم في المصرف ،بدأ يُمضي ساعات طوال على انفراد مع أحد أولائك الأنذال تجار الأراضي ولغايات كانت تُنبئ بوضوح بما هو سيء وبما هو غير قانوني .

إلى أية هوة كان ينحدر؟... وما الذي حلّ بذلك الزوج الذي أحببته؟... الزوج الذي عرفته قبل أن أفقد بصري... الزوج الذي قبّلني ذات يوم بين حاجبي، والذي كان قد أخذ عهداً على نفسه أمام الله (عزّ وجلّ) وأمامي ؟ ...

قد يكون بإمكان من تدفعهم ريح الغواية فجأة إلى السقوط في براثن الشرور ، أن ينهضوا من جديد بحافز جديد قوي يُوجههم نحو الخير. لكن من يَتردّون بالتدريج ويوماً بعد يوم ، يتغلغل الانحطاط في نسيج وجودهم الأخلاقي نتيجة نمو طفيلي خارجي بحيث يُدمّر وجودهم شيئاً فشيئاً، وهو ذلك التردّي الذي يؤدي ذات يوم إلى انحطاط أخلاقي لا يعرف له شفاء.

وبذلك كان التباعد الذي تسبب به فقداني البصر مجرد شيء مادي تافه بالنسبة إلى الأمور الأخرى .، ولكن، آه !.. ، فما كان يخنقني أكثر هو إدراكي بأن زوجي لم يعد معي كما كان في الساعة التي كنا قد عرفنا فيها معاً بأنني فقدت بصري، وكان ذلك هو الانفصال الفعلي بيننا !...

كنت بما لدي من مشاعر الحب نحو زوجي، ذلك الحب الذي كان لايزال بكل زخمه وعنفوانه، وبما لدي من إيمان به ذلك الإيمان الذي لم يكن قد تزعزع، قد حافظت عليه في حِمى قلبي.، لكن زوجي بتعطشه للذهب، كان قد ترك الظل الهادئ لتلك الأشياء الأبدية التي لا تفنى وغرق بسرعة في العُقم الجاف للفساد.

كان الشك يراودني من وقت لآخر بأن الأمور ليست بالسوء الذي كان يبدو لي.، وبأنني ربما كنت أبالغ في قلقي لأنني فاقدة البصر. قد أكون كذلك، وقد يكون علي أن أتقبّل العالم كما هو مادمت قد فقدت بصري. وعلى أية حال كانت تلك هي الزاوية التي كان زوجي ينظر منها إلى تقلبات مزاجي وإلى ما كان يعتبره من أوهامي...

وذات يوم جاء إلى منزلنا رجل عجوز مُسلم لكي يرجوه أن يرافقه لفحص حفيدته الصغيرة المريضة جداً وكان بإمكاني أن اسمع الرجل العجوز يقول :

" بُني ! أنا رجل عجوز فقير الحال لكنني أرجوك أن تأتي معي وسوف يُكافئك الله (عزّ وجلّ) على ذلك."

لكن زوجي أجابه ببرود:

"لا أهمية لما سوف ألقاه من الله من جزاء ، لكنني أريدك أن تُعلمني بما بإمكانك أنت أن تقدمه لي..."

وكنت عندما سمعت ذلك قد تساءلت :

" لِم لم أكن قد أصبت بالصمم كما أصبت بالعمى..."

كان العجوز قد تنهد بأسى وغادر المنزل. لكنني كنت قد أرسلت خادمتي فوراً لكي تستدعي العجوز إلى غرفتي. قابلته أمام باب الغرفة وكنت بعد أن منحته بعض المال قد قلت له:

" أرجو أن تقبل مني هذا المبلغ لأجل حفيدتك الصغيرة، لتعرضها على طبيب جيّد، ولتدعو لزوجي بالصلاح."

لكنني لم أتمكن من تناول أي طعام طوال ذلك اليوم. وعندما نهض زوجي بعد الظهر من قيلولته سألني:

"لم تبدين شاحبة بهذا الشكل؟"

وكنت على وشك أن أجيبه كما كنت أفعل دوماً في السابق:

" أووه! هذا لاشيء." لكن أيام الخداع كانت قد انتهت وبذلك تحدثت إليه بصراحة وقلت:

" كنت لأيام طويلة أتردد في إعلامك بأمر ما، لأنني كنت أجد صعوبة كبيرة في التعبير عما أرغب بقوله.، وقد لا يكون بإمكاني الآن أيضاً أن أشرح لك ما في ذهني.، لكنني على يقين بأنك على عِلم بما حدث. ما حدث، هو أن اتجاه حياتنا المشتركة قد تغيّر وبأننا تباعدنا تماماً..."

ضحك زوجي بأسلوب مُتكلّف وقال:

" هذا ما يُدعى بالتغيير ! وهو قانون الحياة..."

قلت له " أنا أدرك ذلك تماماً، لكن هناك بعض الأمور البديهية التي لا يجوز أن تتغيّر على مرّ الزمن."

بدا زوجي جديّاً وقال :

"هناك الكثيرات من النساء ممن لديهن العديد من الأسباب الحقيقية للشعور بالأسى، وهناك من النساء ممن لا يُحبهن أزواجهن، لكنك أنت من تجعلين من نفسك بائسة وللاشيء على الإطلاق..."

وبذلك كان قد أصبح من الجليّ بالنسبة إلي أن فقداني بصري قد منحني القدرة على رؤية عالم غير قابل للتغيير وقلت: " نعم ! هذا صحيح. فأنا لست كغيري من النساء" كما أنني أدركت حينئذ بأن زوجي لن يفهمني أبداً...

٤

ثم استمرت حياة كل منا لبعض الوقت بذات النمطية المّملة وبذات الفتور إلى حدث بعض التغيير في رتابتها عندما جاءت إحدى خالات زوجي لزيارتنا.

وبعد أن قمنا بواجب الترحيب بها كان أول ما قالته لي دون تفكير:

" من المؤسف جداً أن تكوني قد فقدت بصرك، ولكن لِم تفرضين مأساتك على زوجك ؟ عليك أن تُزوّجيه من امرأة أخرى..."

وتلا ذلك فترة صمت محرجة . لو كان زوجي قد قال حينذاك أي شيء ولو على سبيل الدعابة، أو لو أنه ضحك، لكان كل شيء قد انتهى. لكنه تلعثم وتردّد ثم قال أخيراً بتوتر وبأسلوب غبي:

" هل تعتقدين ذلك بالفعل خالتي ؟ ولكن... في الحقيقة ليس من المناسب أن تتحدثي بهذه الطريقة."

والتفت خالته إلي وسألتني" هل كنت أخطأت كيمو؟"

وكنت قد أطلقت ضحكة كاذبة وقلت:

" أليس من الأفضل أن تطلبي رأي من هو أكثر أهلية لاتخاذ القرار حول ذلك ؟.. أنت تعلمين بأن "لص الجيوب لا يطلب عادة الإذن من الشخص الذي سوف يسرقه."

أجابت الخالة بلطف ظاهري:

" أنت على حق. عزيزي أبيناش! دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد، ما رأيك بما قلته ؟"

وكان زوجي بعد بضعة أيام قد سألها بحضوري فيما إذا كانت تعرف أية فتاة من عائلة محترمة قد يكون بإمكانها المجيء لمساعدتي في الأمور المنزلية، رغم أنه كان يعرف جيداً بأنني لم أكن بحاجة لأية مساعدة.

ظللت صامتة. وأجابته الخالة :

" أووه ، هناك الكثيرات منهن. لدي ابنة عمي ،هي فتاة في سن الزواج ، فتاة لطيفة كما ترغب،، وسوف يسرّ أهلها كثيراً أن تتزوج من رجل مثلك."

أطلق زوجي للمرّة الثانية تلك الضحكة المُتكلّفة المُترددة وقال :

" لكنني لم أقصد على الإطلاق الإشارة إلى موضوع الزواج."

قالت الخالة " لكن كيف بإمكانك أن تتوقع من فتاة من عائلة محترمة أن تأتي للعيش في بيتك دون زواج؟"

وكان عليه أن يتقبّل بأن ذلك من الأمور المنطقية لكنه ظلّ متوتراً صامتاً...

بعد أن غادرا الغرفة، كنت قد وقفت بمفردي بين الأبواب المغلقة للعمى الذي أنا فيه، وتوجهت إلى ربي بهذا الدعاء:

أرجوك ياإلهي أن تنقذ زوجي من نفسه."

ثم كانت خالة زوجي بعد بضعة أيام لدى بعد عودتي من المبعد قد أمسكت بيديّ الاثنتين بحرارة وقالت :

" كيمو ، هاهي الفتاة التي تحدثت عنها أمس . اسمها هيمانغيني. سوف يسرها التعرّف عليك"
ثم نادت " تعالي هيمو، أريدك أن تتعرفي على شقيقتك."
وكان زوجي الذي دخل إلى الغرفة بذات اللحظة قد تظاهر بالدهشة عندما شاهد تلك الفتاة الغريبة، وبأنه على وشك الانصراف لكن خالته قالت:
" عزيزي أبيناش ، لم تهرب ؟ لاداعِ لأن تفعل ذلك؟ ها هي ابنة عمي هيمانغيني. هيمو، انحني بالتحية أمامه."
تظاهر زوجي بالاستغراب وبدأ يُمطر خالته بالأسئلة حول متى وأين وكيف جاءت تلك القادمة الجديدة. لكنني كنت قد شاهدت ببصيرتي ما كان في تصرفه من خداع ...
وكنت بعد ذلك قد أخذت بيد هيمانغيني، واقتدها إلى غرفتي الخاصة.، وكنت بعد أن تحسّست وجهها ويديها وشعرها بلطف، قد تمكنت من أن أقدّر بأنها لابد أن تكون في الخامسة عشر، وبأنها فتاة جميلة جداً.
كانت الفتاة وأنا أتحسّس وجهها قد انفجرت فجأة بالضحك وقالت:
" ماالذي تفعلينه ؟ هل ترغبين بتنويمي مغناطيسياً؟"
وكانت تلك الضحكة اللطيفة الرنانة التي أطلقتها الفتاة ، قد أزالت خلال دقيقة واحدة جميع السحب التي تقف بيننا.. عانقتها وقلت :
" كنت أحاول أن أراك عزيزتي! "
وعندما تحسّست وجهها بيدي للمرّة الثانية. قالت بدهشة وهي تضحك ضحكتها الرنانة:
" تحاولين رؤيتي؟ هل تعتقدين أنني نبتة كوسا في حديقتك تريدين تلمّسها لمعرفة مدى طراوتها.؟"
أدركت بذلك فجأة بأنها لم تكن قد علمت بأنني فاقدة البصر. وقلت لها" أنا عمياء..."
ظلّت صامتة.، ولكن كان بإمكاني أن أشاهد ببصيرتي نظرة عينيها وهما تحدقان في وجهي بكل دهشة. كما كنت أعلم مدى ما شعرت به من شفقة علي . ثم قالت بعد فترة قصيرة:
"أووه!... فهمت الآن، لابد أن هذا هو السبب الذي جعل زوجك يُوجه الدعوة لخالته للمجيء لكي تبقى معك."
ثم عادت إلى إطلاق تلك الضحكة الرنانة. وقالت :
" هذا يُشبه خالتي تماماً... لكن ألم يكن من عدم التهذيب أن تأتي لزيارتكم دون دعوة؟... لكنها أصبحت هنا الآن ولن يكون بإمكانك التخلص منها ، سوف تبقى لفترة طويلة وبإمكاني أن أؤكد لك ذلك."
بعد تردّد سألتني بدهشة :
"ولكن لِم أرسلني والدَي إلى هنا ؟ هل بإمكانك أن تعلميني بذلك؟"
وكانت الخالة قد دخلت إلى الغرفة أثناء حديثنا .، وبذلك بادرتها هيمانغيني بالقول:
" متى تعتزمين السفر خالتي ؟"

بَدت الخالة في غاية الارتباك وقالت:

" ما هذا السؤال ؟ لم أرقط مثل هذا الضجر. لم نكد نصل وأنت تسألين الآن متى سنعود!."

قالت هيمانغيني " الأمر جيد جداً بالنسبة إليك لأن هذا البيت هو بيت من هم أقرب الأقرباء إليك، ولكن ماذا عني؟ أقولها لك بكل بساطة ليس بإمكاني البقاء هنا."

ثم تناولت يدّي وقالت "ما رأيك عزيزتي؟"

ضممتها إلى صدري دون أن أقول شيئاً، وكان موقف الخالة قد أصبح محرجاً للغاية. شعرت الخالة بأن الوضع قد بدأ يصبح خارج سيطرتها، وبذلك اقترحت عليها اصطحابها للاستحمام في النهر.

لكن هيمانغيني قالت وهي تتأبط ذراعي" لا، بل سنذهب نحن الاثنتان معاً."

وكانت الخالة قد أذعنت للأمر خشية اعتراض الفتاة لو أنها حاولت إثناءها عن الأمر.

ثم سألتني هيمانغيني ونحن نتوجه نحو النهر " لم ليس لديك أطفال؟

كنت قد صُعقت لذلك السؤال وأجبتها :

" كيف بإمكاني أن أفسّر لك الأمر، لم يكتب لي الله أن أرزق بالأطفال. هذا هو السبب."

لكن هيمانغيني قالت على الفور" لا! ليس هذا هو السبب ، لابد أنك ارتكبت إثماً . انظري إلى خالتي، ليس لديها أي أطفال، لابد أن هذا لأن في قلبها بعض الشرور، لكن ما هو الشر الذي قد يكون في قلب امرأة مثلك؟.."

كانت كلماتها تلك قد جرحت مشاعري، لم يكن لدي ما أقوله، تنهدت بحرارة وقلت في صمت روحي:

" وحده الله من يعلم السبب والحقيقة."

حينئذ قالت هيمانغيني وهي تضحك من جديد:

" يا لله، لم تنهدت بهذا الشكل ؟ لاأحد يأخذ كلامي على محمل الجدّ."

وكانت ضحكتها قد تردّت عبر النهر.

٥

لاحظت بعد ذلك بأن هناك انقطاع مستمر في مهام زوجي المهنية. أصبح زوجي يرفض جميع طلبات الاستشارات الطبية التي قد تأتي من مسافات بعيدة، وحتى أنه كان قد بدأ يتهرب من زبائنه حتى لو أنهم بالقرب منه.

كان من عادة زوجي في الفترة الأخيرة لكثرة مشاغله عدم العودة إلى المنزل سوى في أوقات تناول الوجبات النهارية، كما كان لا يعود في المساء إلا عندما يحين في وقت النوم. لكنه أصبح مؤخراً، وبناء على ما أبدته خالته من قلق على صحته لم يكن هناك أي داعٍ له، يزورها في غرفتها في جميع ساعات النهار، وكنت أشعر بذلك عندما أسمع صوتها تُنادي هيمانغيني لكي تطلب منها أن تجلب لها كأساً من الماء...

لكن الفتاة كانت قد بدأت تتعلق بي أكثر فأكثر بدافع الشفقة، وكان شعور الخوف والحزن يجعلانها تبقى صامتة، وكانت أحياناً تركض إلي أشبه بطريدة لا تكاد تعرف ما ينتظرها.

وكان شقيقي قد جاء من كالكوتا لزيارتي بذات الوقت . ونظراً لأنني كنت أعلم جيداً ما يتمتع به من قوة ملاحظة كما أعلم بأن أحكامه صارمة، فقد خشيت أن يضع زوجي في موقف الدفاع عن نفسه، وبأن يكون على زوجي بذلك أن يتقدم بدفاعه أمامه، لذا كنت قد بذلت كل جهد لإخفاء الوضع الحقيقي بيننا تحت ستار من البهجة، لكنني أخشى أن أكون قد بالغت في لعب ذلك الدور الذي لا يتناسب مع طبيعتي.

وكان زوجي قد بدأ بعد ذلك يتململ من وجود شقيقي، وسألني عدة مرات عن مدة زيارة شقيقي لنا، ثم بدأ نفاذ صبره يقترب من الوقاحة وبذلك لم يكن أمام شقيقي سوى المغادرة... كان شقيقي قبل مغادرته قد وضع يده على رأسي وتركها للحظة. أحسست بأن يده كانت ترتجف كما شعرت بأن الدموع كانت تطفر من عينيه، ثم غادر بعد أن منحني بركته بصمت...

٦

أذكر جيداً بأن ذلك كان في إحدى ليالي شهر نيسان (إبريل) وفي يوم السوق المفتوحة. كان الناس الذين قدموا إلى السوق قد بدؤوا يغادرون البلدة .، كان في الهواء ما يُنذر بقرب هبوب عاصفة عاتية. كانت رائحة الأرض الندية ورطوبة الهواء توحيان بذلك.

لم أكن أحتفظ في غرفتي بأي مصباح عندما أكون بمفردي في الغرفة ، خشية تعرّض ملابسي للحريق أو وقوع أية حادثة . كنت قد جلست على أرض غرفتي المظلمة وبدأت أطلب عون الله الذي ابتلاني بالعمى هتفت:

" يا إلهي الذي لا يمكن أن يراه أحد! أنا فاقدة البصر ليس بإمكاني أن أرى شيئاً ، وأنا أضغط على قلبي بشدة إلى أن بدأ قلبي الآن ينزف. أصبحت الأمواج التي تتقاذفني أقوى من طاقة احتمالي. أتوسل إليك يا إلهي أن ترحمني!. فإلى متى سوف يستمر ابتلائي ومعاناتي؟"

ثم وضعت رأسي على حافة السرير وأجهشت بالبكاء.

لكنني شعرت وأنا أفعل ذلك بأن هناك شيء ما يتحرك من فوق السرير، وكانت هيمانغيني بعد لحظة قد وقفت إلى جانبي ، عانقتني وبدأت تجفف دموعي بصمت، ولم أفهم لِم كانت تلك الليلة بانتظاري في الغرفة الداخلية ولِم كانت مستلقية هناك بمفردها في الغسق...

لم تُوجّه إلي أي سؤال، ولم تتفوّه بكلمة واحدة وكان كل ما فعلته أن وضعت يدها الباردة على جبيني ثم قبلتني وغادرت الغرفة.

وكانت هيمانغيني في اليوم التالي قد قالت لخالتها بحضوري:

" خالتي! بإمكانك البقاء هنا إن كنت ترغبين بذلك، لكنني لا أرغب في ذلك، وسوف أغادر في الغد مع خادمة العائلة."

وكانت الخالة قد أجابتها بأنه لا ضرورة لذهابها بمفردها لأنها سوف تغادر أيضاً في الغد. ثم أحضرت عقداً من اللؤلؤ كان في علبة مخملية وقالت بتكلف :

" هيمو، انظري إلى هذا العقد اللؤلئي الجميل الذي جلبه لك أبيناش"

لكن هيمانغيني انتزعت العقد من يدها وأجابتها بسرعة:

" انظري إليّ خالتي، فلتنظري فقط كم أنا بارعة في الرماية" ثم رمت العقد من النافذة.

صُدمت الخالة وشعرت بالغيظ والدهشة وانتصبت كالقنفذ ثم استدارت إليّ ، وأمسكت بيدي وكررت القول مرات ومرات:

" أرجوكِ كيمو، لا تُعلمي أبيناش بهذا التصرف الطفولي. سوف يجرح هذا الأمر مشاعره بشكل كبير."

وكنت قد أكدّت لها بأنه لاحاجة لأن تقلق، وبأنني لن أتفوّه بكلمة واحدة بما حدث.

كانت هيمانغيني قبل مغادرتهما قد عانقتني بحرارة وقالت:

" غاليتي، تذكريني على الدوام. لا تنسيني..."

وكنت قد مررّت أصابعي على وجهها مرات ومرات وقلت:

أختي الغالية! تذكري دوماً بأن لفاقدي البصر ذاكرة قوية."

كان زوجي قد تظاهر بعد عودته بكثير من الراحة لمغادرتهما، وبأن زيارة خالته كانت قد أعاقته عن الاهتمام بعمله لكنه كان قد فعل ذلك بأسلوب فارغ ومبالغ فيه...

لم يكن بيننى وبين زوجي إلى ذلك الوقت سوى حاجز واحد هو كوني فاقدة البصر، لكن حاجزاً جديداً كان قد أضيف إلى ذلك وهو ذلك الصمت المُتعمّد عن هيمانغيني كان زوجي يتظاهر بعدم مبالاة زائفة بها لكنني كنت أعلم بأنه كان يُفكّر بها دوماً .

٧

كان ذلك في بداية شهر أيار (مايو)، حيث دخلت خادمتي إلى غرفتي ذات صباح وسألتني:

" ما هذه التحضيرات التي تتم على شاطئ النهر ؟ أين سيذهب السيد؟"

كنت أعلم بأن هناك أمر وشيك الوقوع، لكنني أجبتها ليست لدي أية فكرة عن ذلك."

لم تجرؤ الخادمة على توجيه المزيد من الأسئلة إلي، لكنها تنهدت بإشفاق وغادرت الغرفة.

ثم جاء زوجي في ساعة متأخرة من الليل وقال لي :

" علي المغادرة في وقت مبكر من صباح الغد لكي أزور أحد المرضى، وقد يكون عليّ البقاء هناك ليومين أو لثلاثة أيام. "

وكنت حينئذ قد نهضت فجأة من سريري، وقفت أمامه وصرخت بصوت مرتفع " لِم تكذب علي؟"

قال زوجي وهو يتلعثم :

" ماذا ؟... ما الذي كذبت به عليك ؟

قلت " سوف تتزوج؟"

ظلّ صامتاً لبعض الوقت. وكنت قد اخترقت الصمت من جديد وصرخت :

" أجبني، قُل الحقيقة، قُل نعم سوف أتزوج..."

أجابني بصوت أشبه بصدى ضعيف " نعم"

صرخت بعلو صوتي " لا، لن أسمح لك بذلك أبداً . سوف أنقذك من هذه الكارثة الرهيبة ، سوف أنقذك من هذا الإثم الكبير. لأنك بذلك سوف تنكث بقسَمك ،. لو فشلت في ذلك فلِم أنا زوجتك ولم أنا أعبد وأخشى الله؟"

ظل الهدوء سائداً في الغرفة أشبه بسكون في قبر، وكنت بعد ذلك قد ركعت على الأرض وأمسكت بركبتي زوجي وسألته:

" ما الذي فعلته ؟ وما هو الشيء الذي قصّرت فيه تجاهك؟ أعلمني بصدق لِم ترغب بزوجة أخرى؟"

قال زوجي ببطء " سأعلمك بالحقيقة، أصبحت أخشاكِ لأن فقدانك البصر احتجزك في حِصن منيع لم يعد بإمكاني الدخول إليه. أنت الآن لست امرأة بالنسبة إلي . لم يعد بإمكاني الاستمرار في حياتي اليومية معك... أنا بحاجة إلى امرأة ... إلى امرأة عادية تكون لي حرية ملاطفتها ومداعبتها وتعنيفها وتوبيخها و..."

قلت " آه... ! فلتفتح قلبي وتنظر فيه ! ألست تلك المرأة العادية التي ترغب بها ؟ أبيناش! أنا لا أزال الفتاة التي كنت عندما تزوجتني، أنا لاأزال تلك الفتاة بكل احتياجها إلى من تحبه وإلى من تثق به وإلى من تُفضي إليه بما في نفسها..."

ليس بإمكاني أن أتذكر تماماً كل ما قلته حينذاك لكنني أذكر بأنني قلت أيضاً :

" لو كنت زوجتك بالفعل، وليشهد الله على ذلك، لن أدعك ترتكب هذا الإثم... لن أدعك تنكث بقسمك... فإما أن أصبح أرملة أو أن تموت هيمانغيني قبل أن ترتكب هذا الإثم ..."

ثم سقطت على الأرض وأغمي علي .

عندما استعدت حواسي كان الظلام لايزال منتشراً وكانت الطيور ساكنة، وكان زوجي قد غادر المنزل...

أمضيت ذلك اليوم وأنا أصلي في المعبد. كانت عاصفة هوجاء قد هبت تلك الليلة، وكانت الأمطار تسقط بغزارة،، كان الرعد يقصف ويهزّ المنزل بأكمله.

لم أكن قد طلبت من الله وأنا أصلي في المعبد، أن ينقذ زوجي من العاصفة، رغم أنه قد يتعرض للغرق في النهر بسبب العاصفة،، وإنما كنت قد طلبت من الله أن ينجو زوجي، مهما حصل له ولي، من ارتكاب ذلك الإثم الكبير بأن يكون قد نكث بالقسم...

مرّ الليل وحلّ يوم آخر، أمضيت اليوم التالي أيضاً وأنا أصلي وعندما حلّ المساء سمعت ضجة وطرق شديد على الباب، وكانوا عندما كُسروا الباب قد وجدوني مُمدة على الأرض فاقدة الوعي وحملوني إلى غرفتي.

وعندما استعدت حواسي أخيراً سمعت من يهمس في أذني" أختي! أختي !"

وجدت نفسي مُمدة على حِجر هيمانغيني. كنت عندما حركت رأسي قد سمعت حفيف ثوبها ،، كان ذلك صوت حفيف ثوب الزفاف الحريري.

قلت لنفسي " يبدو أن دعواتي لَم تُستجب! وها قد سقط زوجي في هاوية الإثم !"

ثم انحنت هيمانغيني نحوي وقالت بهمس رقيق:

" أختي الغالية، جئت لكي أطلب بركتك لي بزواجنا."

كان جسمي بكامله قد اختلج أشبه بمن أصابته صاعقة . لكنني نهضت مع ذلك وقلت بأسى وأنا أرغم نفسي على النطق بالكلمات:

" لِم لا أطلب لك البركة ؟ فأنت لم تتسببي لي بالأذى."

حاولت أن أبتسم وقلت في نفسي:

"ليست دعواتي آخر ما في العالم ، وهذه هي إرادة الله، وإرادة الله لابد أن تكون. فلتسقط الضربات المتتالية على رأسي ولكن ليبق إيماني وأملي بالله (عزّ وجلّ) دون مِساس..."

انحت هيمانغيني أمامي ولمست قدمي.

قلت لها " كوني سعيدة ، ليباركك الله ولتنعمي بالرفاه والبنين."

لكن هيمانغيني لم تكن قد اكتفت بذلك وقالت :

" أختي العزيزة ، هذه الأمنيات لا تكفيني. عليك أن تجعلي سعادتنا كاملة. عليك أن تقبلي زوجي أيضاً في بيتك. دعيني أصطحبه إليك."

قلت لها " لابأس، اصطحبيه إلي."

ثم سمعت بعد بضع دقائق وقع أقدام كنت أعرفها جيداً ثم سمعت صوتاً يقول " كيف حالك كيمو؟"

وثبت فجأة وصرخت " شقيقي دادا!..."

انفجرت هيمانغيني بتلك الضحكة المرحة ثم سألتني "

"ألا زلت تعتبرينه شقيقك الأكبر؟ عليك الآن أن تعتبريه شقيقك الأصغر وأن تشدّي أذنيه لأنه تزوج أختك الأصغر.

وكنت بذلك قد أدركت بأن زوجي نجا من ارتكاب ذلك الإثم الكبير، وبأنه لم يكن قد سقط في هاوية الخطيئة.

كنت أعلم أن شقيقي كان قد قرر في السابق عدم الزواج ، وبأنه لم تكن لدى والدتي قبل وفاتها أية رغبة سوى أن يتزوج . لكنني كنت بما عانيته، أنا شقيقته، كنت قد جعلت ذلك الأمر يتم وبأن شقيقي تزوج لأجلي...

بدأت دموع الفرح تطفر من عيني وتسيل على خدّي، حاولت ولكن لم يكن بإمكاني أن أتوقف عن البكاء. مسح شقيقي على شعري وعانقتني هيمانغيني وهي تضحك كعادتها ثم غادرا معاً.

كنت بعد مغادرتهما قد استلقيت في سريري، ظللت مستيقظة طوال الليل وأنا أنتظر عودة زوجي بقلق بالغ. لم يكن بإمكاني أن أتصور كيف سيكون بإمكانه احتمال صدمة الخجل وخيبة الأمل.

وبعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل فُتح الباب بهدوء. جلست في سريري وأصغيت ،. كان ذلك وقع أقدام زوجي. بدأ قلبي يضرب بشدة. اقترب زوجي من سريري وأمسك بيدي بين يديه وقال:

" لقد أنقذني شقيقك دادا من الدمار... كنت في لحظة جنون قد بدأت أنحدر شيئاً فشيئا نحو هاوية الإثم... كنت قد فُتنت بحيث لم يكن بإمكاني أن أتحرر من ذلك ... يعلم الله مقدار العبء الذي كان يثُقل كاهلي يوم صعدت إلى تلك السفينة. كانت الرياح تعصف بشدّة على النهر وقد غطّت السحب السماء،، وكانت في قلبي، في زخم كل تلك المخاوف، أمنية واحدة أمنية واحدة هي أن أغرق لكي أكون قد تخلّصت من القيد الذي ربطت به حياتي... ليس بإمكاني أن أصف لك مقدار ما شعرت به من بهجة وحياء عندما وصلت إلى ماثوركانج وسمعت بنبأ زواجهما ،. وبذلك أسرعت إلى المركب من جديد، وقد أدركت في لحظة مواجهة مع الذات بأنه ليس بإمكاني أن ألقى السعادة مع أية امرأة سواك...

ضحكت وبكيت بذات الوقت...وفي اليوم التالي كانت تلك المدينة الصغيرة بكاملها تبتهج بذلك الحدث ،. ولكن دون أن يكون أحد قد أشار إلى تلك الليلة من الجنون التي كاد فيها كل شيء سيضيع...

الصواب والخطأ
The right and Wrong
تيموثي . شي. آرثر

قد يُثير مثل هذا الأمر الاستغراب بعض الشيء... لكنه بالتأكيد من الأمور الواقعية: فقد يكون الأشخاص الذين يتمسكون بحقوقهم الشخصية إلى حدّ كبير، والذين يحرصون كل الحرص على الحفاظ عليها، هم الأشخاص الذين ليس لديهم سوى مفهوم مُبهم بكل ما يتعلق بحقوق الآخرين... فهم أمثال التاجر الذي لديه دوماً النزعة إلى الاعتقاد بأن من حقه أن يحصل من الزبائن على أكثر مما هو من حقه...

وتُعتبر السيدة بربارا أوهلر من أحد الأمثلة الحيّة على ذلك.، وعلى الرغم من أنه ليس بإمكاننا أن نُصّنفها تماماً ضمن فئة النساء المُتعاليات " نساء هذا العصر" لكنها كانت بالتأكيد امرأة لديها بعض الميل إلى هذا الاتجاه، كما أنها ، وإن لم تكن بطبيعتها كذلك ، كانت وهذا ما يُؤسف له كثيراً ، قد تأثرت بأفكار من تُخالطهم من صديقاتها المُقربات ممن لديهن الكثير من الميل إلى هذا الاتجاه ، وهو الأمر الذي عزّز لديها روح العنجهية والشعور بالاستقلالية .

كانت السيدة بربارا زوجة وأماً ، لكنها بالطبع كانت أيضاً امرأة وأنثى ، وبذلك كان شعورها بقَهر الرجل ورغبتها بالتالي بالكفاح لأجل تحقيق ما كانت تعتبره من أولويات الحقوق العائدة لجنسها ولمكانتها، قد تجلّى في جميع تصرفاتها ...

أما بالنسبة للسيد هيرمان أوهلر ،فكان من يعرفه خارج المنزل يجده شخصاً مُعتدلاً لطيفاً وعقلانياً، وبأنه بشكل عام من نوعية الرجال الطيبين المحترمين. لكن نظرة زوجته إليه كانت مختلفة تماماً. كانت "زوجته المُحبة ونصفه الآخر" تجده زوجاً طاغية، وتعتبر بأنها لن تكون قد تقيدت بأهم وبأكثر القوانين قِدسية في طبيعتها كامرأة، إلا إذا امتنعت عن تنفيذ رغباته وعن تحقيق كل ما يتوقعه منها كزوجة وأمّ.

كانت السيدة أوهلر منذ بداية حياتهما الزوجية، قد هزئت تماماً بفكرة ما على الزوجة من واجب احترام و طاعة الزوج ، كما هزئت بما ورد في صكّ الزواج من عبارة " الطاعة والاحترام المتبادل بين الزوجين " وكانت تُصرّح دوماً بأنها كانت ستطلب من الكاهن إلغاء ذلك البند من صكّ الزواج ما لم تكن، ولكن ذلك قبل زواجها فقط ، تميل كثيراً إلى ذلك الشاب الوسيم جداً السيد أوهلر .، وبما أنه لم يكن بإمكانها حينذاك أن تطلب تغيير ما تم التعارف عليه من الطقوس الدينية للزواج.، لذا كانت تصرفت بحكمة واتبعت حكم القبول بما تبرّره الضرورات ووافقت على ما تم إدراجه من شروط الزواج تلك. كانت السيدة أوهلر تشعر بأنها بتلك المُحاكمة العقلانية، وبإشارتها الدائمة إلى تلك الصعوبات ، تكون قد أرضت تماماً غرورها .

ومن الجدير بالذكر أن عدم احترام الزوج وعدم الامتثال لرغباته، ظلّ على الدوام كامناً في ذهن السيدة بربارا أوهلر، و هو ما جعله يتجلّى بكل تصرفاتها وبكل ما تُظهره لزوجها السيد أوهلر.

كانت السيدة أوهلر قد أدركت منذ بداية زواجها (وهذا بالطبع حسب مفاهيمها الخاطئة) ،أن زوجها يتوقع منها الكثير ، وبأنه لا يعتبرها أكثر من مُشرفة على أعمال الخدم في منزله، وبأنه يجد بأن من حقه التذمّر من جميع الأمور التي قد لا تتم بما يتوافق مع رغباته ومع مزاجه. كانت في البداية تُجيب على قد ما يُبديه من تذمر وعلى ما يقوله عندما تتأخر في إعداد الوجبات أو عندما يكون الطعام سيء الطهي بعبارة "آسفة عزيزي ،، لكن هذا كل ما بإمكاني القيام به."

ثم كان أن غامر السيد أوهلر ذات يوم بسؤالها ، وبالطريقة الأكثر لطفاً التي كان يُخفي بها شعوره الحقيقي تجاه إهمالها المستمر للكثير من الأمور التي لم يعد بإمكانه أن يتقبّلها:

" بربارا، أأنت متأكدة بأنه ليس بإمكانك القيام بأكثر من ذلك؟"

وكان وجه السيدة أوهلر قد توهج على الفور وأجابته بكل كبرياء :

" نعم أنا متأكدة من ذلك سيد أوهلر."

كانت تلك هي المرة الأولى في حياتها التي تُخاطب بها زوجها بعبارة سيد أوهلر، والمرة الأولى التي تُركّز بها نظرها عليه بمثل ذلك التحدّي.

ليس علينا الآن أن نتحدث عن الطريقة التي قد يتصرف بها غالبية الرجال في مثل هذه المواقف ، لكننا سنورد فقط ما قاله وما فعله السيد أوهلر:

كانت إجابته باندفاع وهو ينظر إلى زوجته ببعض الصرامة وينسحب من المائدة :

" وأنا أيضاً لست متأكداً من ذلك سيدة أوهلر."

أجابته زوجته وقد زمت شفتيها:

" لست متأكداً من ماذا ؟"

أكدّ السيد أوهلر على ما قاله بعبارة:

" لست متأكداً من أنه ليس بإمكانك ذلك"

وجاء ردّ زوجته بالعبارة التالية :

" وما الذي كنت تنتظره مني بحق الله؟"

وأجابها زوجها " أن تقومي بما أقوم به أنا في عملي. أن تستخدمي خادمة مُختصة تساعدك في الأعمال المنزلية، أو أن تحاولي أداء هذه الأمور بنفسك بالشكل المناسب."

وكانت زوجته قد أجابت :

" هل تقصد أن علي أن أدخل المطبخ وأن أقوم بطهي الطعام بنفسي؟"

" بربارا ، بإمكانك أن تفهمي ما قلته وبالطريقة التي تناسبك . أنت المسؤولة عن أمور المنزل ومهمتك أن تحرصي على أداء هذا الدور بالشكل المطلوب، وبأن يتم إعداد الطعام بطريقة صِحية ومناسبة لمن يقيمون

فيه. فلو كان من تُكلفينهم بالقيام بأمر هام هو من صميم واجباتك المنزلية مثل تحضير الطعام ، من الأشخاص غير المؤهلين والمهملين ، فمن المؤكد أن من واجبك الدخول إلى المطبخ لكي تتأكدي على الأقل من أن الأمور تتم بالشكل الصحيح... فأنا بالذات على سبيل المثال لا أضع ثقتي الكاملة بأي من العاملين لدي .، وليس هناك أي قسم من أقسام الإدارة التي أعمل لديها لا يحظى بإشرافي الشخصي عليه. لأن الزبائن لا يُلقون بالاً إلى الأعذار التي قد يقدمها العاملون الذين يفتقرون إلى الخبرة أو ما قد يُدلي به العاملون المهملين منهم.، وإنما ما سيفعلونه هو أنهم بعد وقت قصير يعمدون إلى تأمين احتياجاتهم من البضائع من مؤسسة أخرى قد تكون أكثر تنظيماً وأفضل إدارة."

كانت تلك هي الإجابة الفاترة التي أوردها السيد أوهلر رغم ما كان فيه من غضب شديد.

أما إجابة السيدة أوهلر بكل برود وتحدٍ فكانت :

" ربما كان عليك أن تتناول وجباتك في مكان آخر إن كنت لا تجد هنا ما يتوافق مع مزاجك وما تتوقعه."

كان السيد هيرمان أوهلر بالنسبة لزوجته، قد ارتكب مع الأسف " الذنب الذي لا يُغتفر"... وبذلك كانت النتائج التي نجمت عن تلك الخطيئة ساحقة مما جعله بعد ذلك ييأس من الأمر ويتوقف نهائياً عن أية محاولة جديدة وعن إبداء أية ملاحظات أخرى. كان قد وجد بحدس الحرص على حماية الذات ، بأن النزاع مع مثل ذلك الخصم ، سوف تكون له نتائجه المشؤومة ، وبأنه بذات الوقت لن يحصل على أية نتيجة ، وبأن هناك خطورة من أن يؤدي ذلك إلى خسارته لكل شيء.

لذا كانت الإجابة التي كرّرها على ذلك السيل من الكلام الجارح الذي استمرت زوجته بتوجيهه إليه:

"بربارا ، أنت سيدة المنزل ، تصرفي كما تشائين ، شكراً على المقترحات قد أجد فيما بعد الطريقة الأنسب للتصرف."

كانت الجملة الأخيرة التي تفوّه بها قد أجبرت السيدة أوهلر على التوقف عن التحدّث بغضب، وكان تفوّهه بتلك العبارة بمثل الطريقة الهادئة قد هدأ من ثورة غضبها وأوقف سَيل الكلمات القاسية التي كانت تخرج من فمها .

كان ذلك بمثابة هدنة تم الاتفاق عليها بشكل ضمني في ذلك الصراع القائم بين الطرفين. لكن التنافر بينهما لم يكن قد تناقص فعلياً. كانت السيدة أوهلر قد أدركت بأن

زوجها يتوقع منها درجة أكبر من الاهتمام الشخصي بالأمور المنزلية، وهو الأمر الذي كانت تعتبر بأنه يحطّ من قَدرها كزوجة. وكانت تجد بأن عليها، لأنه كان يتوقع منها ذلك، أن تحافظ على كرامتها بأن تُقلّل من اهتمامها ومن إشرافها على الأمور المنزلية بدلاً من أن تفعل العكس.، وهذا ما جعل الطرف الآخر ، السيد أوهلر، يشعر بالطبع بالكثير من الاستياء وبالتعاسة في حياته الزوجية.

كان السيد أوهلر في البداية يحتمل ذلك بحِلم جدير بالتقدير، لكن طبيعته الإنسانية كانت تخونه أحياناً ، فعندما يمتلئ القلب لابد أن يتحدث اللسان... وهذا ما جعل الخلاف بينهما يحتدم أكثر فأكثر ، وما جعل السيدة أوهلر تشعر بأن زوجها ،بما يُبديه من ملاحظات ، ليس أكثر من شخص طاغية لا يتمتع بأية

حكمة، وبأن مثله مثل العديد من فئة الرجال الذين يعتبرون المرأة مخلوقة أقل مرتبة منهم ،. والذين لن يترددوا بسحقها في حال استسلامها لهم وضعفها أمامهم وخضوعها لهم. .

وكان ما جعل الأمور تتفاقم أكثر وبكل أسف، أن تكون الصديقات المقربات للسيدة أوهلر ، ومن تجتمع بهنّ باستمرار ،. من المُتحدّثات بكل حماس وجرأة عن حقوق المرأة وعن استعباد الرجل لها. ولم تكن السيدة أوهلر تتردد بالإشارة بكل فظاظة إلى أن زوجها هو أحد أفراد تلك الطبقة الاجتماعية التي لديها الاستعداد لسحق المرأة لو أنها سمحت له بذلك. وهذا ما جعل أولائك السيدات يَطلبن منها الحرص الدائم على حماية حقوقها والمحافظة على كبرياءها لأنها بذلك سوف تكون قد حافظت أيضاً على كرامة وعلى رِفعة بنات جنسها،. وبأن عليها أن تعمل على أن يُدرك ذلك الرجل المُستبد الطاغية بأن الوقت قد حان لأن يتم تمريغ غروره وتعاليه في التراب.

وبذلك كانت السيدة أوهلر ،نتيجة لذلك التحريض المستمر على حفاظها على حقوقها الشخصية وعلى حماية نفسها من تعدّيات زوجها ، قد تخطت تماماً جميع الحدود ، بعدم مبالاتها بحقوق زوجها عليها وبالعديد من الأساليب الأخرى.

ومرّ الوقت دون أن يطرأ أي تغيير نحو الأفضل في علاقة الزوجين . لكن المرأة قد لا تُفكر أحياناً بعقلانية، كما يفعل الرجل، وهي بذلك قد لا تُقدّر ما سيترتب على تصرفاتها من نتائج، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى الوقائع الحقيقية التي تُشاهدها أمام عينيها أو بالنسبة للمبادئ المُجردة المُتعارف عليها في المجتمع،. وإنما قد تعتمد فقط على ما يُوجّهها إليه إحساسها وحدسها. لذا لو كان حدس المرأة الأنثوي قويماً وصائباً فسوف تكون أحكامها واقعية وصائبة،. ولكن عندما لا يكون حدسها الأنثوي صائباً فلابد من أن تكون أحكامها خاطئة... ومع الأسف لم يكن حدس السيدة أوهلر الأنثوي صائباً منذ البداية ، وهذا ما جعلها تُدفع بكل سهولة من رفيقاتها ، إلى التقييم الخاطئ لكل من وضعها ووضع زوجها في ذلك الزواج.

وذات يوم ، لدى عودة السيد أوهلر إلى المنزل لتناول الغداء، كان أحد الخدم قد أعلمه بأن زوجته ذهبت لحضور اجتماع حول مكافحة الاستعباد وبأنها لن تعود قبل المساء، كما أنها ستتناول غداءها مع إحدى الصديقات... لم يُدلِ السيد أوهلر حينذاك بأية ملاحظة واضطر لتناول عشاءه بمفرده ،. لكن الطعام كان سيئاً جداً لا يكاد يُؤكل. لم تكن أعمال السيد أوهلر في ذلك الوقت مزدهرة تماماً .كانت قد بدأت بالتراجع ،. وبذلك كان السيد أوهلر يشعر بالكثير من الإحباط،. لكنه مع ذلك، كان يُلبي دوماً كافة متطلبات زوجته التي كانت قد بدأت تميل أكثر فأكثر إلى الإسراف.

لكن تعبيراً غريباً كان يبدو على وجه السيد أوهلر عندما غادر منزله في ذلك اليوم . كانت قد تكوّنت في ذهنه رؤية لهدف جديد،. أو كما يُقال كان قد تغييّر وأصبح رجلاً جديداً، لكن ذلك التغيير كان إلى الأسوأ وإلى أسوأ مما قد يخشى منه المرء.

وعندما عادت السيدة أوهلر في ذلك اليوم في ساعة متأخرة ، كان قد خطر ببالها في البداية أن تسأل الخادمة فيما إذا كان السيد أوهلر قد أبدى أية ملاحظة عندما لم يجدها في المنزل في موعد الغداء. لكنها

اعتبرت بأن في ذلك ما قد يُعرّضها إلى نوع من الكشف عن أسرارها لشخص أقل مرتبة منها ، شخص مسؤول أمامها ،مثل تلك الخادمة . لذا لا، لن تفعل ذلك !... وبذلك لم تكن قد تنازلت إلى الاستفسار عن مثل هذا الأمر الذي يتعارض تماماً مع استقلاليتها وكرامتها.

لكن الغريب في الأمر أن السيد أوهلر لم يكن قد ظهر عندما حلّت ساعة تناول شاي بعد الظهيرة ، كما أنه لم يعد إلى المنزل عندما حان وقت تناول العشاء. ظلت زوجته تنتظره لمدة ساعة ثم اضطرت إلى جعل الأطفال الصغار يتناولون عشاءهم ويذهبون إلى النوم ، لكن الغريب في الأمر أيضاً أنها لم تشعر بأية رغبة في تناول الطعام...

لم تكن السيدة أوهلر منذ زواجهما قد أمضت ليلة مزعجة مثل تلك الليلة.، كانت أكثر من عشرين مرّة توشك على توجيه اللوم لنفسها ، لكنها كانت تعود بسرعة إلى الاحتكام إلى استقلاليتها وإلى التفكير بحريتها الشخصية كامرأة ، لكي تقاوم ذلك القلق الذي كان قد بدأ يتزايد بالتدريج، ولكي تتغلب على شعور الضيق الذي تتسبب به بعض الأفكار غير المُرضية التي اقتحمت ذهنها رغماً عنها ، والتي لم تكن لتتقبّلها على الإطلاق.

عاد السيد أوهلر إلى المنزل بعد أن قاربت الساعة الحادية عشرة ليلاً. كانت تفوح منه رائحة الدخان والشراب ، وبذلك لم تكن زوجته بحاجة إلى التساؤل عن المكان الذي أمضى فيه تلك الليلة. كانت تبدو عليه نظرة غامضة من عدم المبالاة ،كما أنه عندما واجه نظرة زوجته كان قد بادرها القول باستخفاف:

" أه !.. ها أنت الآن في المنزل ! هل أمضيت وقتاً مُمتعاً في الخارج؟"

بإمكاننا أن نقول، وبالمعنى الحرفي، أن السيدة أوهلر شعرت حينذاك ببعض الخوف.، رغم أن مثل هذا الأمر لو وصل إلى مسامع صديقاتها العنجهيات ، لكنّ سيُصدمن من أن تكون، من عقدن عليها الكثير من الآمال، قد شعرت بالخوف من مخلوق ليست له أية أهمية مثل زوج ...

نعم ، كانت السيدة أوهلر قد شعرت فعلاً بالخوف من المظهر الجديد الذي قدّم به زوجها نفسه إليها في تلك الليلة.، كما شعرت بأنها بذلك قد أصبحت في الوقت الحاضر، ومع كل أسف ، أمام مُعضلة لم تكن قد توقعتها ولم تكن قد استعدت لها على الإطلاق وبأنه لم يعد أمامها سوى الاختيار بين أمرين...

وبإمكاننا أن نتوقع بأن السيدة أوهلر لم تتمكن من النوم ،على الإطلاق في تلك الليلة، بينما كان زوجها قد استغرق في النوم. ، وبأنها في صباح اليوم التالي نهضت مُتعبة مُقطبة الجبين ، لكنها بذات الوقت كانت قد تمكنت من السيطرة على قلقها واستطاعت أن تتمالك نفسها وأن تتظاهر بعدم المبالاة بزوجها...

كان زوجها أثناء الإفطار قد تحدث مع أولاده بشكل طبيعي لكنه لم يكن قد تبادل الكثير من الحديث مع زوجته ، التي كان بإمكانها ، بما تتمتع به من قدرة على التمييز، أن تُدرك ما يُخفيه من مشاعر حقيقية وراء ذلك المظهر الخارجي الهادئ.

وعندما نهض زوجها من أمام المائدة دون أن يكون قد تناول سوى رشفة من تلك القهوة التي لا تُشرب، سألته السيدة أوهلر وهي تتظاهر بعدم المبالاة:

" هل ستكون هنا الليلة في موعد العشاء؟"

و أجابها بحدّة :

" سوف أكون هنا بالتأكيد"

كانت تلك الإجابة قد زادت من توترها.

ثم قال " لكن لاحاجة لانتظاري لأنني اتفقت مع أحد الأصدقاء على تناول العشاء في مطعم الآستور."

أجابت السيدة أوهلر بتعالٍ:

" أووه ، هذا جيد جداً "

لكن اتقاد عينيها كان يدلّ على أنها كانت على وشك التفوه ببعض الكلمات الجارحة.

ثم ذهب السيد أوهلر بعد ذلك إلى متجره ،. لكنه في ذلك اليوم لم يكن قد أظهر ما اعتاد عليه من فعالية ومن اهتمام بالعمل،. كما كان قد فوّض الكثير من الأعمال التي كان يقوم به شخصياً إلى موظفيه ثم ذهب لتناول الغداء في مطعم الآستور. أمضى السيد أوهلر معظم وقت الظهيرة هناك وهو يدخن ويتحدث مع أصدقائه ويتناول الشراب إلى أن عاد إلى منزله في موعد تناول الشاي.

نظرت زوجته إليه بقلق عندما دخل إلى المنزل ،. كانت تكسو وجهه شبه ستارة لم يكن بإمكانها اختراقها. وعلى الرغم من أن السيد أوهلر لم يكن قد خرج من المنزل في تلك الليلة ، لكنه كان يبدو شخصاً مختلفاً.

وكانت زوجته قد سألته في صباح اليوم التالي وهو على وشك مغادرة المنزل:

" هل بإمكانك أن تمنحني بعض المال ؟"

كانت تلك هي المرة الأولى التي تتوجه بها السيدة أوهلر إلى زوجها بمثل هذا السؤال بأسلوب يوحي بالتردد،. كما كانت المرة الأولى التي تُدرك فيها من نظرته بأن طلبها لم يلق الاستحسان.

سألها زوجها " ما هو المبلغ الذي تحتاجينه؟"

قالت السيدة أوهلر " أود الحصول على مائتي دولار."

وكانت الإجابة التي لم تكن تتوقعها منه:

" أعتذر ، ولكن ليس بإمكاني إعطائك مثل هذا المبلغ الآن ، فعندما كنت أمس في جولة مع أصدقائي ، كنت قد خسرت خمسمائة دولار نتيجة سوء تصرف وإهمال أحد الموظفين لدي."

هتفت السيدة أوهلر :

" هل كنت تمضي الوقت مع أصدقائك!"

" نعم . لا أظنك تتوقعين أن أظل مرتبطاً بالعمل طوال الوقت، فأنا أيضاً أحب أن تكون لدي الفرصة للاستراحة وللتواصل مع الأصدقاء، مثلي مثل أي شخص آخر... حسناً ! ما حدث أن أحد تجار مقاطعات كان يُدين لي بمبلغ خمسمائة دولار وكان قد اتصل بي ووعدني بسداد المبلغ بعد ظهر الأمس. كنت قبل ذهابي مع أصدقائي قد شرحت لأحد الموظفين لدي ما عليه أن يفعله عندما يأتي ذلك التاجر، وقد توقعت

بالطبع أن يقوم بذلك على الوجه المطلوب. لكن ذلك لم يحدث، فعندما وجد التاجر بأن عليه أن يتعامل مع الموظف وليس معي اعترض على الفاتورة، مما جعل ذلك الموظف المخبول، بدلاً من أن يوافق عليها، يُصرّ على أن الحساب صحيحاً، وبذلك لم أحصل على ذلك المبلغ. كما أنني ،على ما يبدو ،سوف أخسر كامل الصفقة نظراً لأن ذلك التاجر يبدو من الأشخاص المراوغين وسوف يجد بأن من صالحه على كافة الاحتمالات أن يلجأ إلى التخلّف عن الدفع الآن وربما حتى الربيع القادم... كنت أرغب بالحصول على المال اليوم لحاجتي إليه ولكن علي الآن على ما يبدو ، أن أسعى طوال الصباح للحصول على المبلغ الذي أحتاجه."

"قالت السيدة أوهلر بانفعال وبلهجة تدلّ على اللوم:

" ولكن كيف بإمكانك أن تتغيب عن العمل في مثل تلك الظروف وأن تترك الأمر لأحد الموظفين لديك؟"

وكانت الإجابة الفورية على ذلك :

" أتسألينني كيف كان بإمكاني ذلك؟ هل تتوقعين أن أرتبط في المتجر كالعبد ! أنت مخطئة لو ظننت ذلك. هذا كل ما لدي ! فأنا أستخدم الموظفين لكي يقدموا إلي بعض المساعدة في عملي."

أجابت السيدة أوهلر بكل جدّية:

" ولكن ماذا لو لم يكن الموظف أهلاً لذلك؟"

قال السيد أوهلر:

" لن يغيّر ذلك نهائياً من موقفي ولا من طباعي..."

وكان بعد أن قال ذلك قد حدّق في عيني زوجته للحظات ثم انسحب من المنزل دون أن يُضف شيئاً."

ورغم أن السيدة أوهلر كانت تُقنع نفسها في البداية بأن ذلك التغيير غير المُتوقّع في زوجها ، ليس سوى بعض التظاهر والادعاء ، أو أنه ربما كان عبارة عن نزوة عابرة .، لكنها كانت بعد ذلك قد أدركت بكل أسف بأنها حالة دائمة...

فقد بدأ السيد أوهلر يُهمل أعماله ويُهمل عائلته لأجل الاستمتاع بصحبة رفاقه .، وكان كلما طلبت منه زوجته أن يمنحها بعض المال يُدلي بسبب يمنعه من تأمين المال لها، إما بسبب خسارة أحد الزبائن أو نتيجة الإهمال وعدم المبالاة ، أو لعدم أهلية الموظفين أو بسبب إهمال العمال لديه، ويقول بأن هذا ما حدث أثناء غيابه عن المتجر عندما كان يستمتع بوقته مع الأصدقاء.

كان ما لدى السيدة أوهلر من شعور بالاستقلالية قد منعها لوقت طويل من إذلال نفسها لزوجها ، مما جعل الاحتياجات اليومية تتزايد وتُطوقها أكثر فأكثر.، لكنها مع ذلك لم تكن قد أدركت بوضوح بأن تصرفات زوجها ليست سوى انعكاس لتصرفاتها الخاطئة منذ بداية حياتهما الزوجية . كان من العسير عليها أن تعترف بأنها كانت مخطئة حتى تجاه نفسها.، لكن الإدانة كانت تُشير إليها بأصابع الاتهام، وبذلك لم يعد بإمكانها أن تحجبها عن نظرها.

ثم كان أن أدى إهمال زوجها لعمله إلى نتائج مشؤومة أوصلته في النهاية إلى الإفلاس، لكن السيد أوهلر كان مع ذلك يُبرّر تصرفاته بأنه لن يجعل من نفسه عبداً وبأنه لن يُغرق نفسه في العمل الشاق الذي

استخدم الموظفين لديه لأدائه. كان ذلك كل ما بإمكان زوجته أن تحصل عليه من تبريرات على احتجاجاتها المُتكررة على تصرفاته.

لكن الحقيقة أن السيد أوهلر الذي كان إلى ذلك الوقت، قد قاوم ما كان يخطر بباله ،في فترات صفائه الفكري ، من الحلول الأفضل للوضع ،. كما قد يكون بإمكاننا أن نقول، كان يعلم بأن زوجته بما لديها من كبرياء وغرور لن تقوم بإبلاء اهتمامها الشخصي لواجباتها المنزلية تجاه عائلتها، وكان يعلم أيضاً بأنها سوف تعتبر كل ما ستجده في سلوكه بأنه فقط من يستحق اللوم ...

لكن الفقر، ذلك المُضطهد القاسي كان قد أدى أخيراً إلى أن يتم طرد عائلة أوهلر من منزلها المريح وإلى أن تغرق تلك العائلة في غياهب الحرمان والحاجة...

كانت صديقات السيدة أوهلر المُتحجرات العقل ممن كانت صُحبتهم قد سَحرتها لمدة طويلة، واللاتي كنّ بوجهات نظرهن ومبادئهن، قد مارسن عليها ذلك التأثير المشؤوم، قد أشرن عليها أخيراً بالانفصال عن زوجها، ذلك الزوج الذي لم يتردد في الإساءة إلى ما لدى زوجته من مواهب رفيعة كامنة ... ذلك الزوج الطاغية القاسي الذي لا يليق بتلك السيدة الراقية...

لكن الحقيقة أن السيدة أوهلر كانت تعرف أكثر من أي شخص آخر بأن تلك الصورة كانت خاطئة ، وبذلك كان كل ما في طبيعتها من خير ومن صدق وولاء، قد استيقظ في نفسها من جديد ، وبتمرد وسِخط على ما سمعته منهن..

كانت السيدة أوهلر قد عادت تلك الليلة إلى منزلها المتواضع وإلى أولادها المُهملين، وهي في حالة فكرية تختلف كلياً عن كل ما مرّ بها في حياتها، مما جعلها تكاد تتساءل بينها وبين نفسها فيما إذا كانت لاتزال ذات المرأة... كانت السحابة التي حجبت عنها الحقيقة قد سقطت من أمام عينيها وجعلتها تشاهد كل ما حولها بمنظور مختلف تماماً ، وتعيد النظر من جديد بجميع علاقاتها السابقة وبذلك تساءلت :

" هل كان زوجي بالفعل ذلك الطاغية المُستبد؟"

كانت قد نطقت بذلك التساؤل بينها وبين نفسها بشكل لاإرادي، ثم عادت إلى التساؤل:

"هل كان زوجي من داس بالفعل على حقوقي منذ البداية أم أنني كنت من دست على حقوقه؟."

ثم حدثت نفسها " من حق زوجي علي أن ينتظر مني أفضل التعامل،. ومن حقه علي أن أجعل من بيته بيتاً مريحاً وسعيداً. فهل كنت قد قدمت له ذلك ؟ هل قمت بأداء ما علي من التزامات عائلية ومن واجبات زوجية على الوجه المطلوب؟ هل كنت زوجة صالحة مخلصة له؟"

كانت تلك الأفكار تتالى في ذهن السيدة أوهلر وتُوجّه إليها اللوم كما لو أن هناك من يقف أمامها وهو ينطق بعبارات الاتهام تلك بصوت مرتفع...

ولكن ما الذي كانت عليه إجابتها هذه المرّة على كل ذلك اللوم ؟... لا... لم تكن إجابتها هذه المرّة بتبريرها ما فعلته ولا بإيجاد الأعذار لنفسها... وبذلك عادت إلى بيتها وهي مُدانة ذليلة ونادمة...

كانت السيدة أوهلر عندما عادت إلى منزلها في وقت متأخر من بعد الظهيرة ذلك اليوم وقد اقترب المساء، قد سمعت لدى اقترابها من الباب صرخة طفل ، وأدركت على الفور بأنها صرخة ألم وليست صرخة لطفل غاضب مُشاكس، وبذلك ركضت إلى غرفتها . كان ما وجدته هناك ثلاثة من أطفالها الصغار السنّ منبطحين معاً على الأرض، وبأن وجه ويدي وكذلك ملابس شقيقتهم الأصغر سناً كانت قد احترقت على نحو سيء جداً...

وكان كل ما تمكنت التوصل إلى معرفته منهم أن الفتاة المكلفة برعايتهم تركت الأطفال بمفردهم وغادرت المنزل نهائياً لعدم رغبتها بالعمل.، ذلك لأنها كانت نتيجة للظروف المادية التي وصلت إليه العائلة ،قد أصبحت المسؤولة عن جميع الأعمال المنزلية .، وهذا ما جعل الأطفال يتجولون بحرية في المنزل ويفعلون ما يشاؤون. ثم أعلمها الطفل الأكبر سناً بعفوية بأنهم كانوا يلهون معاً باللعب بأعواد الثقاب عندما اشتعلت ملابس شقيقتهم الصغرى وبأنه وشقيقه الأكبر سناً كانوا ، بنوع غريب من سرعة البديهة ،قد ألقوا عليها مِنشفة رطبة و هذا ما أنقذ حياتها.

كانت السيدة أوهلر بعد أن اطلعت على تفاصيل ما جرى قد سألتهم على الفور "هل عاد والدكم إلى المنزل؟

أجاب الأولاد " نعم أمي"

" وأين هو الآن ؟"

أجاب أكبر سناً الأولاد " ذهب لإحضار الطبيب."

وكان السؤال الذي صدر عنها بعفوية " وما الذي قاله؟"

تردّد الطفل قليلاً ثم أجاب بسذاجة:

" قال بأنه كان يتمنى ألا تكون لدينا أماً لكي يعرف كيف يتولى العناية بنا بنفسه."

كان وَقع تلك الكلمات على السيدة أوهلر أشبه بصفعة مؤلمة . تراجعت إلى الخلف ثم رمت بنفسها على أحد المقاعد أشبه بطفل فقد القدرة على الحركة. كان زوجها قد دخل بعد وقت قصير إلى المنزل وبرفقته الطبيب، وقبل أن تكون قد استعادت قدرتها على الحركة، لكنه تظاهر مع ذلك بأنه لم يلحظ وجودها، ولم يلتفت إلى ما كانت فيه من اضطراب. لكن السيدة أوهلر كانت قد أعلنت بعد ذلك عن وجودها بتصرفاتها اللاحقة .

كان كل ما لديها من مشاعر الأمومة قد استيقظ في قلبها في تلك اللحظة. لم يكن لديها الكثير مما تقوله كما لم تكن قد أبدت اهتماماً غير عادي.، لكن جميع تصرفاتها كانت بهدف إثبات ما تشعر به من حنان ومن اهتمام بطفلتها.، وبذلك كانت الطفلة المتألمة بعد أن تلقّت كل ما يلزم من رعاية طبية، قد أصبحت بعد وقت قصير في سريرها.

لم يكن أي من الزوجين إلى تلك اللحظة قد توجّه بأية كلمة إلى الآخر .، وكانت السيدة أوهلر قد التمست نظرة من السيد أوهلر لكنه كان قد تجنّب النظر إليها وأشاح بوجهه عنها.

ثم بدأ الظلام يحلّ، وبدأت النيران تخبو في الموقد وتكاد تنطفئ، ولم تكن الخادمة قد عادت بعد ، كما لم يكن من المحتمل أن تعود حسب ما فهمته السيدة أوهلر من أولادها. ولكن ، سواء أكانت تلك الخادمة قد قرّرت العودة إليهم من جديد أم أنها لم تعد ترغب بذلك ، فلم يعد لذلك الأمر أية أهمية بالنسبة إلى السيدة أوهلر التي كانت بوضع نفسي جعلها لا تجد في ذلك ما قد يتسبب بأي إشكال.، وإنما كانت بالأحرى قد شعرت بالراحة لغيابها.، وبذلك تركت زوجها وأولادها في الغرفة وتوجهت إلى المطبخ.

بعد وقت قصير، كان قد تم إضرام النيران من جديد ، وكان إبريق الشاي قد بدأ يغلي برفق فوق الموقد.، كما كانت وجبة عشاء شهيّة ، أعدتها السيدة أوهلر بنفسها ، بانتظار ه على المائدة...

كان السيد أوهلر عندما دُعي إلى تناول الشاي، قد دهش كثيراً بما رآه ، وازدادت دهشته عندما اتخذ مقعده الاعتيادي أمام المائدة التي كانت سابقاً لا تثير شهيته لتناول الطعام ، وشاهد أمامه طبقاً شهياً . لم يقل شيئاً، لكن شعوراً دافئاً ملأ قلبه بالبهجة وجعله يخفق بقوّة في صدره، ويتساءل وهو يحتسي كوب الشاي الذكّي الرائحة بكثير من المتعة، هل يمكن أن تكون زوجته قد أعدّت كل ذلك بنفسها !...

لكن تلك البهجة سرعان ما اختفت من نفسه عندما تذكر بأن زوجته، بكل ما لديها من إمكانية لجعله سعيداً ولجعل منزله أكثر راحة، كانت تفتقر دوماً إلى الرغبة في ذلك...

كان السيد أوهلر في الفترة الأخيرة يُمضي الليالي خارج المنزل. لكن شيئاً ما جعله يبقى في المنزل تلك الليلة. ثم دارت بضع كلمات فقط بينه وبين زوجته، لكن الأخيرة كانت طوال تلك الليلة تعمل بكل نشاط وحيوية كل حيوية ونشاط.، وفي كل مكان كانت تضع يدّها عليه، كان الترتيب يحلّ محلّ الفوضى، ويشعّ فيه ما يُشبه النور، وهو الشيء الذي لم يكن شاهده سابقاً.

شعر السيد أوهلر وهو يشاهد ذلك بالكثير من الاستغراب كما شعر أيضاً بالكثير من الأمل . لكنه مع ذلك لم يقل شيئاً ...

وكان ما أثار استغرابه أكثر أيضاً أن السيدة أوهلر استيقظت مع بزوغ فجر اليوم التالي وأعدت بنفسها وجبة إفطار شهية جداً. وبذلك جازف السيد أوهلر بالتفوّه بكلمتي إطراء ، بأن قال أثناء تناوله القهوة بأنه لم يسبق أن تناول ألذّ من هذه القهوة طوال حياته، وكانت السيدة أوهلر قد ألقت عليه نظرة تنمّ عن الامتنان لكنها لم تُجبه.

وعندما عاد السيد أوهلر من المتجر الذي كان يعمل فيه بعد إفلاسه بأجر زهيد ، في موعد العشاء تماماً ، وجد بانتظاره وجبة عشاء شهية مؤلفة من عدة أصناف لم يسبق له أن تناول مثلها منذ زواجه، كما كان كل شيء في بيته يبدو بيتاً لعائلة...

واستمرت الأمور بهذا الوضع لمدة أسبوع ،ظلّ السيد أوهلر خلاله على موقفه مراقباً مستغرباً ما يشاهده . أما السيدة أوهلر فقد وجدت مكافأتها على ما تفعله ، ليس فقط بإدراكها لمعنى الواجب تجاه عائلتها، ولكن بما لمسته من الكثير من التغيير في طباع زوجها الذي لم يعد عصبي المزاج وسيء الطباع والذي لم

يعد يتغيب مطلقاً عن تناول وجباته في المنزل ، كما أنه لم يعد يتغيب عن المنزل ليلاً منذ أصبحت زوجته زوجة صالحة وأماً متفانية لأولادها.

ثم حدث بعد ذلك نوع من المُحاكاة ومن التنافس الصامت في تبادل النوايا الحسنة بين الزوج والزوجة اللذين عاشا سابقاً لسنوات طويلة في حالة من عدم المبالاة. فقد ألح السيد أوهلر على استخدام خادمة جديدة طباعها:الفتاة التي تركت العمل ، لكن السيدة أوهلر كانت بالمقابل قد رفضت ذلك بأن قالت بأن ظروفهما المادية الحالية لا تسمح بتكبّد مثل تلك النفقات. لكن السيد أوهلر قال أيضاً بالمقابل بأن بإمكانهما ذلك بأن أشار إلى وجود احتمال لحصوله على زيادة في الراتب.

ثم قال لها ذات يوم بعد التغيير الذي لمسه في طباعها :

" لا أريدك أن تصبحي مجرد امرأة كادحة. بما أنك تعرفين كيف تتم الأمور بالشكل الأفضل، فكل ما عليك أن تتولي إدارة الأمور وأن تُشرفي فقط على أعمال الخدم. أعتقد أن أياماً مشرقة بانتظارنا ، آمل ذلك، سوف يزداد راتبي اعتباراً من الشهر المقبل، سوف يصل إلى ألف دولار وسيكون بإمكاننا حينذاك أن ننتقل من هذا المكان البائس إلى منزل أفضل بكثير ."

كان في صوت السيد أوهلر مزيج من الأمل ومن الرقة مما أثر بعمق في السيدة أوهلر. تملّكها شعور غامر بالحنان وبذلك ألقت رأسها على صدر زوجها وأخذت تبكي... وتبكي ... وعندما استطاعت أن تتمالك نفسها قالت له برقّة:

" عزيزي هيرمان ، سواء أكانت أيامنا المقبلة أكثر إشراقاً أو أكثر ظلمة. فكل ما أتمناه أن يساعدني الله تعالى كي أكون لك زوجة حقيقية، زوجة صالحة... وحتى لو تعرضت حياتنا للغيوم أو للعواصف فسوف أكون لك دوماً الزوجة المخلصة... "

زوجي العزيز! أرجو أن تُسامحني على سوء تصرفي في الماضي ولتثق بأنني سوف أخلص لك في حياتنا المقبلة معاً وبأنني لن أخذلك."

ولم يكن السيد أوهلر يُطالب زوجته بالقيام بأعمال الخدم كما كانت السيدة أوهلر قد اكتشفت المعنى الحقيقي لرباط الزواج وعرفت ما عليها من واجبات عائلية حقيقية ،. ولم تعد تشعر بالضيق مما عليها القيام به من واجبات كما لم تعد تتجاوز حقوق زوجها عليها.

كانت سرعة استعادة السيد أوهلر لمنصبه السابق في العمل قد جعل السيدة أوهلر تشعر أحياناً بالاستغراب ،. فقد ارتفع راتبه الشهري من موظف براتب ألف دولار في العام إلى ألفي دولار ثم أصبح شريكاً في المتجر الذي يعمل فيه، كما كان خلال فترة قصيرة قد أصبح أيضاً من كبار رجال الأعمال ومن الأثرياء... كان هذا ما أدهش السيدة أوهلر كما أدهش من حولهما أيضاً، بحيث أصبح البعض يُلمحون إلى أن السيد أوهلر لم يكن يوماً من محدودي الموارد كما كان يدّعي...

ليكن الأمر كما قد يكون ... بما أن السيد أوهلر لم يعد يَعهد بما عليه القيام به من أعمال هامة إلى موظفيه، وبما أن السيدة أوهلر من ناحيتها أيضاً ،لم تعد تعهد بما عليها من واجبات لإسعاد عائلتها إلى الخدم المُهملين غير المُؤهلين ...

وأصبح ذلك الزوج يشعر بأن منزل عائلته هو المكان الأكثر بهجة في العالم ، كما لم تعد زوجته تشعر بأنها ليست بالنسبة إليه سوى مشرفة على أعمال الخدم ، وإنما قد أصبحت الرفيقة الأحب إليه والزوجة التي يهتم بها والتي يتعامل معها بأقصى درجة من مشاعر المحبة والتعاطف والحنان...

السير الذاتية للكاتبات والكتاب

السيرة الذاتية للكاتبة ليليكا ناكوس ١٨٩٩ ـ ١٩٨٨:

ولدت في أثينا ، وتلقت تعليمها في جنيف - سويسرا - حيث بدأ اهتمامها بالكتابة ، وكانت بعد تخرجها قد عادت إلى اليونان وعملت في مجال الصحافة ، ثم انصرفت للكتابة.

كانت أول من كتب عن المرأة في اليونان كما اعتبرت لسنوات أول النساء الصحفيات في اليونان.

كتبت ليليكا ناكوس بأسلوب مُبسّط للغاية كان أشبه بأسلوب المحادثة لكنه كان مع ذلك أسلوباً عاطفياً إلى حدّ كبير .

كانت ليليكا ناكوس قد صوّرت في رواياتها ما تمر به النساء من تجارب إنسانية كما عبّرت فيها عن الأحاسيس الحميمية الخاصة بالنساء .

اعتبر النقاد أن كتاباتها كان لها تأثيرها على كل امرأة في اليونان، وحتى أنهم اعتبروا بأن جميع كتاب عصرها قد تأثروا بأسلوبها المُبسط في التعبير بحيث أصبح الأسلوب المتبع من قبل الكثير من الكتاب في اليونان وفي جميع أنحاء أوروبا.

السيرة الذاتية للكاتبة دروثي ليغ سيرس ١٨٩٣- ١٩٥٧:

ولدت في أكسفورد وهي ابنة أحد الكهنة . وكانت بعد تخرجها عام ١٩١٥ قد عملت كمدرسة ومدققة في إحدى دور النشر، كما كانت عندما بلغت سن الثلاثين قد عملت في إحدى مؤسسات الإعلان .

تُعتبر من أشهر كتّاب وكاتبات القصص البوليسية في انكلترا . عرفت بأسلوبها الخاص في تصوير الشخصية الخيالية باسم بيتر ويمسي وهاريت فين .كما قامت بتأليف المسرحيات الدينية والقصص القصيرة.

كانت روايتها الأولى بعنوان " لمن الجثة ؟ ثم تلاها العديد من المؤلفات والمسرحيات. وكانت دروثي سيرس بعد أن حصلت على ما كانت ترغب به من ثروة قد توقفت عام ١٩٣٧ عن كتابة الروايات البوليسية وانصرفت لكتابة المسرحيات الدينية والمسلسلات الإذاعية ومنها :

" الرجل الذي ولد لكي يصبح ملكاً " كما كتبت العديد من القصص القصيرة بالاشتراك أحد زملاء الدراسة وكانت وفاتها في ايسيكس على إثر نوبة قلبية عام ١٩٥٧

من أشهر مؤلفاتها: وفاة غير طبيعية ـ سمّ قاتل ـ وثاق القضية ـ يجب الإعلان عن الجريمة.

السيرة الذاتية للكاتب ترومان كابوت:

من مواليد نيو أوليونز إلا أنه بذات الوقت من مواطني عدة دول في العالم كان ترومان كابوت يضع موضوع الكتابة بعد هوايات المحادثة والمطالعة وبعد السفر الذي كان أفضل هواية لديه . كانت أعماله الأدبية قد حققت له شهرة عالمية نظراً لأسلوبه المتعدد الجوانب . وقد تم إخراج روايته " إفطار لدى تيفاني " في سينما برودوي كما كان قد استنبط في روايته " بدم بارد " الأسلوب الصحفي غير القصصي الذي يجعل القارئ يطالعه كرواية مشوقة.

السيرة الذاتية للكاتبة جين ستافورد :

ولدت في كاليفورنيا عام ١٩١٥ ثم انتقلت مع عائلتها للعيش في ولاية كولارادو حيث عمل والدها لدى إحدى الصحف المحلية .

في العام ١٩٣٦حصلت من جامعة كولارادو على درجة الماجستير في فقه اللغة.عملت خلال العامين ١٩٦٤ - ١٩٦٥ مدرسة في جامعة ويسليان .

ثم أصبحت من أشهر الكتاب في أمريكا . في العام ١٩٧٠ تم منحها جائزة بوليتزر للآداب على مجموعة القصص القصيرة التي نشرت في صحيفة نيو يوركر وفي عدد آخر من الصحف المحلية.

تميزت جين ستافورد بأسلوبها الخاص في تصوير الشخصيات وبشكل خاص شخصية السيدات وفي وصف أحاسيس سن المراهقة.

كانت أول رواياتها مغامرة بوسطن عام ١٩٤٤ قد لقيت نجاحاً كبيراً وهي القصة التي حققت أكبر حصّة من المبيعات في ذلك العام .

كانت جين ستافورد قد عانت كثيراً خلال مسيرة حياتها وفي زواجها ، كما كانت قد تعرضت لحادث سير أليم أدى إلى تشوّهها، ما سبب لها الكثير من الألم النفسي وكانت تلك نقطة تحوّل في حياتها .

كانت في سنوات حياتها الأخيرة وبعد وفاة زوجها الثاني قد تعرضت لانهيار عصبي كما كانت قد أدمنت على تعاطي الكحول مما أدى إلى إصابتها بمرض الالتهاب الرئوي، ثم توفيت في نيويورك عام ١٩٧٩ على إثر نوبة قلبية وهي في سن الثلاثة والستين.

السيرة الذاتية للكاتب تيموثي شي آرثر:

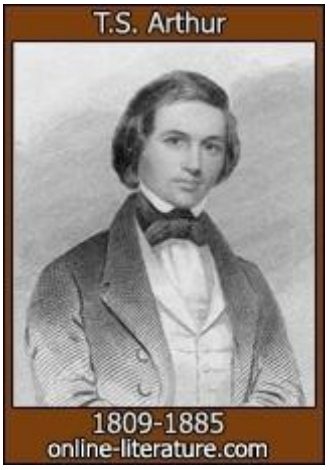

كاتب وشاعر أمريكي ولد في نيويورك في العام ١٨٠٩ وتوفي في فيلادلفيا في العام ١٨٨٥ وهو الولد الأصغر لضابط في جيش الثورة يُدعى ويليم آرثر.

كان ضعيف البُنية لذا كانت والدته قد تولت تدريسه بنفسها. انتقل والداه إلى بالتيمور في العام ١٨١٣ ،. لكن عجزه عن متابعة الدراسة النظامية جعله يتابع تأهيله بنفسه بما في ذلك التدرّب على إحدى الحرف اليدوية ،لكنه أصيب أيضاً بضعف في بصره مما جعله يتوقف عن متابعة تدريبه على تلك الحرفة ، وينطلق في عمله في مجال الصحافة. عمل مراسلاً لعدد من الصحف كما كان له دوره كناشر وكرئيس لتحرير العديد من الدوريات.

ثم بدأ الكتابة وكان نجاح روايته بعنوان"*عشر ليال*" في العام ١٨٣٩ قد حقق له تلك الشهرة الكبيرة.

كما كان للكاتب تيموثي شيّ آرثر مساهمته في الحركة الإصلاحية الدينية وفي حركة إصلاح المُدمنين، وهو المجال الذي وجد فيه مصدر الإلهام للعديد من مؤلفاته التي تضمنت الكثير من النصائح الأخلاقية حول أسس نجاح الحياة الزوجية ، وحول أخلاقيات التعامل في العائلة،و أمور الطلاق، وغير ذلك من المواضيع الاجتماعية .

من أشهر مؤلفاته: من هم الأكثر سعادة ـ فائدة العمل الصالح ـ دروس في الحياة ـ مقاومة الإغراء ـ مهمة العائلة ـ الحياة الزوجية: بهجتها وكدرها - ملاك مُتنكّر ـ كل شيء للأفضل ـ سوف يأتي الوقت السعيد، وغير ذلك من الكثير من القصص الاجتماعية.

ومن أشهر قصائده : الفراشة الطليقة ـ أغنية طائر الثلج ـ ابتهالات المساء .

السيرة الذاتية للكاتبة كاترين مانسفيلد:

ولدت كاترين مانسفيلد في العام ١٨٨٨في ويلينكتون بنيوزيلنده.، كانت الابنة الوحيدة لصاحب مصرف وابنة خال الكونتيسة إليزابيث فون أرنيم . في العام ١٩٠٢ انتقلت للعيش في مدينة لندن والتحقت هناك بالمدرسة الملكية للفنون لدراسة الموسيقى. لكنها بعد تخرجها اضطرت للعودة إلى لندن لعدم موافقة والدها على أن تتفرغ لمهنة العزف الموسيقى.، وبذلك بدأت تنصرف لمهنة الكتابة.ت تنصرف إلى مهنة الكتابة.أأ.. وكانت خلال فترة حياتها القصيرة، قد حققت الشهرة على ما كتبته من قصص قصيرة تم نشرها في ثلاث مجلدات استطاعت فيها أن تلتقط وأن تصف بشكل رائع رقّة العلاقات الإنسانية. من أشهر مؤلفاتها مجموعتها القصصية التي نُشرت تحت عنوان" في حديقة النزل العائلي"

وكانت المؤلفات التي تم نشرها بعد وفاتها:

" عشّ اليمامة "

"دفتر اليوميات "

" الرسائل"

"مجموعة من القصائد"

توفيت كاترين مانسفيلد في العام ١٩٢٣ وهي لاتزال في سن الرابعة والثلاثين.

السيرة الذاتية للكاتبة سانتا راما راو ١٩٢٣ ـ ٢٠٠٩ :

ولدت في ماداراس في الهند عام ١٩٣٣ وتوفيت في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٩ . كان والدها من العاملين في السلك الدبلوماسي عمل سفيراً في انكلترا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي مختلف الدول الأخرى ومنها طوكيو ـ اليابان . ، كما كانت والدتها من رائدات حركة تحرير المرأة.

كانت سانتا راما راو قد رافقت والديها إلى انكلترا وهي لاتزال في السادسة حيث تلقت تعليمها في المرحلتين الابتدائية والإعدادية في إحدى المدارس الانكليزية ثم تابعت دراستها الجامعية في جامعة ويلسي ـ مساشوتست في الولايات المتحدة الأمريكية وهي أول طالبة هندية الأصل تُقبل في تلك الجامعة . وكانت قد تخرجت منها في العام ١٩٤٤بدرجة الشرف. تزوجت في العام ١٩٥١ من صحفي أمريكي ثم طُلقت منه في العام ١٩٦٦.

كانت ثقافة الكاتبة سانتا راما راو مزيجاً من ثقافة الشرق والغرب وبذلك واستطاعت بما لديها من موهبة الكتابة، وبما تميّزت به من إحساس مرهف، أن تنقل للقراء في مؤلفاتها صورة دقيقة عن موطنها الأصلي الهند.

نشرت الكاتبة سانتا راما راو كتابها الأول بعد عودتها إلى الهند، ثم تلا ذلك العديد من المؤلفات كان من أشهرها " "رحلة إلى الهند" **Passage to India**

وهي الرواية التي تم إخراجها لاحقاً مسرحية وفيلماً.

وكذلك رواية " بأي اسم آخر" **" BY Any Other Name**

السيرة الذاتية للكاتب رابندراناث طاغور ١٨٦١-١٩٤١

شاعر وفيلسوف وكاتب درامي . تلقى تعليمه في السنوات الأولى من حياته في منزل الأسرة على يد والده ، ثم التحق بالدراسة في انكلترا وهو في سن السابعة عشر. كان في بداية شبابه قد تولى الإشراف على إدارة أملاك العائلة، كما كان بين فترة وأخرى يُساهم في الحركة الوطنية الهندية. كتب طاغور بكل من اللغتين البنغالية والانكليزية، وبذلك عُرف كأحد الكتاب الذين انتشرت مؤلفاتهم في كل من الشرق والغرب رغم أن موطنه الأصلي كان البنغال.، لكن ما جعله يحظى بتلك الشهرة العالمية هو ترجمة قصائده الشعرية إلى مختلف اللغات . وبذلك تم تكريمه على الصعيد العالمي بمنحه جائزة نوبل للآداب في العام ١٩١٣.

ألف الكاتب طاغور العديد من الروايات الموسيقية وبذلك كان اسمه قد أصبح بمثابة الصوت المعبر عن التراث الروحي في كل من البنغال والهند.

كما أسس طاغور أيضاً مدرسة فلسفية عرفت باسم " فيسفا بهاراتي" أو الجامعة الهندية لتعليم الفلسفة الهندية والغربية. بلغ عدد مؤلفات الكاتب طاغور ٤٤ ديوان شعري - ٢٢٠٠ قصيدة شعرية - ٨٤ قصة قصيرة - ١١ مسرحية . كما عرف عنه تعاطفه مع الطبقة الفقيرة وبأنه كان من الأشخاص المحسنين.

السيرة الذاتية للكاتبة سالي بينسون ١٨٩٧- ١٩٧٢:

ولدت عام ١٨٩٧ في سان لويس بولاية ميسوري ثم انتقلت مع عائلتها إلى ولاية نيويورك وتلقت تعليمها هناك في مدرسة أوراس مان

بدأت سالي بينسون مسيرتها الأدبية وهي لاتزال في سن السابعة عشر حيث عملت بصفة كاتبة صحفية تتولى إجراء المقابلات الصحفية والنقد السينمائي في صحيفة مورنينغ ستار (نجمة الصباح)

ثم كتبت أول رواياتها القصيرة التي قدمتها إلى صحيفة النيويوركر وفوجئت بنشرها على الفور وبأن تطلب منها الصحيفة كتابة المزيد من الروايات.

تعتبر سالي بينسون من أشهر كاتبات القصة القصيرة والنصوص السينمائية وكانت قد حصلت في العام ١٩٢٩ على جائزة أو هنري على قصتيها" المعطف ـ الشقة رقم ٢٠٤٩ " .

من أشهر مؤلفاتها : الآنسة فيم - قابلني في شارع لويس - جويان غريف كما نشرت قصتها الشهيرة "النساء والأولاد أولاً " في العام ١٩٤٣. وهي في جميع تلك القصص تتحدث عن حنينها إلى موطن ولادتها.

ثم توفيت في لوس انجلوس _ كالفورنيا في العام ١٩٧٢.

السيرة الذاتية للكاتب روبرت بار ١٨٤٩ – ١٩١٢:

تاريخ الولادة : عام ١٨٤٩ في غلاسكو باسكتلنده

تاريخ الوفاة :عام ١٩١٢ في سوري بانكلترا

المهن التي مارسها: مهنة التدريس ـ مهنة الصحافة ـ ناشر وكاتب قصصي.

كان الكاتب روبرت بار قد هاجر مع أسرته إلى كندا عندما كان لايزال في سن الرابعة ،. وبعد أن تلقى تعليمه في تورنتو عمل مدرساً في المدرسة المركزية في ويندسور بولاية أنتاريو ، في العام ١٨٨١ ترك مهنة التدريس وانتقل للعيش في مدينة لندن بانكلترا وتفرغ هناك للتأليف ولكتابة العديد من القصص القصيرة التي كان يستوحيها من تجاربه الشخصية . كانت وفاته في العام ١٩١٢ على اثر نوبة قلبية

يُعتبر روبرت بار من أكثر الكتّاب المبدعين والمنتجين لأنه كان ينشر كتاباً كل عام ، كما تعتبر مؤلفاته من القصص الأكثر رواجاً والتي حققت أكبر نسبة من المبيعات في عصره . من أشهر ما كتبه من قصص وروايات :

الوجه والقناع ـ الانتقام ـ المنتصرون ـ قصة الحب والحرب ـ الشرق الذي لا يتغيّر ـ صانع الخناجر، وغير ذلك من المؤلفات القيّمة .

السيرة الذاتية للكاتب توماس وينورث هيغنسون:

ولد توماس وينورث هيغنسون في كامبريدج مساشوتست عام ١٨٢٣ وتوفي فيها عام ١٩١١. عرف ككاتب واشتهر كأفضل كاتب مقالة في عصره.

كان من الراديكاليين ومن أكثر المدافعين عن حقوق المرأة ومن المطالبين بإلغاء الاسترقاق.

كان بعد أنهى دراسته في مدرسة هارفارد دفينتي عام ١٨٤٧ قد عمل مُبشّراً لكن أفكاره الليبرالية المتحررة جعلته يُعتبر غير أهل للعمل في هذا المجال بالأبرشية وبذلك كان قد طلب منه مغادرتها بعد عامين .

كان التزامه بتحقيق العدالة بين الأعراق قد جعله يتطّوع في الحرب الأهلية في مساشوتست. وكان قد تخلى عن الخدمة في الجيش عام ١٨٦٤ واستقر بعد الحرب في نيو بورت.

من أشهر مؤلفاته : الأيام البهيجة الماضية ـ الحس السليم بالمرأة - المرأة والتعليم ـ جزء من حياة الرجل .

السيرة الذاتية للمترجمة :

الاسم: أمل الرفاعي ابنة عمر بسيم

العنوان الالكتروني: **amale@scs-net.org**

الجنسية: عربية سورية

المؤهلات العلمية:

إجازة في الحقوق- جامعة حلب

دبلوم في الإدارة – المعهد الدولي للإدارة – باريس – فرنسا

اللغات الأجنبية: اللغتين الفرنسية والانكليزية.

الأعمال:

١- مديرة لمكتب رئيس جامعة حلب

٢- أمينة السرّ ومسؤولة تنظيم المؤتمرات الدولية والمحلية التي انعقدت في جامعة حلب بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومنها:

- منظمة اليونسكو
- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت
- معهد التعاون مع العالم العربي مدريد – اسبانيا
- المنظمة العربية والثقافة والعلوم
- مركز زايد للتراث والتاريخ – دولة الإمارات العربية المتحدة.

وغيرها من المؤسسات الدولية.

المؤلفات التي تم نشرها ورقيًا:

- قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية عربي –انكليزي وبالعكس

- قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية عربي-انكليزي وبالعكس

- قاموس مصطلحات إدارة الأعمال انجليزي - عربي

- نماذج لأصول المراسلات التجارية، عربي- انجليزي

ترجمات جاهزة للنشر:

- القاموس القانوني الدبلوماسي ثلاثي اللغة ـ عربي انكليزي ـ فرنسي
- ترجمات لمجموعة من قصص الكاتب الفرنسي غي دو موباسان

*** ترجمات تم نشرها عن طريق دار ناشري:**

- مجموعة القصص الموجّة إلى الناشئين رقم ١

- معجم المصطلحات الدبلوماسية والسياسية

المقالات:

- التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.
- تأثير محيط العمل على تقبّل عملية التطوير الإداري.
- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين
- محكمة التاريخ
- الفساد الأخلاقي
- الطموح والقناعة

قصص قصيرة:

حديث المرآة
سارة والوردة الأخيرة
تضحية أم